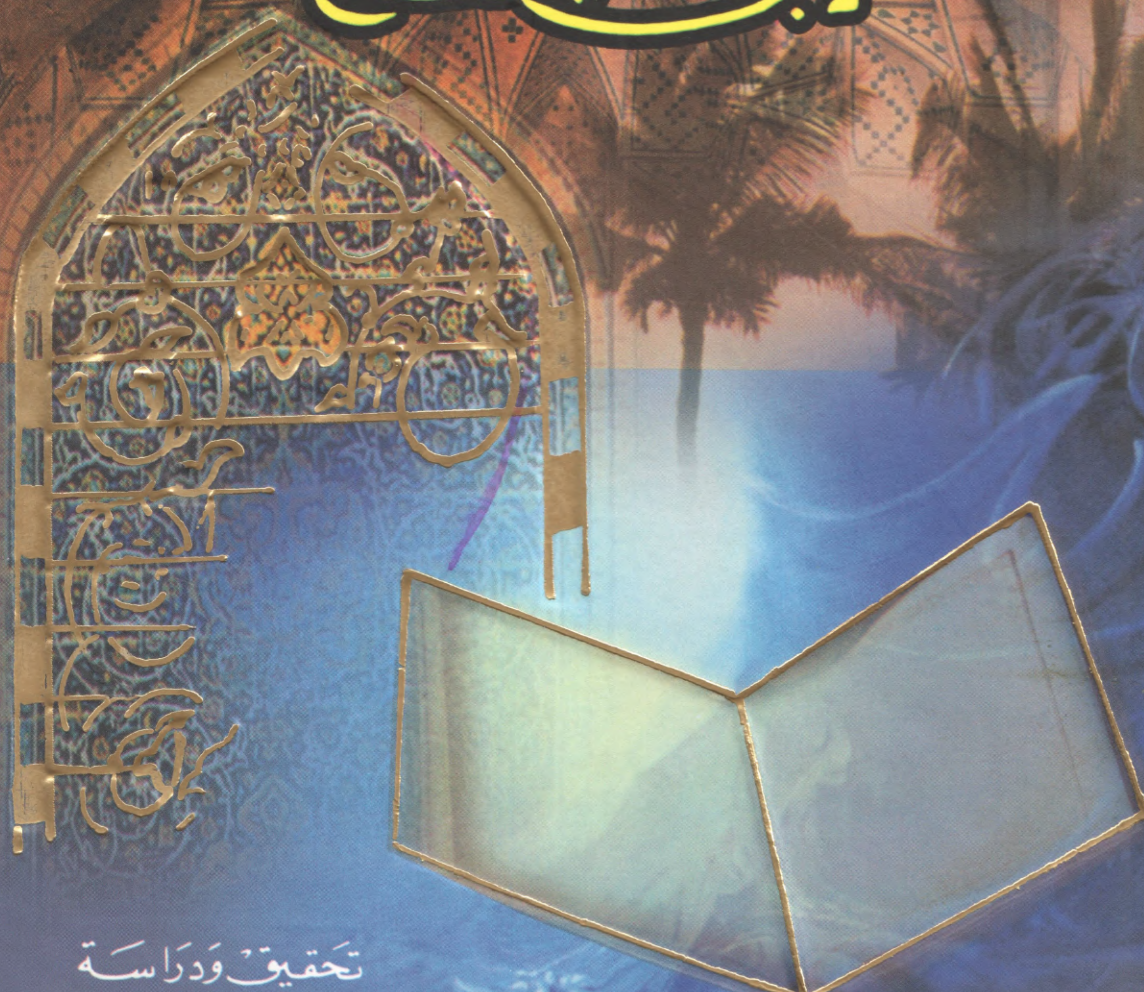
الأدب الصغير والأدب الكبير

لابن المقفّع



تحقيق ودراسة
د. إنعام فوّال

دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الأدب الصغير والأدب الكبير

لابن المقفع

تحقيق ودراسة

د. إنعام فوّال

الناشر

دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الثالثة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون ٨٠٠٨١١ - ٨٦١١٧٨ - ٨٦٢٩٠٥
فاكس: ٨٠٥٤٧٨ (٠٠٩٦١١) برقياً: الكتاب - بيروت - ص.ب. ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

المقـدمة

ذكر ابن المقفَّع في هذا المجلد الثمين «الأدب الصغير والأدب الكبيـر» الذي بيَّن فيه أهمية الأدب في تنمية العقول ومعـرفة طبيعيّـاتها وغـرائزهـا والتي بها تحـرز الأدب وبه تزهو العقول وتزكو: فهـو ثمارُهـا وحياتهـا ونتاجهـا. ونحن نعلم أنّ جُلَّ الأدب هو المفهوم المنطقي، ومعظم هذا المفهوم ينمى بالتعلم، ولم يكن منه كلمة من قاموسه الكبير إلّا وهو مستخرج من عالم سابق، وما ذلك إلّا إقامة الحجـة على أنّ البشر لم يخترعوا أصولها وفروعها إلّا مِنْ قبل العلاَّمة الكريم.

وقـد جعل ابن المقفّـع رائد أسلوبـه المثل، إذْ هـو أوضـح وأفصـح للمنـطق السليم في كلام البشر المحفـوظ حكماً ونصـائح، وفي هـذا الكتاب القيم ذكـر ابن المقفَّـع أقوال العلمـاء في تمام حسن الكـلام، والمعرفـة على تسلية الهمـوم والتي نحن اليـوم أحوج مـا يكـون إلى الكثيـر منهـا بين شبـابنـا الغـض، وبيَّن لنـا تقلب الأحوال وتعاقبها، وفي اعتبار الموت راحة من كل شقاء، وأرشدنا إلى كيفية محاربة الفقر لأنّه بؤرة البلايا، ومجمع الرذائـل، وعمل على تـوجيهنا اقتـداءً بالصـالحين، ومن هنا نحسن وضع أنفسنا في مكانها اللائق بعد محاسبتها محاسبة دقيقة خالصة، فندرك المساوىء والخصـال الحميدة الصـالحة، التي بهـا نعلِّم أنفسنا قبـل غيرنـا، مستـأنسين بـذوي الألبـاب في اعتبـار الـرأي والهـوى عـدوّان، وأنّ الـدِّين أفضـل المواهب، والعُجُب آفة العقل، والعلم زين لصاحبه، ومن وحيه يُدرك طالب الأدب شؤون الحيـاة إذا ما ابتـلاه ربّه بمصـاحبة أربـاب الحكم والسلطة، وتحمله لـرأيهم المخالف لرأيه ولمصلحة العامة من الناس ويُدرك أنّ لا خـلاص له من مصـاحبتهم إلا بتعـويذه بـالعلماء طـريقه الـوحيد إلى النجـاة وهو تمـام إصابـة الرأي والقـول،

وبالإضافة إلى ذلك عَرَّفنا بـأسلوب شيق كيف نُحْسِن اختيار الأصـدقاء ومعـاملتهـم، والأعـداء ومجالستهم ومعـاملتهم بالحسنى والعـدل، وإيثـار الـرضى للصـديق على القاضي النبيل.

وابن المقفّع في كتابه هذا يعترف بعلم السابقين، إذ لهم الفضـل في تعليمه والأخذ عنهم بقوله: «وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفـاً فيهـا عَونٌ على عِمـارَةُ القلوب وصقالهـا وتجلية أبصـارها، وإحيـاء للتفكير وإقـامـة للتدبير، ودليـل على محامـد الأمور ومكـارم الأخلاق إنْ شـاء الله. ولكن لا نبخس الأديب حقه إذْ كان أول من أدخل الحكمة على العربية، الحكمة الفارسية والهندية بالإضافة إلى المنطق اليوناني وعلم الأخلاق وسياسـة الاجتماع، وهـو أول من ألّف وترجم، وسما في كتبه النثر العربي إلى أرفع درجات الفن.

وقد تأثر ابن المقفَّع في تلك الدراسة الخصبة التي نجدها في «الأدب الصغير والأدب الكبير» بعاملَيْن مهمين هما: العصر الذي عاش فيه، والفن الذي اشتغل به حتى وصـل إلى مـا كـان يشتهي من المنصب والجـاه مستقـرءاً ذلـك من التـاريـخ الإسلامي والعباسي. بهذه الثقافة التي حصلها، والعقول التي سبر أغـوارها، اقتحم ابن المقفَّع ميدان البحث الأدبي، فكان كتابه مجموعة من الأفكار المـأثورة والحكم البليغة ـ عن أولئك العلماء ـ ومزجها بأفكـاره، فبدت شخصيتـه واضحة مستقلة بين سمات غيرها من الشخصيات، ولم يكتف بـأنْ يكون جـامعاً أو نـاقلاً، بـل أراد أن يكون مؤلفاً لامعاً في الأدب.

لـذلك عملنـا على تحقيق هذا الكتـاب للناشئـة العربيـة وطلاب هـذا اللسان الذين يريدون الوقـوف على الإفادة من «الأدب الصغيـر والأدب الكبير» لمـا فيه من تحليل قيّم لمشاكل جيلَنا في هـذه الظروف العصيبـة التي مرت بهم، وبـالتالي هم أحوج إليها في هذا الوقت بعينه، حتى يظل الإنسان مميزاً عن سائر الكائنات الحيّة بالعقل الذي هو أداته لحسن التدبير الذي يؤدي به إلى العمران فالحضارة التي تقوم على العدل.

ابن المقفع

مولده وهويته

هو عبد الله بن المقفَّع، ولد في العراق مجوسياً (١٠٦ ـ ١٤٢/٧٢٤ ـ ٧٥٩ م): أصله من الفرس، وكان اسمه روزبه وكنيته أبا عمرو قبل إسلامه، اتهم بالزندقة، وفي هذا المجال قال ابن خلكان[١]: «كان يجتمع هو ويحيى بن زياد الحارثي وحماد الراويه وابن المقفع ووالب بن الحباب ويتنادمون لا يفترون ولا يستأثر أحد منهم على صاحبه بمال؛ وكان يُرمى الجميع بالزندقة»[٢]. وقيل[٣]: «ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفَّع»[٤].

إسلامه

أسلم ابن المقفَّع على يد عيسى بن علي عمّ السفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاء بني العباس، فسمّى نفسه عبد الله بن المقفَّع. وقد حكى الهيثم بن عديّ قال: «جاء ابن المقفَّع إلى عيسى بن عليّ فقال له: «قد دخل

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الشافعي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢ م) انظر السبكي، الطبقات، ج ٥، ص ١٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٥٣؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٧١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥١؛ وابن شاكر الكتبي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٤٥؛ والأصفهاني، الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط ٦، ١٤٠٤/١٩٨٣.

(٣) المهدي بن المنصور الخليفة العباسي.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٩٦؛ طبعة مصر، ١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ. والقفاع جمع القفعة، وهي هنةٌ تتخذ من خوص تشبه الزبيل ليس بالكبير لا عرق لها، يجنى فيها الثمر، والخوص: أوراق النخيل.

الإسلام في قلبي، وأريد أنْ أسلم بين يدك؛ فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه النّاس فإذا كان الغد فاحضر؛ ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس ابن المقفَّع يأكل ويُزَمْزِم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتُزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أنْ أبيت على غير دين، فلَمَّا أصبح أسلم على يده»[1]. ثم كتب له وآختص به. بعد أنْ كتب لداود بن هبيرة، ثم لسليمان بن علي أيام ولايته على البصرة، وذكر الزركلي فقال: إنَّه ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي»[2].

أسرته ووالده

لم يعرف من أسرته غير والده، وهو المُقَفَّعُ بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة، وآسمه داذويه. كان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس، قد ولّاهُ خراج فارس، فمَدَّ يده وأخذ الأموال، فعذَّبه فَتَقَفَّعَتْ يده، فقيل له المقفَّع. وقيل[3]: المقفِّع - بكسر الفاء - لأن أباه كان يعمل القِفَاع[4] ويبيعها».

نشأته وصفاته

نشأ ابن المقفَّع في ولاء بني الأهتم، وهم أهل فصاحة وبلاغة فكان لهذه

---

(١) ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج ٢، ص ١٥١؛ مارون عبود، أدب العرب، دار مارون ودار الثقافة ص ١٠٥.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٤٠؛ والقالي، الأمالي، دار الأفاق الجديدة، بيروت ص ٩٢، والثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٦٣؛ والمسعودي، مروج الذهب، ص ٦٠؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٥٣؛ والبلاذري، فتوح البلدان. ص ٣٤؛ والحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج ١، ص ٥٠.

(٣) هو ابن مكي صاحب كتاب تثقيف اللسان.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٩٦، والبغدادي، خزانة الأدب، ج ٣، ص ٤٥٩. والقفاع من فعل قَفِعَ قَفَعاً، والقَفْعَةُ: هنةٌ تتَّخذُ من خوص تشبه الزَّبيلَ ليس بالكبير، لا عرق لها يجني فيها الثمر، والخوصُ أوراق النخل.

النشأة تأثير عظيم فيه وفيما وصل إليه من درجة رفيعة في الأدب. أدَّبَ نفسه فأحسن تأديبها. قال الأصمعي: «قيل لابن المقفَّع: من أدَّبك؟ فقال: «نفسي. إذ رأيت من غيري حسناً أتيته، وإنْ رأيت قبيحاً أبيته:». كما اشتهر ابن المقفَّع بذكائه وسعة أفقه العلمي، فذاع صيته وقيل فيه كثير من المدح والثناء ومما قيل فيه: «إنَّه لم يكنْ من العجم أذكى منه». وعُرف بحبه للصديق وبكرمه وبجوده ومروءته؛ وحَادِثَته مع عبد الحميد بن يحيى كاتب الخليفة الأموي مروان بن محمد مشهورة، إذ قال: «أبذل لصديقك دمك ومالك».

إلا أنَّه أُتهم بالزندقة من قِبل حساده، وأنَّ شيئاً من هذا لمْ تُثْبته كتبه المعروفة لدينا.

مقتله

قتل سفيان والي البصرة ابن المقفَّع بأمر من الخليفة المنصور، وذلك لأنَّ ابن المقفَّع كان يتنوق[١] في شروط الأمان التي قطعها عمّه عبد الله بن عليّ[٢] عليه بقوله: «ومتى غَدَر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، فنساؤه طوالق، ودوابه حُبُس وعبيده أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته»[٣]. وكذلك روى المدائني مقتله فقال: «لما دخل ابن المقفّع على سفيان قال له: أتذكر ما كنت. تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيّها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة[٤] إنْ لم أقتلك

(١) النوق من فعل ناق وتَنَوق الرجل في ملبسه وأموره تجوَّد، وهو يضرب للذي يكون في حديث ثم يخلطه بغيره.

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي: أمير عمّ الخليفة أبي جعفر المنصور قتل ١٤٧ هـ/٧٦٤ م انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ج ٢، ص ٧؛ وابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢١٥؛ والطبري. تاريخ الطبري، ج ٩، ص ٢٦٤؛ والحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ص ٣٢؛ الأصبهاني عماد الدين، فريدة القصر، ص ٦٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٢؛ وشوقي ضيف، التطور والتجديد. دار المعارف بمصر، ص ٤١.

(٤) الغلم من فعل غَلِمَ واغْتَلَمَ: كان منقاداً للشهوة فهو مُغْتَلِم وهي مغتلمة. اللسان. (غلم).

قتلة لم يُقتل بها أحدٌ وأمر بتنّور فَسُجِّر، ثم أَمر بابن المقفَّع فقطعت أطـرافه عضـواً عضواً، وهو يلقيها في التنور وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنّـور. وقـال: ليس عليّ في المثلة[1] بـك حـرج، لأنـك زنـديق، وقـد أفسـدت النّاس»[2]. وكان ذلك سنة ١٤٢ هجرية وبذلك يكون قد عـاش ستاً وثـلاثين سنة. وقيل: «سنة خمس وأربعين ومائة»[3].

نقلاً عن شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سمّاه «مرآة الزمان».

مؤلفاته

كُتُب ابن المقفَّع الأَدبية كثيرة حيث جمع فيها أدب الفرس إلى أدب العرب. وابن المقفَّع من أئمة الكتّاب، وهو أوّل من عَنَى في الإسلام بترجمة كتب المنطق، حيث تـرجم للخليفة العبـاسي المنصور «كتب أرسـطاطاليس» الثـلاثـة في المنـطق وكتاب المدخل إلى علم المنطق «المعروف بايساغوجي» وترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنـة» وهو أشهـر كتبه، يـرمي إلى إصلاح الأخـلاق وتهذيب العقـول. وقد صنف كذلك كتـاب «مَزْدَك» وكتـاب «التاج» في سيـرة أنو شـروان» وكتاب «جـوامع كليلة ودِمْنَـة» إلاّ أنْ الأخير عـزاه إلى الهند وكتـاب «خداي نـامه» في السيـر وكتاب «آئين نـامه»[4]. وأنشـأ رسائـل غـايـة في الإبـداع منهـا «الأدب الصغيـر» و «الأدب الكبير» ورسالة الصحابة «واليتيمة» وله شعر في كتاب الحماسة»[5].

---

(١) مَثَلَ به: نَكَّلَ به. اللسان، مادة: (مثل).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٢ . . .

(٣) م. ن، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٣.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) م. ن، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٥؛ والزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٤٠.

عصره

عاش عبد الله بن المقفَّع في عهد أبي جعفر المنصور(١) عبد الله بن محمد بن عليّ بن العباس (٩٥ - ١٨٥ هـ/٧١٤ - ٨٠١) وهو ثاني خلفاء بني العباس، إذ بايعه السفاح سنة ١٣٦ هجرية عند وفاته (١٣٦ هـ/ ٧٥٤) وبدوره الخليفة المنصور أخذ البيعة لابنه المهدي(٢) بالخلافة من بعده. ويبدأ هذه العصر بسقوط الأمويين سنة ٧٥٠ ميلادية عندما قامت ثَوْرة عسكرية ضدّ السلطة الأموية تجنَّدَ لها الفرس تحت لواء الشيعة والعباسيّين لذلك قامت هذه الدولة في أوّل عهدها على الموالي فأصبحت فارسية النفوذ والسياسة والحضارة ولم يبق للعرب يومها إلا اللغة التي دخلتها أساليب إنشائية وتراكيب جديدة نظراً لاختلاط العرقين الحضاري والدموي أي الفارسي والعربي. وفي الوقت نفسه صارت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في أقطار مترامية الأطراف تمتد من أواسط آسية إلى شمال افريقية فالأندلس فيما بعد، وقد تمّ ذلك بفضل توفّر جيش قوي قضى على الفوضى واستطاع قمع الثورات التي قامت في الشام وفارس وأواسط آسيا إذْ جهزت لغزو الفرس، ويعود بعث الرّعب في نفوس أعدائهم إلى كثرة عددهم وسرعة انتقالهم العجيبة(٣). وفي رسالة في الأساليب الحربية منسوبة إلى الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦ - ٩١٢) قال: «وإنَّ العرب أمهر الشعوب الأجنبية وأبرمها على

---

(١) أصل اللقب «المنصور بالله» والواقع أن الخلفاء العباسيين جميعاً تلقبوا بهذا فيما بعد بهذا اللقب الورع. ومن أراد التوسع فليرجع لابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٧٢؛ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٢٩٢؛ أحمد بن سهل البلخي. والصحيح أنه لمطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ. ج ٦، ص ٩٠؛ واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٠٠، والمسعودي، أخبار الأمم من العرب والعجم، ج ٢، ص ١٨٠؛ والبغدادي تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٥٣. وابن الساعي، الجامع المختصر من عنوان التواريخ وعيون السير، «أخبار الخلفاء»، ج ١١، ص ٢٣؛ والكتبي، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢١٦؛ وحسين بن محمد بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ٢، ص ٣٢٤؛ والزركلي. الأعلام، ج ٤، ص ١١٦.

(٢) م. ن، اليعقوبي، ج ٧، ص ٤٣٧؛ وابن الطقطقي. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبع في مصر، سنة ١٣٤٠ هـ، ص ٢٣٦.

(٣) Omam. Art of War, 2nd Ed, vol 7, p.209

الإطلاق في العمليات الحربية»[١] ومن أفضل الصفات التي يتحلى بها هذا الجيش روح الوحدة والتعاون مما يقوي معنويات عناصره ويدفعها إلى النصر، الذي وصفه الإمبراطور قسطنطين برفو غنتش في كتابه نظراً للأثر الفعّال الذي أحدثه العرب في نفوس أعدائهم فقال: «إنَّهم أقوياء ورجال حرب، فإذا اتفق لألف منهم فقط أنْ احتلوا معسكراً فليس هناك من قوة تستطيع أنْ تزيحهم عنه وهم لا يركبون الخيل بل الجمال»[٢].

وليس من شك في أنّ انتصارات الجيوش الإسلامية أيام السفاح والمنصور والمهدي والرشيد على الفرس والبيزنطيين أعدائهم المعهودين كانت سبباً في تألق نجم هذا العصر. وكذلك الثروة حيث لعبت دورها إذْ سهّلت للخلفاء سبيل الترف والبذخ اللذين اتصفوا بهما ورفعت شأن العصر في التاريخ والقصص، على أنَّ سبب عظمته الحقيقية راجع إلى اليقظة الفكرية التي لم يعدْ لها مثيل في تاريخ الإسلام، والتي تعتبر من النهضات الهامة في تاريخ التقدم الفكري في كل العالم. وتُعَدّ فترة الحكم العباسي أخصب فترة أدبية عرفها الشرق العربي وكذلك تمتعت المرأة في العصر العباسي الأول بحظ كبير من الحرية ونفوذها وظهورها في أوائل هذا العصر، وهذه الحرية لم تكن مقصورة على نساء الطبقة العالية بل تعدتها إلى نساء العامة حيث نَظَمْن وناظرن الرجال في ألوان الأدب ولطالما ازدهرت المجالس بمواهبهن الأدبية والموسيقية. فكانت بيوت اللهو تصدح بالموسيقى والغناء في الكوفة خاصة أيام المنصور إذ غنّت سلّامة الزرقاء كثيراً وهذه البيوت لا تختلف عن بيوت اللهو اليوم. وتبع أيضاً في هذا العصر عدد كبير من المترجمين لأنَّ المنصور أوّل من عَنَى بالعلوم من ملوك العرب، واهتم بالمترجمين وأوّلهم ابن المقفّع الذي ترجم له كتب المنطق، وأبو يحيى بن البطريق (ت ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣ م) وقيل أنّه ترجم للمنصور أهم تآليف جالينوس وابقراط، وأنّه نقل أيضاً كتاب الأربعة

---

(١) «Tactica» Constitutio XVIII & 123, in Migne Patrologia Gracca. Vol. CVII.

(٢) Constantine. Porphyrogeniteres De Administrando imperio. Caput, XV in Migne Patrologita Gracca vol CXIII.

لبطليموس، وإنْ صَحّ ما رواه المسعودي فإن ترجمة كتاب اقليدس وكتاب المَجسطي (بفتح الميم وكسرها) وهو أعظم تآليف بطليموس فيْ الفلك قد تمَّ في هذه الفترة من الزمن إلى جانب معرفة المنصور بالعلم والأدب والفقه والفلسفة والفلك، وهو الذي عمل أوّل أسطرلاب[1] في الإسلام فضلاً عن حبه للعلماء، وعرف ببعده عن العبث واللهو واهتمامه بالجدِّ والتفكير. إلى جانب تواقيع غاية في البلاغة، لهذا اعتبر المنصور والد الخلفاء العباسيين جميعاً وأفلحهم حيث صرَّف الآفاق إلى الحيرة والعراق وأصبهان وفارس وكذلك كان المنصور أبو جعفر من أفراد الدهر حزماً ودهاء، وكان ممن له فضل في حث العلماء المسلمين في تدوين الحديث والفقه والتفسير القرآني. فصنَّف ابن جريح بمكة، ومالك «الموطأ» بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عَرُبة وحماد بن سَلُمة بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، كما صنَّف أبوَ حنيفة الفقه والرأي، ثم صنَّف ابن وهب، وابن مبارك. وكذلك كثر تدوين العلم وتبويبه، فدوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام النّاس، كما دَرَسَ العرب علوم الفرس واليونان. وتبع هذا حركة النقل الذي ازدهر في هذه الحقبة، وترجمة وإنشاء اللغة العربية تلك اللغة التي استعملها العرب في الجاهلية أداة للشعر ثم عرفها النبي محمد ﷺ لغة الوحي والدِّين. فأصبحت لغة حَيَّة قوية، دقيقة البناء سهلة المنال تطاوع لغة الكتّاب والشعراء للتعبير عن الفكر العلمي والآراء الفلسفية العليا والتي أصبحت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في كافة أقطار العالم العربي. وكلمة حقّ تقال يُعتبر العصر العباسي العصر الذهبي للحياة الأدبية والسياسية عند العرب، فهو بمثابة القرن السابع عشر في أوروبا، وسبب ذلك أنَّ مدة الحكم العباسي كانت طويلة. مما سمح لها أنْ تجني ثمار ما غرست، كما ساعد انتشار العربية وتعطش القلوب إلى الرقي وانفتاح النفوس على المعارف في ازدهار هذا العصر.

---

(١) الاسطرلاب: آلة رصد قديمة لقياس مواقع الكواكب وساعات الليل والنهار وحلّ شتى القضايا الفلكية (يوناني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب الصغير

قال ابن المقفّع:

أمّا بَعْدُ، فإنّ لكُلّ مَخْلُوقٍ حَاجَةً. ولَكُلّ حَاجَةٍ غَايَةً، ولكُلّ غـايَةٍ سَبيـلاً[١]. وَاللَّهُ وَقّتَ[٢] لـلأمُورِ أقْـدَارَهَـا، وَهَيّأ إلى الْغَـايَـاتِ سُبُلَهَـا، وَسَبّبَ[٣] الحـاجَـاتِ بِبَلاغِهَا.

فَغَايَةُ النّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ صَلاحُ المَعَاشِ[٤] وَالمَعَادِ[٥]، وَالسّبيلُ إلى دَرْكِها[٦] العَقْـلُ الصّحيحُ. وَأمَـارَةُ[٧] صِحّةِ الْعَقْـلِ اخْتيَارُ الأمُـورِ بالْبَصَـرِ[٨]، وَتَنْفيذُ البَصَـرِ بالْعَزْمِ.

---

(١) السبيل: جمع سُبُل: الطريق أو ما وضح منها والسبيل هنا: الحجة التي تَعْتَـلّ بها، والـذريعة التي يتوصل بها إلى غاية مطلوبة.

(٢) وقّتَ: الوقت المضروب للفعل إذا بيّن له وقتاً محدداً.

(٣) سبّبَ: أحيا بالوصل والمودة صلة وعلاقة الحاجة لنحصل ما يحتاج إليه من أمر المعيشة.

(٤) المَعَاش والمَعِيش: يصلح أن يكون مصدراً وأن يكون اسماً وهو ما يتسبَّب به أي ما يتوصـل به إلى المعيشة في الحياة اليومية.

(٥) المَوْعِدُ: موضع التواعُدِ وهو المِعادُ. ومنه قوله عزَّ وجـل: ﴿وفي السماء رِزْقُكم وما تُوعَـدُون﴾. قال: وما توعدون: الجنة واليوم الموعود والمعاد: إنَّه يوم القيامة.

(٦) الدَّرَكُ: اللّحاق، وقد أدركه، ورجل دَرَّاك: كثير الإدراك والاتباع.

(٧) الأمارة والأمَار بفتح الميم: الوقت والعلامة وجمعها أمَارات.

(٨) البَصَر: العِلم ومنه قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا به﴾. من التَّبصر والتَّأمل والتعرف بالأمـور والتدبير بعواقبها.

الأدب ينمي العقول

وَلِلْعُقُولِ سَجِيّاتٌ[١] وَغَرَائِزُ[٢] بهَا تَقْبَلُ الأدَبَ، وبالأدَبِ تَنْمَى العُقُولُ وتَزْكُو[٣].

فَكَمَا أنْ الحَبّةَ المَدْفُونَةَ في الأرْضِ لا تَقْدِرُ أنْ تَخْلَعَ يَبَسَهَا وَتُظْهِرَ قُوّتَهَا وَتَطْلُعَ فَوْقَ الأرْضِ بِزَهْرَتِهَا وَرَيْعِهَا[٤] وَنَضْرَتِهَا وَنمائها إلاّ بمعونَةِ المَاءِ الّذي يَغُورُ إلَيْها في مُسْتَوْدَعِها[٥] فيُذْهِبَ عنها أذَى اليَبَسِ والموْتِ ويُحْدِثَ لها بإذنِ اللّهِ القُوّةَ والحيَاةَ، فكذلكَ سَليقَةُ[٦] العقْلِ مكنونَةٌ في مَغْرِزِها منَ القلْبِ: لا قُوّةَ لها ولا حياةَ بها ولا مَنفَعَةَ عِندَها حتى يَعتَمِلَها[٧] الأدَبُ الذي هو ثِمارُها وحياتُها ولِقاحُها[٨].

وجُلُّ الأدَبِ بالمَنطقِ وجُلُّ المنطِقِ بالتّعلّمِ. ليسَ منهُ حَرْفٌ من حُرُوفِ مُعْجَمِهِ، ولا اسْمٌ من أنْواعِ أسْمائهِ إلاّ وهُوَ مَرْوِيّ، مُتَعَلَّمٌ، مأخوذٌ عن إمامٍ سابقٍ، من كلامٍ أوْ كتابٍ.

---

(١) السَجيَّاتُ: جم سَجيَّة: الطبيعة من غير تكلف. وفي الحديث: «كان خُلُقُه سَجِيَّةً أي طبيعة» من غير تصنع أو تلّون.

(٢) الغرائِز جمع غريزة: السَّجيَّة والخلق والطبع من خير أو شرّ. وقيل: هي الأصل والطبيعة.

(٣) تَزْكُو: من فعل ذَكَا ذَكَاءً: اشتدّ وقوي بالأدب الذي ألقي إليه فتَذْكى به لينمو ويشْتَدّ على الآخرين بالفطنة والبراعة.

(٤) رَيْعُها من فعل رَاعَ: نَما وزاد وظهر طلعُهُ وثمرُه بفعل الريّ، وبانت نضرته.

(٥) مستودَعها: من فعل وَدَعَ بمعنى سكن الحبّ واستقر في مكانه وقصد هنا تربته الخصبة الصالحة للزراعة والتي وصل إليها الماء وغار في أعماق الأرض.

(٦) السَّلِيقةُ: السجيَّة، يقال: فلان يقرأ بالسَّليقة أي بطبيعته لا بالتعلم، وهي منسوبة إلى الفصاحة من قولهم: سَلَقُوكم وقيل: بطبعه ولغته.

(٧) يعتملها: يأخذها مهنة ويفعلها، وأعتمل الرجل: عمل بنفسه. وبهذا المعنى أنشد سيبويه:

إنَّ الكَريمَ وأبِيكَ يَعْتَمِل ... إنْ لَمْ يَجِدْ يوماً على مَنْ يَتَّكِل

فيكْتَسِي مِنْ بَعْدِها ويكتحِل

(٨) اللّقاح: ما تُلْقَح به النحلة وغيرها والمقصود هنا أنّ تأثير عمل الأدب في عقل وفكر الإنسان كلقاح النحلة المؤلف من خليات مولِّدة فكما تنتج النحلة كذلك يبدع المفكر والأديب انتاجاً علمياً وعملياً في آن واحد.

وذلكَ دَليلٌ على أنّ النّاسَ لَمْ يبْتَدِعـوا أصولَهـا ولَمْ يَأتِهِمْ عِلمُهـا إلاّ مِن قِبَلِ العَليمِ الحَكيمِ[١].

فإذا خَرَجَ النّاسُ من أنْ يكونَ لهُمْ عَمَلٌ أصِيلٌ وأن يقولُوا قَـوْلاً بدِيعـاً فَلْيَعْلَمِ الـوَاصِفـونَ المُخْبِئـونَ أنّ أحَـدَهُمْ، وإنْ أحْسَنَ وأبْلَغَ، ليسَ زَائِـداً على أنْ يكُـونَ كَصَـاحِبِ فُصُوص[٢] وَجَـدَ ياقُـوتاً وَزَبَـرْجَداً وَمَـرْجانـاً، فَنَظَمَـهُ قَلائِـدَ وَسُمُوطـاً[٣] وأكالِيلَ، وَوَضَـعَ كُلَّ فَصّ مَـوْضِعَهُ، وَجَمَـعَ إلى كلّ لَـوْنٍ شِبْهَهُ وَمَـا يَزيـدُهُ بذلـكَ حُسْناً، فسُمّيَ بذلكَ صَانِعاً[٤] رَفِيقاً[٥]، وَكَصَاغَةِ الـذّهَبِ والفِضّةِ، صَنَعـوا مِنها مـا يُعْجِبُ النّـاسَ منَ الحُلِيّ والآنيَةِ، وكـالنّحْلِ وَجَـدَتْ ثَمَرَاتٍ أخْـرَجَهَـا اللّهُ طَيّبَـةً، وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا اللّهُ ذُلُلاً[٦]، فَصَارَ ذلكَ شِفاءً وَطَعاماً، وَشَـراباً مَنْسـوباً إلَيْهـا، مَذْكوراً بِهِ أمْرُها وَصَنعتُها.

فَمَنْ جَرَى على لسانـه كلامٌ يَسْتَحْسِنُـهُ أوْ يُسْتَحْسَنُ مِنهُ، فَـلا يُعْجَبَنّ إعْجابَ المُخترِعِ المُبْتَدِعِ، فإنّهُ إنما اجْتَناهُ كما وَصَفْنَا.

الاقتداء بالصالحين

وَمَنْ أخذَ كلاماً حَسَناً عن غَيرِه فَتَكَلّمَ به في مَوْضِعه وعلى وَجهِـهِ، فلا تَـرَيَنّ

---

(١) العليم من صفـات الله عز وجـل العَليم والعالِمُ، ومنـه قولـه تعالى: ﴿وهـو الخـلاّقُ العَليمُ﴾ وهـو المقصود.

(٢) فُصُـوص: جمع فَصّ وفَصُّ الخـاتم وفِصُّه بـالفتح والكسـر: مـا يُـركّب في الخـاتم من الحجـارة الكريمة، والفتح فيه أعلى، والمولدون يسمّونه قلب الخاتم.

(٣) السُمُـوط: جم سِمْط والسُمطُ: خيط النظْمِ لأنـه يُعَلّقُ، وقيل: هي قـلادة أطـول من المِخْنَقـةِ، ، وقيل: السلْكَ ما دام لم يخرز فيه لؤلؤ ولا مرجان.

(٤) صانعاً: الصانعُ الماهرُ الحاذقُ. ورجل صِنْعُ اليدين بكسر الصاد: الماهر.

(٥) الـرفيق: جمع رُفَقَـاءُ المُرافِق ويـطلق على الواحـد والجمع فنقـول هم رفيقي كما تقـول هو رفيقي والمقصود هنا اللطيف وحسن الصنيع إذا كان رفيقاً بالعمل.

(٦) ذُلُلاً: جمع الذُلُ بالكسر: الليل وهو ضد الصعوبة، وقيل: ذَلّ ذَلُولاً في معنى رفيق ورؤوف

علَيْهِ في ذلكَ ضُؤولَةً[1]. فإنّه مَن أُعينَ على حِفظِ كلامِ المُصيبينَ، وهُدِيَ للاقْتداء بالصّالحينَ، وَوُفّقَ للأخذِ عنِ الحكماء، وَلا عَلَيْهِ أنْ يَزْدادَ، فَقَدْ بَلَغَ الغـايَةَ. وَلَيْسَ بناقصِهِ في رَأيِهِ وَلا غامِطِهِ[2] منْ حَقّهِ أن لا يكـونَ هُوَ اسْتَحْـدَثَ ذلكَ وَسَبَقَ إليْـه. فـإنّما إحْيـاءُ العَقْلِ الـذي يَتِمّ بهِ وَيَسْتحكِمُ[3] خِصـالٌ[4] سَبْعٌ: الإيثـارُ بالمحَبّـةِ، والمُبالَغَةُ في الـطّلَبِ، والتّثَبّتُ في الاختْيارِ، وَالاعْتِيـادُ للخَيرِ، وَحُسْنُ الـرّعْي[5]، وَالتّعَهُّدُ لِما اخْتِيرَ وَاعْتُقِدَ، وَوَضْعُ ذلك مَوْضِعَهُ قَوْلاً وَعَمَلاً.

أمّا المَحَبّةُ فإنّها تُبْلِغُ المَرْءَ مَبْلَغَ الفضْلِ في كلّ شيء من أمرِ الدّنْيا وَالآخِـرَةِ حينَ يُؤثِرُ بمحَبّتِهِ. فَلا يكونُ شَيءٌ أمْرأ[6] وَلا أحْلى عنْدَهُ منْهُ.

وَأمّـا الطّلَبُ، فـإنّ النّاسَ لا يُغْنِيهمْ حُبُّهُمْ مـا يُحِبّونَ وَهـوَاهُمْ ما يَهْـوَوْنَ عنْ طَلَبِـه وَابْتِغـائِـهِ[7]. وَلا تُـدْرَكُ لَهُمْ بُغْيَتُهُم وَنفـاسَتُهـا[8] في أنْفُسِهِمْ، دونَ الجِـدّ وَالعَمَلِ.

وَأمّا التّثَبّتُ والتّخَيّرُ، فإنّ الطلَبَ لا ينْفَعُ إلاّ مَعَهُ وَبـهِ. فَكَمْ من طالبِ رُشْـدٍ وَجَدَهُ وَالغَيَّ مَعاً، فاصْطَفى منهُمـا الذي منـهُ هَرَبَ، وَألْغَى الّـذِي إلَيْهِ سَعَى، فـإذا

---

(١) الضؤولة: والضئيل: الصغير الدقيق الحقير، وتَضاءَل الـرجل: أخْفى شخصَه قاعـداً وتَصاغَـر أي يَدِقُّ حقارة.

(٢) الغَمْطُ: الاستهانة والاستحقار، وفي الحديث إنّما ذلك مَنْ سَفِهَ الحقّ وغُمَط النّاس يعني أنْ يـرى الحقَّ سَفَهاً وجهلاً.

(٣) يستحكم من فعل حَكُمَ، واسْتَحْكَمَ الأمرُ ويَسْتَحْكِمُ: يتمكّن منه أي صار مُحْكماً مُتْقَناً.

(٤) خِصــالٌ جمع الخَصْلَةُ والخَصْلَةُ: الخلّةُ فضيلةً كــانت أو رذيلة، وقــد غلبت على الفضيلة وهي المقصودة هنا.

(٥) الـرّعْي: من فعل رَعَى الأميـر رعيَّتَه: سـاسها وتَـدَبَّر شؤونهـا، وقصد هنـا حسن التدبيـر والتّصرف للأمور التي يسعى في طلبها تحقيقاً للخير.

(٦) امرأ: من فعل مَرَأ ومَرُؤَ الطعام، ومَرَأَ: صار مريئاً، ومنه في حديث الاستقاء: «اسقِنا غَيْثـاً مريئـاً». يقال مَرَأني الطعام: إذ لم يَثْقُل على المعِدة وانحدر عنها طيباً.

(٧) البَغِيّةُ: الطّلِبَةُ ويقال: بَغِيَّتي عندك وبِغْيتي والبَغْيَةُ: الضالة المَبْغِيَةَ أي الحاجة.

(٨) نَفُسَ الشيء بالضم فهو نفيسٌ: رَفُعَ وصار مرغوباً فيه، وهذا أنْفَسُ مالي أي أحَبُّه.

كانَ الطَّالِبُ يَحْوي غَيْرَ ما يُريدُ، وَهُوَ لا يَشُكّ في الظَّفَرِ، فَما أَحَقَّهُ[1] بشدّةِ التَبْيين وَحُسْنِ الابْتغاء!

وَأمّا اعْتقادُ الشّيْء بعْدَ اسْتبانَتِهِ، فهُوَ ما يُطْلَبُ مِنْ إحْرَازِ الفَضْلِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.

وَأمّا الحِفْظُ وَالتّعهّدُ، فَهُوَ تمامُ الدَّرْكِ[2]. لأنّ الإنْسانَ مُوكَّلٌ بِهِ النِّسْيانُ وَالغَفْلَةُ. فَلا بُدّ لَهُ، إذا اجْتَبَى[3] صَوَابَ قَوْلٍ أوْ فِعْلٍ مِنْ أنْ يَحْفَظَهُ عَليهِ ذهْنُهُ لأوَان حاجَتِه.

وَأمّا البَصَرُ بالمَوْضعِ، فَإنّما تَصِيرُ المَنافِعُ كُلّها إلى وَضْعِ الأشياء مَوَاضِعَها، وَبنا إلى هذا كلّهِ حاجَةٌ شديدةٌ. فإنّا لم نُوضَعْ في الدّنْيا مَوْضعَ غنًى وَخفْضٍ[4] وَلكنْ بمَوْضعِ فاقَةٍ وَكَدٍّ، وَلَسْنا إلى ما يُمْسِكُ أرْماقَنا[5] منَ المَأكَلِ وَالمَشْرَبِ بأحْوَجَ منّا إلى ما يُثَبّتُ عُقولَنَا منَ الأدَبِ الذي بِهِ تَفاوُتُ العُقولِ. وَلَيْسَ غذاءُ الطّعامِ بأسْرَعَ في نباتِ[6] الجَسَدِ منْ غذاء الأدَبِ في نَباتِ العَقْلِ. وَلَسْنا بالكَدّ في طَلَبِ المَتاعِ الذي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضّرَرِ وَالغَلَبَةُ بأحَقّ منّا بالكَدّ في طَلَبِ العلمِ الذي يُلْتَمَسُ بِهِ صَلاحُ الدينِ وَالدّنْيا.

---

(١) حَقَّ الأمرَ يَحُقُّه: كان منه على يقين وتقول العرب: حقّ عليَّ أن أفعلَ ذلك، وحُقَّ وهو حقيق به أي خليق له وجدير.

(٢) الدَّرْكُ: اللحاق والوصول إلى الشيء، والدَّرَك: إدراك الحاجة والمقصود هنا الدَّرْك بسكون الراء وتحريكها: التَّبَعِيَّةُ واللحاق.

(٣) الجَبي: من فعل جَبَى يجباه ويجبيه بمعنى جمعه وحصلّه والمقصود الثاني.

(٤) الخفض: لين العيش وسعته. ويقال عيش خافِضٌ وخفضٌ: خصب في دعة ولين. ومنه قول هميان بن قحافة: «بانَ الجميع بعدَ طول مَخْفِضَة».

(٥) أرْمَاقَ: جمع رمق. والرَّمَقُ: بَقيّة الحياةِ. وقيل: بقية الرّوح.

(٦) النَّباتُ: نَبتَ النُّبَاتُ فهو نَبْتٌ والنَّبات فِعْلهُ ويجري مجرى اسمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وأنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾. قيل نبت الشيءُ نَبَاتاً في الجسد والعقل على حدٍّ سواء، وجاء هنا نباتاً على لفظ نبت أي نما وكبر.

ما وضع في هذا الكتاب

وَقَدْ وَضَعْتُ في هذا الكِتابِ مِنْ كلامِ النّاسِ المحْفوظِ حُرُوفاً فيها عَوْنٌ على عِمارَةِ[١] القلوبِ وَصِقالِها[٢] وَتجلِيةِ أبْصارِها، وَإحْياءٌ للتّفكيرِ وَإقامَةٌ[٣] للتّدْبيرِ، وَدَلِيلٌ عَلى مَحامِدِ[٤] الأمورِ وَمَكارِمِ الأخْلاقِ إنْ شاء اللّهُ!

انظر أين تضع نفسك

الوَاصِفونَ[٥] أكثرُ مِنَ العارِفينَ، والعارِفونَ أكثرُ مِنَ الفاعِلينَ.

فَلْيَنْظُرِ امْرُؤ أيْن يَضعُ نفْسَهُ. فإنّ لِكُلّ امْرِىء لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةُ نَصِيباً مِنَ اللُّبّ[٦] يَعِيشُ بِهِ، لا يُحِبّ أنّ لَهُ بِهِ مِنَ الدنْيا ـ ثمَناً ـ وَلَيْسَ كلّ ذِي نصِيبِ مِنَ اللُّبّ[٧] بمُسْتَوْجِبٍ أنْ يُسَمّى في ذَوِي الألْبابِ؛ وَلا يُوصَفُ بِصِفاتِهِمْ. فمَنْ رَامَ أن يجْعَلَ نَفْسَهُ لِذلكَ الاسْمِ والوَصْفِ أهْلاً، فَلْيأخُذْ لَهُ عَتادَه[٨] وَلْيُعِدّ لَهُ طولَ أيّامِهِ، وَلْيُؤثِرْهُ على أهْوَائِهِ. فإنّهُ قدْ رَامَ أمْراً جَسيماً[٩] لا يَصْلُحُ على الغَفْلَةِ، وَلا يُدْرَكُ بالمَعجَزَةِ، وَلا يَصيرُ على الأثَرَةِ[١٠]. وَلَيْسَ كسائرِ أمورِ الدّنيا وسُلْطانِها ومالِها

---

(١) العِمَارةُ: ما تُعْتمر به القلوب، وأعْمَرَ عليها: أغناها.

(٢) صقالها من الصَّقْلُ: الجلاء صَقَلَ الشيء يَصْقُلُه صقلاً وصقالاً: جلاه ونقاه من كل ما يشينه ويعيبه.

(٣) إقامة للتدبير: العزم على تصرّف الأمور بحكمة وتعقل.

(٤) المحامد من الحمد نقيض الذّم، والتحميد كثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة، والتحميد أبلغ من الحمد.

(٥) الواصفون من الوصف والواصف: المنعوت بالكلام الكثير من غير معرفة. ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ربُّنا الرحمن ألمسْتَعان على ما تصِفُون﴾.

(٦) اللُّب: لُبُّ كل شيء ولُبابُه: خالصه وخِيارُه وهو المقصود.

(٧) اللُّبُّ: العقل. جمع ألباب وألبُبٌ. وبهذا المعنى قال الكُمَيْتُ: [الطويل].

إليكم بني آلِ النبي، تطلّعَتْ نوازِعُ من قلبي ظِبَاءُ وألْبُبُ

(٨) العتاد: ما أعدَّ لأمر ما. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أي هَيَّأتْ.

(٩) الجُسُمُ: الأمور العظام، والتَّجَسُّمُ: ركوب أجسمِ الأمور وتعظيمها.

(١٠) الأثَرَةُ: بفتح الهمزة والثاء، الاسم من آثَرَ يُؤْثِرُ إيثاراً: إذا أعطى. وفي الحديث: «أنكم سَتَلْقَوْنَ =

وزينَتِها التي قد يُدرِكُ منها المُتـوَاني[1] ما يفُـوتُ المُثابِـرُ؛ وَيُصِيبُ منْها العـاجِزُ مـا يُخطِىء الحازِمُ.

جماع الصواب وجماع الخطإ

وَلْيَعْلَمْ أنّ على العاقِلِ أموراً إذا ضَيّعَهَا حَكَمَ عَليْهِ عَقْلُهُ بمُقارَنَةِ الجُهّالِ.

فَعَلى العـاقِلِ أنْ يَعْلَمَ أنّ النـاسَ مُشْـرِكـونَ مُسْتَـوُونَ في الحُبِّ لِمـا يُـوافِقُ وَالبُغْضِ لما يُؤذي، وأنّ هذه مَنْزِلةٌ اتّفَقَ عَلَيْها الحَمْقى[2] وَالأكْياسُ[3]، ثم اختلفوا بعْدَها في ثَلاثِ خِصَالٍ هُنّ جِماعُ الصّوَابِ وَجِماعُ الخَطإ، وَعِندَهُنّ تَفرّقَتِ العُلَماءُ وَالجُهّالُ، وَالحَزَمَةُ[4] وَالعَجَزَةُ.

الباب الأوّل من ذلك[5]

أنّ العاقِلَ يَنْظُرُ فِيما يُؤذيهِ وَفيما يَسُرّهُ، فَيَعْلَمُ أنّ أحَقّ ذلكَ بِـالطّلَبِ، إنْ كـانَ ممّا يُحِبّ، وأحَقّهُ بالاتّقاء[6]، إنْ كان ممّا يَكْرَهُ، أطْوَلُهُ وَأدْوَمُهُ وَأبْقـاهُ، فإذا هُـوَ قدْ أبْصَرَ فَضْلَ الآخِـرَةِ على الدنْيـا، وَفَضْلَ سُـرُورِ المُرُوءةِ على لَـذّةِ الهَوَى، وَفَضْـلَ الرّأيِ الجامِعِ الذي تصْلُحُ بِهِ الأنْفُسُ وَالأعقابُ على حاضِرِ الـرّأيِ الّذي يُسْتَمْتَـعُ

= بَعْدِي أثَرَةً فاصبروا». أراد أنّه يُسْتَأثرُ عليكم فيُفَضّل غيرُكم من نصيبه من الفيء.

(١) التـواني من ألوَنَـا: التّعَبُ والضعف، وتواني في حـاجته: قصّـر. وفي حديث عـائشة تَصِف أبـاها رضي الله عنهما: «سَبَقَ إذ وَنَيْتم» أي قَصّرْتُمْ وفَتَرْتُمْ.

(٢) الحَمْقى: من الحُمْق ضدّ العَقْل الحُمْقُ: قلة العقل وانْحَمَقَ الرَّجُلُ إذا فَعَلَ الحَمْقَى.

(٣) الأكياسُ جمع الكَيْسُ: العقل. وفي الحديث عن النبي ﷺ «الكَيِّس من دَانَ نَفَسـه وعَمِلَ لمـا بعد الموت» أي العاقل.

(٤) الحَزَمَةُ: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. ورجل حازم من قوم حَزَمَة وحُزَّم: العاقل المميـز ذو الحُنْكة. والعجزة: نقيض الحَزْم.

(٥) قـوله من ذلـك: من الخصال الثـلاث التي ذكرت أعـلاه على التفصيل البـاب الأول يعني الخصلة الأولى والباب الثاني الذي يلي الخصلة الثانية والباب الثالث الخصلة الثالثة.

(٦) الاتقاء من فعل وقاهُ اللّهُ: صانه، وقد تَوَقَّيْتُ الشيء: حَذِرْتُه ورجل تَقِيّ أي مُوَقٍّ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح والمقصود المعنى الأول.

بِهِ قَليلاً ثم يَضْمَحِلّ، وَفَضْلَ الأكَلاتِ على الأكْلَةِ وَالسّاعاتِ على السّاعة[١].

الباب الثاني من ذلك

أنْ يَنْظُرَ فِيما يُؤثِرُ مِنْ ذلكَ، فَيَضَعَ الرّجاءَ وَالخوْفَ فِيهِ مَوْضِعَهُ، فَلا يجْعَل اتّقاءَهُ لِغَيرِ المَخوفِ وَلا رَجاءهُ في غيرِ المُدْرَكِ. فَيَتَوقّى عاجِل[٢] اللّذّاتِ طَلَباً لآجِلِها، وَيحتَمِلُ قَريبَ الأذى تَوَقّياً لِبَعيدِهِ. فإذا صارَ إلى العَاقِبَةِ[٣]، بَدَا لَهُ أنّ فِرَارَهُ كان تَوَرُّطاً[٤] وَأنّ طَلَبَهُ كان تَنَكُّباً[٥].

الباب الثالث من ذلك

هُوَ تَنْفِيذُ البَصَرِ[٦] بِالعَزْمِ بَعْدَ المعْرِفَةِ بِفَضْلِ الذي هُوَ أدْوَمُ، وَبَعْدَ التثبُّتِ في مَوَاضعِ الرّجاء وَالخَوْفِ. فإنّ طالِبَ الفَضْلِ بِغَيْرِ بَصَرٍ تائِهٌ حَيْرَانٌ، وَمُبْصِرُ الفَضْلِ بغَيرِ عَزْمٍ ذو زَمانَةٍ[٧] محْرُومٌ.

---

(١) قصد ابن المقفع بأنّ العاقل عرف كيف يعزف عن ملذّات الدنيا الزائلة المعبر عنها بالساعة لاضمحلال سرورها ولذتها إلى نعيم الآخرة الدائم الأبدي، والذي كنّى عنه بالساعات.

(٢) العاجل: نقيض الآجل، وقوله عزّ وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجّلْنا له فيها ما نشاء﴾، العاجلة الدنيا، والآجلة الآخرة. والمقصود هنا أنه يبتعد عن ملذات الدنيا ويتوقاها طلباً لملذات الآخرة الدائمة.

(٣) العاقبة من عَقِبَ وعَقب كلّ شيء وعَقْبُه وعاقبته: آخره. وفي التنزيل: ﴿ولا يخاف عُقباها﴾. أي لا يخافُ اللّهُ عزّ وجلّ عاقبة ما عمِلَ أن يَرجِعَ عليه في العاقبة كما نخاف نحن.

(٤) تورطاً من فعل وَرَطَ، والورطة: الهلكة، وتورط وقع في حادث مهلك غامض يصعب عليه النجاة منه بسلام.

(٥) تَنَكُّباً من فعل نَكَبَ عن الشيء: عَدَل، ونَكَبَ عن الصواب تنكيباً ونكّب غيره بمعنى مال واعتزل وتَجَنّب. وفي الحديث: «نكّبُوا عن الطعام» يريد الأكولة وذوات اللبن أي أعرضوا عنها.

(٦) البَصَر: العِلم بالثبات على الأمر بحذر شديد.

(٧) زمانة: آفة في الحيوان، ورجل زَمِنٌ أي مُبْتَلىً بَيِّنُ الزَّمانة. وزَمِنَ زمانة فهو زمِنٌ والجمع زمنون لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها.

محاسبة النفس

وَعلى العاقِلِ مخاصَمَةُ[1] نَفْسِهِ وَمُحاسَبَتُها وَالقَضاءُ عَلَيْها وَالإثابَةُ والتَّنْكِيلُ[2] بها.

أمّا المُحاسَبَةُ، فَيُحاسِبُها بِما لَها، فإنَّهُ لا مالَ لها إلاّ أيّامُها المَعْدُودَةُ التي ما ذَهَبَ مِنْها لَمْ يُسْتَخْلَفْ[3] كمَا تُسْتَخْلَفُ النَّفَقَةُ، وَمَا جُعِلَ مِنْها في الباطِلِ لَمْ يَرْجِعْ إلى الحَقِّ، فَيَتَنَبَّهُ لهذه المُحاسبةِ عِنْدَ الحَوْلِ إذا حالَ[4]، والشَّهْرِ إذا انقضى، وَاليَوْمِ إذا ولّى[5]، فَيَنْظُرُ فيما أفْنى مِنْ ذلكَ، وما كَسَبَ لِنَفْسِهِ، وَما اكْتَسَبَ عَلَيْها في أمْرِ الدِّينِ وأمْرِ الدُّنْيا. فَيَجْمَعُ ذلِكَ في كِتابٍ فِيه إحْصَاءٌ، وَجِدٌّ[6]، وَتَذْكيرٌ لِلأمورِ، وَتَبْكِيتٌ للنّفسِ وَتَذْليلٌ لها حَتّى تَعْتَرِفَ وَتُذْعِنَ.

وَأمّا الخُصُومَةُ، فَإنَّ مِنْ طِباعِ النّفسِ الآمِرَةِ بِالسّوءِ أنْ تَدّعيَ المَعاذيرَ فِيما مضَى، والأماني فيما بَقِيَ، فَيَرُدَّ عَلَيْها مَعاذيرَها وَعِلَلَها وَشُبُهاتِها[7].

وَأمّا القَضاءُ، فإنّهُ يحْكُمُ فِيما أرادَتْ مِنْ ذلك على السيّئةِ بأنّها فاضِحَةٌ مُرْدِيةٌ مُوبِقَةٌ[8]، وَلِلْحَسَنَةِ بأنّها زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرْبِحَةٌ.

---

(١) مخاصمة من خصم خِصاماً غلبه بالحجّة، ومخاصمة النفس: محاورتها بالجدل المقرون بالبرهان. وفي التنزيل العزيز: ﴿وهَلْ أتاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذ تسوَّروا المِحْرابَ﴾. جاءت هنا الخَصم جمعاً لأنه سمّي بالمصدر.

(٢) الإثابة: ثواب الطاعة ومكافأة المرء في الخير، والتنكيل: معاقبة الإنسان على ضيع شيء ليحذّر غيره ويكون عبرة له.

(٣) يستخلف من فعل خلف: وخلف فلان والده جعل مكانه بدلاً عنه.

(٤) الحَوْلُ: سَنَةٌ بأسرها، والجمع أحْوالٌ وحؤُول، وحَال عليه الحَوْلُ حولاً: أتى، وحال الغلام: أتى عليه حولٌ.

(٥) ولّى الأمر عنه أعرض عنه وتركه هارباً، واليوم إذا ولّى: ذهب وانقضى.

(٦) جَدٌّ: الجدّ بيان الاجتهاد في كل عمل وأمر.

(٧) المتشابه: ما لم يُتَلَقَّ معناه من لفظه وهو على ضربين: أحدهما إذا رُدَّ إلى المحْكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته فالمتتبع له مُبْتَغٍ للفتنة، لأنّه لا يكاد ينتهي إلى شيء تَسْكُنُ نفسه إليه.

(٨) الموبقة من وَبَقَ الرجل: هلك والموبقة مَفْعِلة منه، وفي الحديث: «ولو فَعَلَ الموبقات». أي =

وَأَمّا الإثابَـةُ وَالتَّنْكِيلُ، فـإنّهُ يَسُـرّ نَفْسَهُ بِتَـذكُّرِ تلكَ الحَسنـاتِ وَرَجاءِ عَـوَاقِبِها وَتَأمِيلِ فَضْلِها، وَيُعاقِبُ نَفْسَهُ بالتّذكُّرِ لِلسّيّئاتِ وَالتَّبَشّعِ بها والاقشِعْرَارِ منْها وَالحُزْنِ لها.

فَأفْضَلُ ذوي الألْبابِ أشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بهذا أخْذاً[1]، وَأقلّهُمْ عَنْها فِيهِ فَتْرَةً.

ذكر الموت

وَعَلى العَاقِلِ أن يَذْكُرَ المَوْتَ في كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِراراً، ذِكْراً يُباشِرُ بِهِ القُلوبَ وَيَقْدَعُ[2] الطِّماح[3]، فإنّ في كثرَةِ ذِكْرِ المَـوْتِ عِصْمَةً مِنَ الأشَـرِ[4]، وَأمانـاً، بإذْنِ اللّهِ، مِنَ الهَلَعِ[5].

إحصاء المساوىء

وَعَلى العـاقِلِ أن يُحْصِيَ على نَفْسِـهِ مَسـاوِيَهـا في الدِّينِ وَفي الأخْـلاقِ وَفي الآدابِ، فَيَجْمَـعَ ذلكَ كلّهُ في صَـدْرِهِ أوْ في كِتابٍ، ثمّ يُكثِـرَ عَـرْضَـهُ على نَفْسِـهِ، ويُكَلّفَها إصْلاحَهُ، وَيُوَظّفَ ذلكَ عَلَيْها توْظيفاً مِنْ إصْـلاحِ الخَلّةِ وَالخَلّتَينِ وَالخِلالِ في اليَوْمِ أوِ الجُمُعةِ أوِ الشّهْرِ،

= الذنوب المهلكات. وأوْبَقَهُ غيره فهو مُوبَق وهي مُوبَقَة.

(١) الأخذ بعمل الإثابة أي الأمر الذي يَسُرّ نفسه بتذكُّر تلك الحَسناتِ ورجاء عـواقبها وتـأميل فضْلهـا، والأخذ من جهة أخرى بالابتعاد عما ينكّل بنفسه ويهلكها.

(٢) القَدْعُ: الكفُّ والمنع، وقيل: «اقْدَعُوا هذه النُّفُوس فإنَّها طُلْعَةٌ» وقيل: «اقْدَعُـوا هذه الأنْفُسَ فـإنّها أسأل شيء إذا أُعْطِيَتْ، وأمْنَعُ شيء إذا سُئِلتْ» أي كُفُّوها عما تتطلع إليه في السيئات.

(٣) الطِّمَاحُ: المقصود شرود النفس عن الخير واتباعها الشهوات والرغبات والملذات.

(٤) الأشَرُ: المرحُ والأشَرُ: البَطَرُ. وجمعه أشِرون، وأشُرون.

(٥) الهَلَعُ: الجَزَعُ وقلة الصبر، وقيل هو أسْوأُ الجَزَعِ وأفْحَشُهُ. ومنه قول هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عَقَّالٍ حين أراد أن يُقَبِّل يده: مهلاً يا شَبَّةُ فإن العرب لا تفعل هذا إلا هُلوعاً، وأن العَجَم لم تفعله إلاّ خضوعاً.

فَكُلّما أصْلَحَ شَيْئاً مَحاهُ، وَكُلّما نَظَرَ إلى مَحْوِ اسْتَبْشَـرَ، وَكُلّما نَـظَرَ إلَى ثابِتٍ اكتَأبَ[1].

الخصال الصالحة

وَعلى العاقِلِ أن يَتَفَقّـدَ مَحاسِنَ النـاسِ وَيحْفَظَهـا[2] عَلى نَفْسِهِ، وَيَتَعَهَّـدَهَا بِذلك مِثْلَ الّذي وَصَفْنا في إصْلاحِ المَساوي.

وَعَلى العـاقِـلِ أنْ لا يُخـادِنَ[3] وَلا يُصـاحِبَ وَلا يُجـاوِرَ مِنَ النّـاسِ، مـا اسْتَطاعَ، إلاّ ذا فَضْلٍ في العِلْمِ وَالـدِّينِ وَالأخْلاقِ فَيـأخُذُ عنـهُ، أوْ مُوافِقـاً لَهُ على إصْلاحِ ذلكَ فَيُؤيِّدُ ما عِنْدَهُ، وإنْ لَم يكُنْ لَهُ عَلَيْهِ فضْلٌ.

فإنّ الخِصالَ الصَّالحَةَ مِنَ البِرّ[4] لا تَحْيا وَلا تَنْمَى إلاّ بِالمُوَافِقينَ وَالمُؤيِّدينَ. وَلَيْس لِذي الفَضْلِ قَريبٌ وَلا حَميمٌ[5] أقْرَبُ إلَيْهِ ممّنْ وَافَقَهُ على صَالِحِ الخِصـالِ فَزَادَهُ وَثَبّتَهُ.

وَلِـذلِكَ زَعَمَ بعْضُ الأوّلينَ أنّ صُحْبَـةَ بَليدٍ نَشَـأ مـعَ العُلَمـاء أحَبُّ إلَيْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبيبٍ نَشَأ معَ الجُهّالِ.

من نسي وتهاون خسر

وَعَلى العاقِلِ أنْ لا يَحْزَنَ على شَيْءٍ فاتَهُ[6] مِنَ الدّنْيا أوْ تَوَلّى، وأنْ يُنْـزِلَ ما

---

(١) إكتَأبَ من فعل كَئِبَ: حَـزِنَ واغْتَمَّ وانكسر فهـو كئيب، والكآبـة: تغير النفس بـالانكسار من شـدة الهمّ والحُزْن وهو كئيب وهي كئيبة.

(٢) يحفظها على: يحصنها ويرعاها ويَذُب بها عن المحارم والمساوىء والمتع.

(٣) يُخَادِنُ من الخِدْن والخدين: الصديق والصاحب والجمع أخـدان، والخِدْنُ الـذي يُخَادِنُـكَ فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن فَيُصاحِبُك ويُصادِقُك.

(٤) البِرُّ: من فعل بَرَّ يَبَرُّ إذا صَلَحَ، وبَـرَّ في يَمينِه يَبَـرُّ إذا صَدَقـه ولم يَحْنَثْ، ويُقال: فـلانٌ يَبَرُّ رَبَّـهُ أي يطيعه ويصدقه.

(٥) الحَميْمُ: القَرابَةُ يقال: مُحِمٌ مُقْرِبٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يَسْـألُ حَمِيمٌ حَميماً﴾ أي لا يسـأل ذو قرابة عن قرابته، وحميمكَ قريبك الذي تهتم لأمره.

(٦) الفَوْتُ والفَواتُ: الذهاب، وقيل: «الحمد لله الذي لا يُفَات ولا يُلات». وفاتني الأمرُ فَوْتاً وفَواتـاً. =

أَصَابَهُ من ذلكَ ثمّ انْقَطَعَ عَنْـهُ مَنْزِلَـةَ ما لم يُصِبْ، وَيُنْـزِلَ ما طَلَبَ مِنْ ذلـكَ ثمّ لَمْ يُدْرِكْهُ مَنْزِلَةَ ما لَمْ يَطْلُبْ، وَلا يَدَعَ حَظَّهُ مِنَ السّرُورِ بما أقْبَـلَ مِنْها، وَلا يَبْلُغَنّ ذلـكَ سُكْـراً[١] وَلا طُغْيانـاً، فإنّ مَـعَ السّكْرِ النّسيـانَ، وَمَعَ الـطّغْيانِ التّهـاوُنَ، وَمَنْ نَسِيَ وَتَهاوَنَ خَسِرَ.

إيناس ذوي الألباب

وعَلى العَاقِلِ أن يُؤنِسَ ذَوِي الألْبـابِ بِنَفْسِهِ وَيُجَـرِّئَهُمْ[٢] عَلَيْها حَتّى يَصِيـروا حَرَساً على سَمْعهِ وَبَصَرِهِ وَرَأيِهِ، فَيَسْتَنيمَ[٣] إلى ذلكَ وَيُريحَ لَهُ قَلْبَهُ، وَيَعْلَمَ أنّهُمْ لا يَغْفُلونَ عَنْهُ إذا هُوَ غَفَلَ عَنْ نَفْسه.

ساعة عون على الساعات

وَعلى العَاقِلِ، ما لَمْ يَكُنْ مَغْلوباً[٤] عَلى نَفْسِهِ، أن لا يَشْغَلَهُ شَغَلٌ عَنْ أرْبَعِ سَاعاتٍ: سَاعَةٍ يَرْفَعُ فِيها حاجَتَهُ إلى رَبّهِ، وَساعَةٍ يُحاسِبُ فِيها نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يُفْضي فِيهَا إلى إخْوَانِهِ وَثِقَاتِهِ الّذينَ يَصْـدُقونَـهُ[٥] عَنْ عُيوبِـهِ وَيَنْصَحونَـهُ في أمْرِهِ، وَسـاعَةٍ

= ذهب عني.

(١) سُكْـراً من السَّكَر بمعنى الخمـر والنبيذ والسَّكَـرُ بفتح السين والكـاف: الخمر المعْتَصَـرُ من العنب ومنهم من يرويه بضم السين وسكون الكاف أي حالة السُّكْرَان، فيجعلون التحريم للسُّكْـرِ لا لنفس المسْكِر فيبيحون قليله الذي لا يسكر. وهذا ما قصده ابن المقفع في حالة السَّكرانَ الذي يصـل به إلى النسيان والخسران.

(٢) يُجرِّئَهُمْ: من الجرِّيثْ بالتشديد: ضرب من السمـك المعروف يقـال له الجـرِّيُّ والمقصود هنـا أن العاقل الذي يؤنس ذوي العقول بنفسه ويكرمهم بما لذَّ من الـطعام الشهي كي يصيـروا حرسـاً على سمعه وبصره ورأيه، فيطمئن قلبه ويرتاح.

(٣) السَّنِمُ: بالسين والنون وهو الماء المرتفع الظاهر على وجه الأرض المستقر المطمئن ويروى بالشين والباء أيضاً فهو كل شيء علا شيئاً فقد تَسَنَّمَهُ ويقال للشريف سنيم وللعاقل.

(٤) مغلوبـاً في غَلَبَ والمغَلَّبُ من الشعراء المحكـوم لـه بـالغلبـة على قِـرْنـه كـأنّـه غلب عليـه. وفي الحديث: «أهل الجنة الضُّعَفَاءُ المغَلَّبون»، والمُغَلَّبُ: الذي يُغْلَبُ كثيراً.

(٥) يصدقونه عن: ينصحونه بالابتعاد عن عيوبه القبيحة.

يُخلي فيها بين نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذّتِها ممّا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، فإنّ هذِهِ السّاعَةَ عَوْنٌ عَلى السّاعاتِ الأُخَرِ، وَإنّ اسْتِجْمامَ[1] القُلوبِ وَتَوْديعَها[2] زِيادَةُ قُوّةٍ لها وَفَضْلُ بُلْغَةٍ[3].

الرغبات الثلاث

وَعَلى العاقِلِ أنْ لا يكُونَ رَاغِباً إلاّ في إحْدى ثَلاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعادٍ[4]، أوْ مَرَمَّةٍ لِمَعاشٍ[5]، أوْ لَذّةٍ في غيرِ مَحْرَمٍ.

الناس طبقتان متباينتان

وَعَلى العاقِلِ أنْ يجْعَلَ النّاسَ طَبَقَتَيْنِ مُتبايِنَتَينِ[6]، وَيَلْبَسَ[7] لَهُمْ لِباسَيْنِ مُخْتَلِفَينِ، فَطَبَقَةٌ مِنَ العامّة يَلْبَسُ لهُمْ لِباسَ انْقِباضٍ[8] وانْحِجازٍ[9] وتَحَفُّظٍ في كُلِّ

---

(١) اسْتِجْمَام من الجَمامْ بالفتح: الراحة. ويقال: أجِمّ نَفْسَك يوماً أي أرحها، وقيل إني لأسْتَجِمُّ قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحقّ.

(٢) تَوديعَها من وَدَعَ، والودعُ: الدَّعة والسُّكون. ومنه قول سويد بن كراع (ت نحو ١٠٥ هـ/٧٢٣ م) من بحر [الكامل]:

أرّقَ العينَ خَيالٌ لم يَدَعْ ... لِسُلَيْمى ففؤادي مُنْتَزَعْ

ورجل مُتَّدِع أي صاحب دَعَةٍ وراحة.

(٣) البُلْغَةُ: ما يُتَبَلَّغ به من العيش، وقيل: تَبَلَّغ بكذا أي أكتفي به.

(٤) لِمَعَاد: قصد هنا ابن المقفع يوم القيامة.

(٥) مرمة لمعاش أي مرمة من العيش بمعنى الحياة، والمعاش ما يُعاش به من الغداء والقوت الضروري اللازم لغذاء الجسم اليومي.

(٦) متباينتان: مختلفتان غير متجانستين ومفترقتين من فعل بَانَ يَبِينُ عنه: فارقه وتباين الشيئان: تفاوتا، والبين الفرقة.

(٧) يَلْبَس من فعل لَبَسَ الثوب على الأصل، والمقصود هنا أنّ على العاقل أنْ يحسنَ التكيف مع طبقات البشر فيخاطب كل منها على قدر إدراكها وعقلها، فكأنه يلبسها هذا الأمر من التدبير لبوس الجسد من الثوب.

(٨) انقباض في الأصل: خلاف الانبساط، قيل: إنه ليقبضني ما قَبَضَك أي يُحْشِمُني ما أحْشَمَكَ من الكلام أو الخطوات والشر.

(٩) انحجاز من فعل حَجَز وحجز الكلام: آخذ بعضه بحجزة بعض أي متناظم متناسق الظروف والأشخاص في آن واحد.

كَلِمَةٍ وَخَطْوَةٍ؛ وَطَبَقَةٌ مِنَ الخاصّةِ يخْلَعُ عِندَهُمْ لِباسَ التَّشَدّدِ ويَلبَسُ لِباسَ الأنَسَةِ وَاللّطفَةِ وَالبِذْلَةِ[1] وَالمُفاوَضَةِ[2]. وَلا يُدخِلُ في هذِهِ الطّبَقَةِ إلاّ واحِداً مِنَ الألْفِ وكُلّهُمْ ذو فَضْلٍ في الرّأيِ، وَثِقَةٍ في المودّةِ، وَأمانَةٍ في السِّرّ، وَوَفاءٍ بِالإخَاء.

الصغير يصير كبيراً

وَعَلى العاقِلِ أنْ لا يَسْتَصْغِرَ شَيْئاً مِنَ الخَطَإ في الرَّأيِ، وَالزّلَلِ في العِلم، وَالإغْفالِ في الأمورِ. فإنّهُ مَنِ اسْتَصْغَرَ الصّغيرَ أوْشَكَ أنْ يجْمَعَ إلَيْهِ صَغيراً وَصَغيراً، فإذا الصّغيرُ كَبيرٌ. وإنّما هيَ ثُلَمٌ[3] يَثْلَمُها العَجْزُ وَالتّضْييعُ. فإذا لَمْ تُسَدَّ أوْشَكَتْ أنْ تَتَفَجّرَ بِما لا يُطاقُ. ولَمْ نَرَ شَيْئاً قَطُّ إلاّ قَدْ أُتيَ مِنْ قِبَلِ الصّغيرِ المُتَهاوَنِ بِهِ، قَدْ رَأيْنا المُلْكَ يُؤتَى[4] مِنَ العَدُوّ المُحْتَقَرِ بِهِ، وَرَأيْنا الصِّحّةَ تُؤتَى مِنَ الدّاء الذي لا يُحْفَلُ بِهِ، وَرَأيْنَا الأنْهارَ تَنْبَثِقُ مِنَ الجَدْوَلِ الذي يُسْتَخَفُّ بِهِ.

وَأقَلُّ الأمورِ احْتِمالاً للضَّياعِ المُلْكُ، لأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَضِيعُ، وَإنْ كانَ صَغيراً، إلاّ اتّصَلَ بِآخَرَ يَكُونُ عَظيماً.

الرأي والهوى عدوان

وَعَلى العاقِلِ أنْ يَجْبُنَ عنِ المُضيِّ عَلى الرّأيِ الذي لا يَجِدُ عليْه مُوافِقاً وَإنْ ظَنّ أنّهُ على اليَقينِ.

---

(١) البِذْلَة من البذل: ضد المنع، بَذَلَ بَذْلاً: أعطاه وجاء به، والمقصود هنا إفشاء سرّ العاقل لمن هم أهل ثقته، وإعلان عما في قلبه من أموره تثقل كاهله.

(٢) المفاوضة من فعل فاض. وفاوضه في أمره أي جاراه فأفض بعضهم إلى بَعْض، وفي حديث معاوية قال لدَغْفَل بن حنظلة: «بما ضَبَطْتَ ما أرى؟ قال: بمفاوضة العلماء، قال وما مفاوضة العلماء؟ قال: كنت إذا لقيت عالماً أخذت ما عنده وأعطيته ما عندي». والمفاوضة: المشاركة والمساواة.

(٣) ثُلَمٌ من فعل ثَلَمَ الإناء والسيف والجدار: كسر حَرْفه الواحدة الثُّلْمة: الخلل في الحائط وغيره وقيل: فُرْجة الحَرْف المكسور.

(٤) يؤتى أي يؤخذ على حين غرّة من العدو الصغير، فإذا به كبير يستولى على ملك الذي استهان به واحتقره. وهكذا تصير الأمور إلى الضياع والخسران.

وَعَلى العـاقِلِ أن يَعْـرِفَ أنّ الرّأيَ وَالهَـوَى مُتَعَادِيـانِ، وَأنّ مِنْ شَـأنِ النّـاسِ تَسْويفَ[1] الرّأيِ وَإسْعافَ الهَوَى، فيُخـالِفَ ذلكَ وَيَلتمِسَ أنْ لا يَـزَالَ هَوَاهُ مُسَـوَّفاً وَرَأيُهُ مُسْعَفاً.

وَعلى العـاقِلِ إذا اشْتَبَـهَ[2] عَليْهِ أمْـرَانِ فَلَمْ يَدْرِ في أيِّهِمـا الصّوَابُ أنْ يَنْـظُرَ أهْوَاهُما عِنْدَهُ، فَيَحْذَرَهُ.

علِّم نفسك قبل تعليم غيرك

وَمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ للنّاسِ إمَاماً في الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أنْ يَبْدَأ بِتَعْلِيمِ نَفْسَهِ وَتَقْويمِها في السّيـرَةِ وَالطُّعْمَـةِ[3] وَالرّأيِ وَاللّفْظِ وَالأخْـدانِ، فَيَكونَ تَعْليمُـهُ بِسِيرتِـهِ أبْلَغَ مِن تَعليمِهِ بِلِسانِهِ. فَإنّهُ كما أنّ كلامَ الحِكْمَةِ يُونِقُ[4] الأسْماعَ، فَكَـذلكَ عَمَـلُ الحِكْمَةِ يَرُوقُ[5] العُيُونَ وَالقُلوبَ. وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤدِّبُها أحَقُّ بِالإجْلالِ والتّفضِيلِ مِنْ مُعَلّمِ النّاسِ ومُؤدِّبِهِمْ.

أعمدة السلطان

وِلايَةُ النّاسِ بَلاءٌ عَظيمٌ. وَعَلى الـوَالي أرْبَعُ خِصَـالٍ هِيَ أعْمِدَةُ السّلْطانِ[6]

---

(١) التسويف: من فعل سَوَّف وسَوَّفتُ الرجل أمْرِي تسويفاً أي أخّرْتـه، والتّسْويف: التـأخير من قـولك سوف أفعل والتّسْويفُ المَطْلُ.

(٢) اشْتَبَهَ عليه وتشابه الشيئان: أشْبَهَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، والمشبهات من الأمور المشكلاتُ، وشبَّهَ عليه: خلَّط عليه الأمرَ حتى اشتبه بغيره والمقصود أن الإنسان إذا خلط الأمر عليه في أمرين فليحذر أكثرهما ميلاً لأنه أخطره على نفسه.

(٣) الطُّعْمَةُ: بالضَّم: شبه الرزق والكسب والمال، يريد به ما كـان له من الفَيْء وغيـره، ويقال: «فلانٌ يجبى له الطُّعَمُ أي الخراج والإتاوات».

(٤) يُـونِق والاسم الأنَقُ: الإعجابُ بـالشيء، أقول أَنِقْتُ بـه، وأنا آنَق بـه، وأَنِقٌ: مُعْجَبٌ، وأنه لأنيقٌ مونق: لكل شيء أعجبك حُسْنه، وآنقني الشيء يُؤنِقُني: يعجبني.

(٥) يـروق الاسم من الرَّوْقُ: المعجب، يقـال رَوْقٌ ورَيْقٌ والرَّوْقُ: رَوْقـاً وروقـانـاً: أعجبني فهـو رائق واشْتُقَّت منه الرُّوقة وهو ما حَسُن من الوصائفِ والوُصَفاء.

(٦) السُّلْطان: قُدْرَةُ المَلِكِ وتسلطه، قيل: «يذكر ويؤنث»، قيل: «وقدرة من جُعِل له ذلك وإن لم يكن =

وَأرْكَـانُهُ التي بهـا يَقُومُ وَعَلَيْهـا يَثْبُتُ: الاجْتِهادُ في التَّخَيُّـرِ، وَالمُبالَغَـةُ في التَّقَدّمِ، وَالتَّعَهّدُ[1] الشّديدُ، وَالجَزَاءُ العَتيدُ[2].

فَأمّا التَّخَيُّرُ للعمّالِ وَالوُزَراء فإنّهُ نِظامُ الأمْرِ وَوَضْعُ مؤونَـةِ[3] الْبَعِيدِ المُنْتَشِـرِ. فإنّهُ عَسَى أنْ يكـونَ بِتَخَيّرِهِ رَجُـلاً وَاحِداً قَـدِ اخْتَارَ ألْفـاً. لأنّهُ مَنْ كـانَ مِنَ العُمّالِ خِياراً فَسَيَخْتارُ كما اختِيرَ. وَلَعَلّ عُمّالَ العَـامِلِ وعُمّـالَ عُمّالِـهِ يَبْلُغونَ عـدَداً كَثيراً، فَمَنْ تَبَيّنَ التّخَيّرَ فَقدْ أخَذَ بِسَبَبٍ وَثيقٍ، وَمَنْ أسّسَ أمْرَهُ عَلى غَيْرِ ذلك لَمْ يَجِدْ لِبنائِهِ قِوَاماً.

وَأمّا التّقْديمُ وَالتّوْكيدُ، فإنّهُ لَيْس كلّ ذي لُبّ أوْ ذي أمانَـةٍ يَعْرِفُ وُجـوهَ الأمورِ والأعْمالِ. وَلَوْ كانَ بِذلكَ عَارِفاً، لم يكُنْ صَاحِبُـهُ حَقِيقاً أنْ يَكمِـلَ ذلكَ إلى عِلْمِـهِ دونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وَتَبْيِينِهِ لَهُ وَالاحْتِجاجِ عليْهِ بِهِ.

وَأمّا التّعَهُّدُ، فإنّ الوالي إذا فَعَلَ ذلكَ كان سميعاً بصيراً، وإنّ العامِلَ إذا فُعِلَ ذلك به كان مُتَحَصّناً حَريزاً[4].

وَأمّا الجَزاء فإنّه تَثْبِيت المُحْسِنِ وَالرّاحَةُ مِنَ المُسيء.

= مَلِكاً، والنون في السلطان زائدة لأن أصل بنائه السليط، وسمى السلطان كـذلك لتَسْليطه، وقيل: «سُمّي سلطاناً لأنه حجة من حجج الله».

(١) التَّعَهُّدُ: التحفظ بالشيء وتجديدُ العَهْد به والمعـاهَدَة والاعْتِهـادُ والتعاهـد والتَّعَهُّدُ واحـد. وهـو إحداث العهد بما عَهدْتَه.

(٢) العتيد من عَتُدَ الشيءُ فهو عتيد، وفرس عَتَدٌ وعَتِدٌ بفتح التاء وكسرها: شديد تام الخلق سريع الوثبة مُعَدٌّ للجَرْي ليس فيه اضطرابٌ ولا رخاوة. وقيل: هو العتيد الحاضر المهيأ.

(٣) المؤونة: الشدّةُ والثقل.

(٤) حريزاً من الحِرْز: الموضع الحصين، يقال: هذا حِرْزٌ حَريزٌ. تقول: هو في حِـرْزٍ لا يوصَـل إليه، وأَحْرَزْتُ الشيء أَحْرِزُه إذا حفظته وضممته إليك وصُنْته عن الأخذ. وفي الحديث: «اللهم اجعلنا في حِرْزٍ حارزٍ» أي كَهْفٍ مَنِيع.

بماذا يُستطاع[1] السلطان

لا يُسْتَطاعُ السّلطانُ إلاّ بالْوُزَرَاء وَالأعْوَانِ، ولا ينْفَعُ الوُزَرَاءُ إلاّ بالمَوَدّةِ والنّصِيحةِ، ولا المَوَدّةُ إلاّ مَعَ الرّأي والعَفافِ[2].

وَأعْمالُ السّلطانِ كَثيرَةٌ، وَقَلِيلٌ ما تُسْتَجْمَعُ الخِصَالُ المحْمودَةُ عندَ أحَدٍ، وإنما الوَجْهُ في ذلك وَالسّبيلُ الّذي بهِ يَسْتَقيمُ العَمَلُ أن يكونَ صَاحِبُ السُّلْطانِ عالماً بأمورِ مَنْ يُريدُ الاسْتعانَةَ بِهِ وَمَا عِندَ كُلّ رَجُلٍ مِنَ الرّأيِ وَالغَناء[3]، وَما فِيهِ مِنَ العُيوبِ. فإذا استَقَرّ ذلكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعِلْمِ مَنْ يَأتمِنُ وَجَّهَ لِكُلّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أنّ عِنْدَهُ مِنَ الرّأيِ وَالنّجْدَةِ[4] وَالأمانَةِ ما يحْتاجُ إليْهِ فِيهِ، وأنّ ما فِيهِ مِنَ العُيوبِ لا يَضُرُّ بِذلكَ، وَيَتَحفّظُ مِنْ أنْ يُوَجِّهَ أحَداً وَجْهاً لا يَحْتاجُ فِيهِ إلى مُرُوءةٍ، إنْ كانتْ عِنْدهُ، وَلا يَأمَنُ عُيُوبَهُ وَما يَكْرَهُ مِنْه.

ثمّ على المُلوكِ، بَعْدَ ذلكَ، تَعاهُدُ عُمّالِهِمْ وَتَفَقُّدُ أُمورِهِمْ، حَتّى لا يخْفَى عَلَيْهِمْ إحْسانُ محْسِنٍ ولا إساءةُ مُسيء.

ثمّ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ ذلكَ، أنْ لا يَترُكوا مُحْسِناً بِغَيرِ جَزَاءٍ وَلا يُقِرّوا[5] مُسِيئاً وَلا عاجِزاً عَلى الإساءةِ وَالعجْزِ. فإنّهُمْ إنْ تَركوا ذلكَ، تَهاوَنَ المُحْسِنُ، وَاجْتَرأ المُسيءُ، وَفَسَدَ الأمْرُ، وَضَاعَ العَمَلُ.

---

(١) يستطاع: من الاستطاعة بمعنى القدرة على الشيء وهي استفعال من الطاعة.

(٢) العِفّة: الكَفُّ عما لا يحِلُّ ويَجْمُلُ عَفّ عن المحارم والأطماع الدينية، والاستعفاف: طَلَبُ العَفاف، وهنا عن أموال الدولة والشعب.

(٣) الغناءُ: من الغَنِيُّ الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء وقيل: الغِنى مقصورٌ: ضدّ الفقر فإذا فتح مُدَّ لقول بعضهم: [المديد].

سَيُغْنِينِي الذي أغْنَاكَ عني ... فلا فقرٌ يَدُوم ولا غِنَاءُ

ويروى بالفتح والكسر فمن رواه بالكسر، أراد مصدر غانَيْت والفتح أراد الغنى نفسه.

(٤) النجدة من الفعل نَجِدَ نَجَداً، والنجدة مصدر جمعه نجدات: اسم المرَّة الشجاعة: القتال ويقال لاقى فلان نَجْدَةً أي هولاً وفزعاً. والشدة والبأس.

(٥) يُقِرّوا: من الفعل أقَرَّ يَقِرُّ الكلام بَيّنَه حتى عرفه والقُرّ بالضم. القرار في المكان، والمقصود عدم إقرار المسيء والعاجز على الخطأ والإساءة ففي هذا تهاون للمحسن الكريم.

الدنيا دُول

اقْتِصَارُ السَّعْي إبْقاءٌ للْجِمـام(١)، وفي بُعْدِ(٢) الهِمّـةِ يَكُون النَّصَب(٣)، وَمَنْ سَألَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ اسْتَحَقّ الحِرْمانَ، وَسوءُ حَمْلِ الغِنى أنْ يكونَ عِنْدَ الفَـرَحِ مَرِحـاً، وَسوءُ حَمْلِ الفاقَةِ أنْ يكونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرِهاً(٤)، وَعَارُ الفَقْرِ أهْوَنُ مِنَ عَـارِ الغِنى، وَالحاجَةُ مَعَ المَحَبّةِ خَيْرٌ من الغِنى معَ البُغْضَةِ.

الدّنْيا دُوَلٌ، فَمَا كانَ لكَ مِنْها أتـاكَ عَلى ضَعْفِكَ، وَمـا كانَ عَلَيْـكَ لَمْ تَدْفَعْـهُ بقُوّتِكَ.

المثل أوضح للمنطق

إذا جُعِـلَ الكَلامُ مَثَـلاً، كانَ ذلِـكَ أوْضَحَ للمَنْـطِقِ وَأبْيَنَ في المَعْنى وَآنَقَ(٥) للسَّمْعِ وَأوْسَعَ لِشُعوبِ الحَديثِ(٦).

لا مال أفضل من العقل

أشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ العَقْلِ، وَأشَدّ الوَحْدَةِ وَحْدَةُ اللَّجُوجِ(٧)، وَلا مـالَ أفْضَلُ مِنَ

---

(١) الجمَامُ: من فعل جَمَّ يُجِمُّ والضمّ أعلى، والجَمامُ بالفتح: الراحة. ومنه حديث طلحة: «رَمَى إليّ رسول الله ﷺ بِسَفَرْجَلـة وقال دونكها فـإنّها تُجِمُّ الفؤادَ أي تريحه». وقيل: تجمعه وتُكَمِّـلُ صلاحـه ونشاطه والمقصود تريحه.

(٢) بُعْد الهمَّة: قدر الهِمّة وشرفها.

(٣) النصب من نَصِبَ الرجلُ بـالكسر نصباً: أعْيا وتَعِبَ وفي الحـديث: «فاطمة بَضْعَةٌ مِنّي يُنْصِبُني مـا أنصبها» أي يُتْعِبُني ما أتْعَبَها والنَّصَبُ التَّعَبُ.

(٤) شـرِهاً: من فعـل شرِه شـراهة إلى الـطعام وعليـه: اشْتدّ ميله إليـه وتجاوز المعقـول والحاجـة عند الطلب.

(٥) الآنق: الإعجاب بالشيء، والآنق: حسن المنظر، وشيء أنيقٌ: حسن مُعجِب.

(٦) الشَّعْب: التفـريق، وشَعَّب الزرعُ وتَشَعَّبَ: صـار ذا شُعَبٍ أي فِـراقٍ، وانشعب الـطريقُ: تَفـرَّق، وشُعوبِ الحديث: متفرقه.

(٧) اللَّجُوجُ من فعل لَـجَّ في الأمر: تمـادى عليه وأبى أنْ يَنْصَـرِفَ عنه، ورجـل لَجوجٌ ولَجُـوجَة الهـاء للمبالغة: التمادي في الخصومة، وقيل البالغ الخصومة.

العَقْلِ ، وَلا أَنِيسَ آنَسُ مِن الاسْتِشارَةِ.

كن سَتوراً

مِمّـا يُعْتَبَرُ بِـهِ صَلاحُ الصّـالِحِ وَحُسْنُ نَـظَرِهِ للنّاسِ أنْ يكـونَ إذا اسْتَعْتَبَ[١] المُذنِبُ سَتوراً لا يُشِيـعُ وَلا يُذيـعُ، وَإذا اسْتُشيرَ سَمْحـاً بِالنّصِيحـةِ مُجْتهِداً للرّأيِ ، وَإذا اسْتشارَ مُطَرِحاً لِلْحَيَاء مُنَفِّذاً لِلْحَزْمِ مُعْتَرِفاً لِلْحَقّ.

الحارس والمحروس

القَسْمُ[٢] الـذي يُقْسَمُ للنّـاسِ وَيُمْتَعـونَ بـه نحْـوَان: فَمِنْـهُ حـارِسٌ وَمِنْـهُ مَحْـرُوسٌ، فالحـارِسُ العَقْلُ، وَالمَحْـرُوسُ المَالُ، وَالعَقْـلُ، بِإذْنِ اللَّهِ، هُـوَ الّـذي يُحْرِزُ الحظَّ، وَيُؤنِسُ الغُرْبَةَ، وَيَنْفي الفاقَـةَ، وَيُعَرِّفُ النَّكِـرَةَ، وَيُثَمِّرُ المَكْسَبَـةَ[٣]، وَيُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ، وَيُوَجِّهُ السُّوقَةَ[٤] عِندَ السّلْطانِ، وَيَسْتَنْزِلُ للسّلْطانِ نَصِيحَةَ السّوقَـةِ، وَيُكْسِبُ الصّديقَ، وَيَكْفي العَدُوَّ.

---

(١) اسْتَعْتَبَ من العَتْب: لومك الرجلَ على إساءَة كانت له إليك فاستعتبته منها أي استرخاه وطلب عفوه وذَكَّرَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه مـا فَرَط منـه إليه من الإسـاءَة والعُتْبَى: رجوعُ المعتـوب عليه إلى مـا يُرضِي العاتِبَ.

(٢) القَسْمُ مصـدر قَسَمَ الشيء، والقِسْم بـالكسـر الحظ والنصيب من الخير. وقـولـه عـزّ وجـلَّ: ﴿فالمُقَسِّماتِ أمراً﴾، هي الملائكة تُقَسِّم ما وُكِّلت به والقِسْم والقَسِيم: نصيب الإنسان من الشيء والرزق والمال.

(٣) المكسبة في الأصل الكَسْبُ: طَلَبُ الرِّزْقِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ما أغْنَى عنه مالُه وما كَسَبَ﴾ قـوله و «مـا كسب» أي ما كَسَب ولـده، وأنّـه لـطيب الكَسْبِ والمكْسِبَة والمكسَبَـة، والكَسْبُ: الـطَّلَبُ السَّعْيُ في طلب الرزق والمعيشة.

(٤) السُّوقة: بمنزلة الرعية التي يَسُوسُها الملوك، وسُمُّوا سُوقـة لأن الملـوك يسوقـونهم فينساقـون لهم يقال للواحد وللجماعة: سُوقة والسُّوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان. وقول ابن المقفع يُوَجِّـهُ السُّوقَة عند السلطان أي يشوقها ويرفع من قدرها.

الأدب العظيم

كَلامُ اللّبيبِ، وَإنْ كانَ نَزْراً[١]، أدَبٌ عَظِيمٌ، وَمُقَارَفَةُ[٢] المَأثَمِ[٣]، وَإنْ كانَ مُحْتَقَراً، مُصِيبَةٌ جلِيلَةٌ. وَلِقاءُ الإخْوَانِ، وَإنْ كانَ يَسيراً، غُنْمٌ[٤] حَسَنٌ.

أجناس الناس

قَدْ يَسْعَى إلى أبْوَابِ السّلْطانِ أجْنَاسٌ مِنَ النّاسِ كَثيرٌ، أمّا الصّالِحُ فَمَدْعُوَ، وَأمّا الطّالِحُ فمُقْتَحِمٌ[٥]، وَأمّا ذو الأدَبِ فطالِبٌ، وَأمّا مَنْ لا أدَبَ لَهُ فَمُخْتَلِسٌ[٦]، وَأمّا القَوِيّ فمُدَافِعٌ، وَأمّا الضّعِيفُ فَمَدْفوعٌ، وَأمّا المُحْسِنُ فمُسْتَثِيبٌ[٧]، وَأمّا المُسيء فَمُسْتَجيرٌ[٨]. فَهُوَ مَجْمَعُ البَرِّ وَالفاجِرِ، وَالعالِمِ وَالجاهِلِ، وَالشّريفِ والوَضِيعِ.

النّاسُ، إلاّ قَلِيلاً مِمّنْ عَصَمَ اللّهُ، مَدْخُولونَ في أُمورِهِمْ[٩]: فَقَائِلُهُمْ بَاغٍ،

---

(١) نَزْراً من النَّزْر: القليل، والنَّزير القليل من كل شيء، ونَزُرَ الشيء بالضم ينزُرُ نَزْراً ونَزَّر عطاءه قَلَّلَهُ.

(٢) المقارفة من فعل قَرَفَ الشيء: داناه، ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنيّة. وفي حديث الإفك: «إن كنتِ قارَفْتِ ذنباً فتوبي إلى الله»، وهذا راجع إلى المقاربة والمُداناة.

(٣) المأثم والإسم الإثم؛ وأَثِم فلان بالكسر يأثم إثماً أي وقع في الإثْم.

(٤) الغُنْم: الفوز بالشيء من غير مشقة، وغنم الشيء غُنْماً: فاز به.

(٥) مُقْتَحِمٌ من الفعل قَحَمَ. وقَحَم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رَوِيَّة وتقحيم النفس: إدخالها فيه من غير رويّة، وفي حديث عائشة: «أقبلت زَيْنَبُ تَقَحَّم لها» أي تَتَعرَّضُ لشتمها.

(٦) المُخْتَلِسُ من الفعل خَلَسَ الشيء: سلبه بمخاتلة وعاجلاً، وإخْتَلَسَ الشيء: خَلَسَهُ. والخلسة اسم من اختلس: ما يخلسُ الفرصة المناسبة بحذر منه قولهم: «الخلسة سريعة الفوت بطيئة العَود» على التشبيه والاستعارة. وهذا الأسلوب شبيه بأسلوب هذا القول: «أما أنت ذا أدب تفتخر».

(٧) المتثيب من الثواب: جزاء الطاعة لإحسانه وبره مكافأة له على صنيعه.

(٨) المستجير من فعل استجار أي استغاث طالباً الحماية والحفظ لسلامته من الخطر المحدق به.

(٩) مدخولون في أمورهم: أي داخلة الرجل، على معنى باطن أمره من نيته ومذهبه وخَلده وبطانته والمقصود هنا: إنّه لخبيث الدُّخلة، والدَّخل الإنسان من فساد في العقل أو في الجسم.

وسامِعُهُمْ عَيّابٌ، وَسَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ[1]، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، وَوَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بِالْفِعْلِ، وَمَوْعوظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ من الاسْتِخْفافِ، وَالأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ إِتْيانِ الخِيانَةِ، وَالصَّدوقُ غَيرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَديثِ الكَذَبَةِ، وَذو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ[2] عَنْ تَفْرِيطِ[3] الفَجَرَةِ، وَالحَازِمُ مِنْهُمْ غَيرُ تَارِكٍ لِتَوَقُّعِ الدَّوائِرِ.

يَتَنَاقَضُونَ البِنَاءَ[4]، وَيَتَرَاقَبُونَ الدُّوَلَ، وَيَتَعَايَبُونَ بِالهَمْزِ[5]، مُولَعُونَ في الرَّخاء بِالتَّحاسُدِ، وفي الشِّدَّةِ بالتَّخاذُلِ.

لا تغترّ بالدنيا

كَمْ قَدِ انتُزِعَتِ الدُّنْيا مِمَّنِ اسْتَمْكَنَ مِنْها وَاعْتَكَفَتْ[6] لَهُ! فأَصْبَحَتِ الأَعْمالُ أَعْمالَهُمْ وَالدُّنْيا دُنْيا غَيرِهِمْ، وَأَخَذَ مَتَاعَهُمْ مَنْ لَمْ يَحْمَدْهُمْ، وَخَرَجوا إلى مَنْ لا يَعْذُرُهُمْ.

فَأَصْبَحنا خَلَفاً منْ بَعْدِهِمْ، نَتَوَقَّعُ مِثْلَ الّذي نَزَلَ بِهِم، فَنَحْنُ إذا تَدَبَّرْنَا أُمورَهُمْ، أَحِقّاءُ[7] أَنْ نَنْظُرَ ما نَغْبِطُهُمْ بِهِ فَنَتَّبِعَهُ وما نَخافُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ فَنَجْتَنِبَهُ.

---

(١) المتَعَنِّت من العَنَت: المشقة والفساد والإثم والغلط. ومنه الحديث: «فَيَعْنِتُوا عليكم دينكم» أي يدخلوا عليكم الضرر في دينكم.

(٢) المتَوَرِّعُ من الوَرْعُ: الكَفُّ عن المحارم والتَحَرُّج منها. وفي حديث قيس بن عاصم: «فلا يُوَرِّع رجل عن جمَل يختطمه» أي يُكَفُّ ويُمْنَعُ.

(٣) التفريط من الفعل فرط: جَاوز قَدْرَهُ والإفراط: الزيادة في الأمر. وقيلَ الفُرُط: الإعجال والندم والمقصود هنا: التأنيب واللوم والشتم حتى المجاوزة، **والفَجَرةُ**: من فعل فَجَر، وفجر الإنسان مال عن الحق والصدق والخُلُق الحَسن، وفي الحديث: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجَّاراً إلاَّ من اتقى الله». **أما الكَذَبَةُ**: المنحرفون عن الأمر بالمعروف إلى النهي عن المنكر وارتياب المعاصي والفسق.

(٤) يتناقضون البناء: من فعل نقض البناء: هدمه وقوض صرحه.

(٥) الهَمْزُ: الغَضُّ والعَيْبُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ والهَمَزَة: الغيبة ويكون ذلك بالشِّدْقِ والعين والرأس.

(٦) اعْتَكَفَتْ من عَكَفَ على الشيء: أَقبلَ عليه مواظباً لا يصرف عنه وجهه. وقيل: أقام، وظَلْتُ عليه عَاكِفاً أي مقيماً وملازماً.

(٧) أحقاء من فعل حَقَّ، وحَقَّ الشيءُ يحِقّ بالكسر حقاً أي وَجَب، وأُحْقَقْت الشيء أوجبته، وكلام =

كيف تطلع الشيطان على عورتك

كَانَ يُقالُ إنّ اللّهَ تَعالى قَدْ يأمُرُ بالشَّيْءِ وَيَبْتَلي بِثِقَلِهِ[١] وَيَنْهى عَنِ الشَّيْءِ وَيَبْتَلي بِشَهْوَتِهِ.

فإذا كُنْتَ لا تَعْمَلُ مِنَ الخَيْرِ إلاّ ما اشْتَهَيْتَهُ، وَلا تَتْرُكُ مِنَ الشَّرّ إلاّ ما كَرِهْتَهُ، فَقَدْ أطْلَعْتَ الشَّيْطانَ على عَوْرَتِكَ، وَأمْكَنْتَهُ مِنْ رُمّتِكَ[٢]، فَأوْشَكَ أنْ يَقْتَحِمَ عَلَيْكَ فِيما تُحِبّ مِنَ الخَيرِ فَيُكَرِّهَهُ إلَيْكَ وَفِيما تَكرَهُ مِنَ الشّرّ فَيُحَبِّبُهُ إلَيْكَ. وَلكِنْ يَنْبَغي لكَ في حُبّ ما تُحِبّ مِنَ الخَيْرِ التَحامُلُ على ما يُسْتَثقَلُ مِنْهُ، وَيَنْبَغي لكَ في كَراهَةِ ما تَكْرَهُ منَ الشّرّ التّجَنّبُ لما يُحَبّ مِنْهُ.

زخرف الدنيا

الدّنْيا زُخْرُفُ يَغْلِبُ الجَوارِحَ[٣]، ما لَمْ تَغْلِبْهُ الألْبابُ. وَالحكيمُ مَنْ يُغْضي عَنْهُ وَلمْ يَشْغَلْ بِهِ قَلْبَهُ: اطّلَعَ مِنْ أدناهُ فيما وَراءهُ، وَذَكَرَ لَواحِقَ شَرّهِ فَأكَلَ مُرّهُ وَشَرِبَ كَدِرَهُ لِيَحْلَوْلِيَ لَهُ وَيَصْفوَ في طُولٍ مِنْ إقامَةِ العَيْشِ الذي يَبْقى وَيَدومُ، غَيْرَ عائِفٍ[٤] للرّشْدِ إن لمْ يَلْقَهُ بِرِضاهُ، ولمْ يَأتِهِ مِنْ طَريقِ هَواهُ.

= محقق أي رصين وجدير بالمقام. وقيل: إنه لحقيق أي جدير بتدبير الأمور.

(١) ثقِله من فعل ثقل، والثقلُ: الوِزْرُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالهم وأثْقالاً مع أثقالهم﴾ أي ذنوباً لثقلها. وتقول العرب: «لكلِّ شيء نَفِيس خطير مصون ثَقَل». من جهة عِظَم قدر الأمر. وجلالة خطره.

(٢) رُمَّتِك: من فعل رَمَّ. ورَمَّ الحبل: تقطع، والرُّمّة والرِّمّة قطعة من الحبل بالية، والجمع رِمَمٌ ورِمامٌ. فالذي يطلع الشيطان على عورته كما يقول ابن المقفع يكون كالأسير الذي يُشَدُّ بالحبل أو القاتل الذي يُقاد إلى القصاص أي يُسَلِّم نفسه إلى الشيطان فيأخذه. أخذَ ذليل محتقر بحبل الإنسان نفسه.

(٣) الجَوارِحُ من الفعل جَرَحَ وَجَرَح الشيء: كَسَبَه. وقيل لأناث الخيل جوارح واحدتها جَارِحة لأنها تكسب أربابَها نِتاجَها. وقيل: الجوارح المكاسب من المال وغيره. وفي التنزيل العزيز: ﴿أمْ حَسِبَ الّذين اجْترحُوا السيئات﴾ أي أكسبوها.

(٤) عائف من فعل عاف الشيء: كرهه. وغلب على كراهة الطعام فهو عائف. وقد استعار النجاشي هذا الفعل وسنده للكلاب فقال يهجو ابن مقبل: [الطويل]. =

القيام على الثقة

لا تَألَفِ المُسْتَوْهِم[1]، وَلا تُقِمْ على غَيرِ الثِّقَةِ.

شكر الله على نعمه والعمل بطاعته

قَدْ بَلَغَ فَضْلُ اللَّهِ على النّاسِ مِنَ السّعَةِ وَبَلَغَتْ نِعْمَتُهُ عليْهِمْ منَ السُّبوغِ[2] ما لَوْ أنَّ أخَسّهُمْ[3] حَظّاً وَأقلّهُمْ مِنْهُ نَصِيباً وَأضْعَفَهُمْ عِلْماً وَأعْجَزَهُمْ عَمَلاً وَأعْياهُمْ لِساناً بَلَغَ مِنَ الشّكْرِ لَهُ والثّناء عَلَيْهِ بما خَلَصَ إلَيْهِ مِن فَضْلِهِ، وَوَصَلَ إلَيْهِ من نِعْمَتِهِ، مَا بَلَغَ لَهُ مِنْهُ أعْظَمُهُمْ حَظّاً وَأوْفَرُهُمْ نَصِيباً وَأفْضَلُهُمْ عِلْماً وَأقْوَاهُمْ عَمَلاً وَأبْسَطُهُمْ لِساناً، لَكانَ عَمّا اسْتَوْجَبَ[4] اللَّهُ عليْهِ مُقصِّراً وَعَنْ بُلوغِ غايَةِ الشّكْرِ بَعِيداً.

وَمَنْ أخَذَ بحَظِّهِ منْ شُكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَمَعْرِفَةِ نِعَمِهِ وَالثّناء عَلَيْهِ وَالتّحْمِيدِ لَهُ، فقَدِ اسْتَوْجَبَ بِذلكَ مِنْ أدائِهِ إلى اللَّهِ القُرْبَةَ عِنْدَهُ وَالوَسِيلةَ إلَيْهِ وَالمَزِيدَ فِيما شَكَرَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدّنْيا، وَحُسْنِ ثَوَابِ الآخِرَةِ.

أفْضَلُ ما يُعْلَمُ بِهِ عِلْمُ ذي العِلْمِ وَصَلاحُ ذي الصّلاحِ أنْ يَسْتَصْلِحَ بما أُوتِيَ مِنْ ذلكَ مَا اسْتَطاعَ مِنَ النّاسِ وَيُرَغّبَهُمْ فيما رَغِبَ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبّ اللَّهِ، وَحُبّ

= تَعَافُ الكِلابُ الضّارِياتُ لُحُومَهُمْ ... وتأكُلُ من كعب بن عَوْفٍ ونَهْشَلِ

(1) المستوهم: من الوهم، والوهم: من خَطَراتِ القلبِ، والجمع أوهام وللقلب وهم، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿لا تدْرِكُه أوهامُ العبادِ﴾.

(2) السُّبُوغ من فعل سَبَغَ. وسَبَغَ الشيء وهو سَابِغٌ أي كامِلٌ وافٍ وسَبَغَتِ النّعمةُ تَسْبُغُ بالضم سُبوغاً: اتسعت وزادت. وعليه فلو شكر أخَسُّ النّاسِ اللَّه على ما أسبغه عليه من نعمه، ولو شكر أعظمهم حظاً الله على نعمه أيضاً لكان مقصراً كل منهما وبعيداً عن الغاية من الحمد والثناء.

(3) أخَسَّهُم مصدرها الخساسة. فالخسيس البَيِّن الخساسة، والخَسِيسُ: الدنيء، ورجل مخسوس: مرذول جاء بخسيس الأفعال والأعمال والأقوال.

(4) استوجب من فعل وَجَبَ. وَجَب الشيءُ يَجِبُ وجوباً أي لزِمَ. وأوجَبَه الله، واستوجبه أي استحقه. وفي الأمثال قيل: حَقُّكَ عليَّ واجبٌ، وكان الحسن يراه لازماً. وأراه ثابتاً.

حِكْمَتِهِ، وَالعَمَلِ بِطاعَتِهِ، وَالرّجاءِ لحُسْنِ ثَوَابِهِ في المَعادِ[1] إلَيْهِ، وَأنْ يُبَيّنَ الّذي لَهُمْ مِنَ الأخْذِ بِذلك والّذي عَلَيْهِمْ في تَرْكِهِ، وَأنْ يُوَرِّثَ ذلِك أهْلَهُ ومَعَارِفَهُ لِيَلْحَقهُ أجْرُهُ[2] مِنْ بَعْدِ المَوْتِ.

الدين أفضل المواهب

الدِّينُ أفْضلُ المواهِبِ الّتي وصلَتْ من اللّهِ إلى خَلْقِهِ، وأعظَمُها مَنْفَعَةً، وأحْمَدُهَا في كلّ حِكْمَةٍ، فَقَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدِّينِ والحكمةِ أنْ مُدِحا على ألْسِنَةِ الجُهّالِ[3] عَلى جَهالَتِهِمْ بهِما وعَماهُمْ عَنهما.

أحقّ الناس

أحَقُّ النّاسِ بالسّلطانِ أهْلُ المَعْرِفَةِ[4]، وَأحَقُّهم بالتّدْبيرِ العُلماءُ، وأحَقّهُمْ بالفَضْلِ أعْوَدُهُمْ[5] عَلى الناسِ بفَضْلِهِ، وأحَقّهُمْ بالعِلمِ أحْسَنُهُمْ تَأديباً[6]،

---

(١) المَعَادُ من المَوْعِد والمَوْعِدُ: موضع التواعُدِ وهو الميعادُ، والميعادُ: وقت الوعد وموضعه. ومنه قوله تعالى: ﴿إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده فهو سبحانه وتعالى الذي يعيدُ الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة.

(٢) أجره من الأجْر، والأَجْرُ: الجزاء على العمل والأجْرُ: الثواب ومنه قوله تعالى: ﴿وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدُّنيا﴾ من الذكر الحسن.

(٣) الجهال الذين قصدهم ابن المقفع هم الجهال للدِّين الإسلامي ولسائر الأديان السماوية الحكيمة. اذكر منهم كعب بن زهير بن أبي سُلْمى، شاعر عالي الطبقة ولكنه بعد أن أسلم أدرك حكمة الدين وفضله على البشر وعظم منفعته في الدنيا والآخرة. ومنهم أيضاً عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ ووالد زيد بن حارثة مولى النبي محمد ﷺ ومنهم أيضاً راهب من حريصة أعرفه على وجه اليقين يعترف بنبوة الرسول الكريم إلا أنه يظهر لملته عكس ما يبطن.

(٤) المعْرِفَة من فعل عرف بمعنى علم وقصد ابن المقفع بأهل المعرفة هنا الذين يدركون تمام الإدراك والعلم بشؤون الملك وسيادة الدولة، وتدابير السلطة لأمور الرعيّة ونظم الأمصار.

(٥) أعْوَدُهُم على النّاس: أولئك الذين اعتادوا الكرم والفضل عن طبيعة دون تكلّف وتصَنّع، وأعودهم: أكثرهم اعتياداً على صيغة أفعل التفضيل للمبالغة. أشعاراً من الأديب بقيمتهم في رأي السلطان.

(٦) تأديباً من الفعل أدّب. وقصد ابن المقفع هنا أحسنهم تأديباً: أدب المعاشرة وأدب العلم وأدب التعلّم.

وأحَقُّهُمْ بالغِنى أهْلُ الجُـودِ، وأقْرَبُهُمْ إلى اللّهِ أنْقَـذُهُمْ في الحَقّ عِلْماً وأكْمَلُهُمْ بِـه عَمـلاً، وأحْكَمُهُمْ(١) أبعدُهمْ من الشّـكّ في اللّهِ، وَأصْوبُهُمْ رجـاءً أوْثَقُهمْ(٢) باللّهِ، وأشَدّهُم انتِفاعـاً بِعِلْمِهِ أبْعَـدُهُمْ مِن الأذى، وأرْضاهُمْ في النّـاسِ أفْشاهُمْ مَعْـرُوفاً، وأقْواهُمْ أحْسَنُهُمْ مَعونَةً، وأشْجَعُهُمْ أشَدُّهُمْ على الشّيْـطانِ، وأفْلَحُهُمْ بحُجّةٍ أغْلَبُهُمْ للشّهْوةِ والحِرْصِ ، وآخَذُهُمْ بالرّأيِ أتْركُهُمْ للهَوى(٣)، وأحَقّهُمْ بِالمَودّةِ أشَدّهُمْ لِنَفْسِهِ حُبّاً، وأجْوَدُهُمْ أصْوَبُهُمْ بِالعَطِيّةِ مَوْضِعاً، وَأطْوَلُهُمْ راحَةً أحْسَنُهُمْ لِـلأمورِ احْتِمـالاً، وأقَلّهُمْ دَهَشاً أرْحَبُهُمْ ذِراعاً(٤)، وَأوْسَعُهُمْ غِنًى أقْنَعُهُمْ بما أُوتيَ، وأخْفَضُهُمْ عَيْشاً(٥) أبْعَـدُهُمْ مِنَ الإفْراطِ، وأظْهَـرُهُمْ جَمـالاً أظْهَـرُهُمْ حَصـافَـةً(٦)، وآمَنُهُمْ في النّـاسِ أكَلُّهُمْ(٧) ناباً ومِخْلَبـاً، وأثْبَتُهُمْ شَهادَةً عَلَيْهِمْ أنْـطَقُهُمْ عَنْهُمْ، وَأعْدَلُهُمْ فِيهِمْ أدوَمُهُمْ مُسالَمَةً لَهُمْ، وأحَقُّهُمْ بِالنِّعَمِ أشكَرُهُمْ لِما أُوتيَ منها.

العُجْب آفة العقل

أفْضَـلُ مـا يُـورِثُ الآبـاءُ الأبْنـاءَ، الثّنـاءُ الحَسَنُ والأدبُ النّـافِـعُ والإخْـوانُ الصّالحُون.

---

(١) أحْكمُهُم من الفعل أحْكَم. وأحكم الأمر أتْقَنَه ومنه قوله تعـالى: ﴿وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيـاً﴾ أي العلم والفقه والإيمان بتعاليم الله كإيمان العجائز.

(٢) أوثقهم بالله من الوثيقة والصلة بين العبد وربّه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بالعُـرْوَةِ الوُثْقى﴾ وقصد الأديب بصيغة أفعـل التفضيل أوثقهم: أعصمهم بـالوثيقـة لصواب رجـائهم في ربهم ودينهم هذا الوثوق الذي لا يحلّه شبهة.

(٣) هَـوى: جمع أهـواء. وهوى: أحب. ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ونَهَى النَّفْسَ عن الهَـوى﴾ نهـاهـا عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عزَّ وجلّ.

(٤) أرحبهم ذِراعاً: الأصل الذَّرْع البسط في اليد، والذَّرْع يوضع موضع الطاقـة والخُلق. والمقصود أنَّ أوسعهم وأبسطهم ذراعاً أولئك الذين يأخذون الأمور على طبيعتها.

(٥) أخْفضُهم عيشاً: الخفض اللّين والبساطة في العيش والحياة الدنيا.

(٦) الحَصَافة: ثخانةُ العَقْـل. وحَصُفَ بالضم حَصـافةً: جيِّـدَ الرأي مَحْكم العقـل، وقول ابن المقفـع أظهرهم جمالاً في نظره: أوضحهم للبرهان وأبْينهم للحجج وأجودهم وأحكمهم للرأي والتدبير.

(٧) أكلُّهم من الفعل كَلَّ، وكَلَّ النّاب: لم يقـطع وكنّى بذلـك عن ضعف الرجـل الثقل الـذي كَلَّ عن ضرر الآخرين.

فَصْلُ ما بَين الدِّين والرّأيِ، أنّ الدّين يَسْلَمُ بالإيمانِ، وأنّ الرّأيَ يَثْبُتُ بالخُصُومَةِ[١]، فَمَنْ جَعَلَ الدّين خُصُومَةً، فَقَدْ جَعَلَ الدّينَ رأياً، ومَنْ جَعَلَ الرّأيَ دِيناً فَقَدْ صار شَارِعاً[٢]، ومَنْ كان هُو يَشْرَعُ لِنَفْسِهِ الدّينَ فَلا دِينَ لَهُ.

قَدْ يَشْتَبِهُ الدّينُ والرّأيُ في أماكِنَ، لَوْلا تشابُهُهُمَا لمْ يحْتاجا إلى الفَصْلِ.

العُجْبُ[٣] آفَةُ العَقْلِ، واللَّجاجَةُ[٤] قُعودُ الهَوى، والبُخْلُ لِقاحُ الحِرْصِ، والمِراءُ[٥] فَسادُ اللّسانِ، والحَمِيَّةُ[٦] سَبَبُ الجَهْلِ، والأنَفُ تَوْأمُ السَّفَهِ[٧]، والمُنافَسَةُ أُخْتُ العَدَاوةِ.

حكمتان

إذا هَمَمْتَ بِخَيرٍ فَبادِرْ[٨] هَواكَ، لا يَغْلِبْكَ؛ وإذا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّف[٩] هَواكَ

---

(١) الخصومة من الفعل خَصَمَ والخصم: الجدل، وخاصمه: غلبه بالحجّة ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَان خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهم﴾ والمعنى أنّ الجدل والنزاع دار بين المؤمنين والكفار وكل واحد من الفريقين خَصْمٌ.

(٢) شارعاً من الشارع والشرَّاع: الذين يشرعون ويسهرون على تطبيق ما شرّع الله للعباد من شريعة الصوم والصلاة والحج وغيره.

(٣) العُجْبُ: الزُّهُوُّ، ورجل مُعْجَب: مَزْهُوٌّ بما يكون منه حَسَناً أو قبيحاً. والعُجْب بالضم: فَضْلَةٌ من الحُمْق صرفتها إلى العُجْب.

(٤) اللَّجاجة من فعل لَجّ. ولَجَّ في الأمر تمادى عليه وأبى أن يَنْصَرِفَ عنه. وفي الحديث: «إذا اسْتَلَجَّ أحَدُكم بيمينه فإنَّه آثَمُ له عند الله من الكفّارةِ، وهو استفعل من اللّجاج أي يحلف على شيء ويرى أن غيره خير منه فيقيم على يمينه ولا يحنث فذاك آثم.

(٥) المِراءُ: أصله في اللغة الجِدال، وأن يستخرج الرجل من مُنَاظِره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها. والمِراء أيضاً: من الامْتِراءِ والشكِّ، وفي التنزيل العزيز: ﴿فلا تُمارِ فيهم إلاّ مِراءً ظاهراً﴾.

(٦) الحَمِيَّة: الأنفة، والحميَّة المنْكَرَة إذا كان ذا غضب مدفوع عن الجهل الهدام.

(٧) السَّفَه: الجهل، وسَفُهَ: جهل فهو سَفِيهٌ والجمع سُفَهاء وسِفَاهٌ ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءِ﴾ وسَفِهَ نَفْسَه: خَسِرَها جهلاً.

(٨) فبادر: بَدَرْتُ إلى الشيءِ أبْدُرُ: أسْرَعْتُ، وبَادَرَ الشيء مبادرةً وبَدَرَ غَيْرَه إليه يَبْدُرُه: عَاجَله، وبهذا حضّ ابن المقفع العاقل إذا ما عزم على فعل الخير فليسرع في تنفيذه ليكون هو الغالب والسابق والمقدم على هواه.

(٩) فسَوِّف هواك: سَوَّفت الرجل أمري تسويفاً أي أخرّته. والتَّسْوِيفُ: التَّأخِير، من قولك سوف أفعل =

لَعَلّك تَظْفَرُ. فإنّ ما مضى مِنَ الأيّامِ والسّاعاتِ على ذلك هُو الغُنْمُ.

لا يمْنَعَنَّك صِغَرُ شَأنِ امْرِىءٍ من اجْتِناء ما رأيْتَ مِنْ رأيِهِ صواباً والاصْطِفاءِ لِما رأيْتَ مِنْ أخْلاقِهِ كريماً، فإنّ اللُّؤلُؤة الفائقَةَ لا تُهانُ لِهَوانِ غائِصِها[1] الذي اسْتَخْرَجَها.

العلم زين لصاحبه

من أبْوابِ التَّوَفُّقِ والتَّوْفِيقِ في التّعَلّمِ أنْ يكون وجْهُ الرّجُلِ الّذي يَتوجّهُ فِيهِ من العِلْمِ والأدَبِ فِيما يُوافِقُ طَاعَةً ويَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وَقَبولٌ. فلا يَذْهَبُ عناؤهُ في غَيرِ غَنَاءٍ، وَلا تَفْنى أيّامُهُ في غَيرِ دَرْكٍ، وَلا يَسْتَفْرِغُ نَصِيبَهُ فِيما لا يَنْجَعُ فِيهِ، ولا يكون كَرَجُلٍ أرادَ أن يُعَمِّرَ أرْضاً تَهَمَةً[2] فَغَرَسَهَا جَوْزاً وَلَوْزاً، وَأرْضاً جَلْساً[3] فَغَرَسَهَا نَخْلاً وَمَوْزاً.

الْعِلْمُ زَيْنٌ لِصَاحِبِهِ في الرّخاء، وَمَنْجاةٌ لَهُ في الشّدّة.

بالأدَبِ تَعْمُرُ القُلوبُ، وَبِالعِلْمِ تُسْتَحْكَمُ[4] الأحْلامُ[5].

= والتسويف: المَطْلُ.

(١) غائصِهَا: الأصل أنْ يُعَدَّ اللفظ هذا بحرف الجر. فنقول: «غَاصَ في البحر»، ولكن ابن المقفع هنا عدّاها مباشرة دون حرف الجر.

(٢) التَّهَمَةُ: المسافة من الأرض المتَصَوِّبة إلى مياه البحر فهي لهذا تربتها لا ينبت فيها الزرع والشجر.

(٣) جَلْساً: الجَلْسُ: كل مرتفع من الأرض. ومنه الحديث: «أنَّه أقطع بلال بن الحرث مَعَادِن الجَبَليّة غَوريَّها وجَلْسِيَّها». وهي لا تُصْلح لغرس النخل ولا الموز.

(٤) تُسْتَحْكَمُ من فعل اسْتَحْكَمَ الرجلُ: إذا تناهى عما يضره في دِينه ودُنياه، والمقصود أن بالعلم يرفع الضرر ويتناهى عن الجهل.

(٥) الأحلام: الواحد الحِلْمُ الكسر: الأناةُ والعقل. ومنه قوله تعالى: ﴿أمْ تأمُرُهُم أحْلامُهُم بهذا﴾ وفي حديث النبي ﷺ في صلاة الجماعة: «لِيلِيَنِّي مِنْكُم أولو الأحْلام والنُّهى». أيّ ذوو الألباب والعقول.

العقل الذاتي

الْعَقْلُ الذّاتيّ غَيرُ الصّنِيعِ[١]، كَالأرْضِ الطّيّبَةِ غَيرِ الخَرابِ.

الدليل على معرفة الله

مِمّا يَدُلّ على مَعْرِفَةِ اللّهِ وَسَبَب الإيمانِ أنْ يُوكِّلَ بالغَيْبِ لِكُلّ ظَاهِرٍ مِنَ الدّنْيا، صَغيرٍ أوْ كَبيرٍ، عَيْناً، فَهوَ يُصرّفُهُ ويُحرّكه. فَمَنْ كان مُعتبراً بالجَليلِ من ذلِكَ فَلْيَنْظُرْ إلى السّماء فَسَيَعْلَمُ أنّ لها ربّاً يُجْري فَلَكَها، وَيُدَبّرُ أمْرَها، وَمَنِ اعْتَبَرَ بالصّغيرِ، فَلْيَنْظُرْ إلى حَبّةِ الخَرْدَلِ[٢] فَسَيَعْرِفُ أنّ لها مُدَبّراً يُنْبِتُها ويُزْكِيَها وَيُقدِّرُ لها أقْوَاتَها من الأرْضِ والماء، يُوَقّتُ لها زَمانَ نَباتِها وَزَمانَ تَهَشّمِها[٣]، وَأمْرِ النّبُوّةِ والأحْلامِ[٤] وَما يَحْدُثُ في أنْفسِ النّاسِ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلمونَ، ثُمّ يَظْهَرُ مِنهُمْ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ، ثمّ اجْتِماعِ العُلَماء وَالجُهّالِ وَالمُهْتَدينَ وَالضُّلاّلِ على ذِكْرِ اللّهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَاجْتِماعِ مَنْ شَكّ في اللّهِ وَكَذّبَ بِهِ على الإقْرارِ بِأنّهُمْ أُنْشِئوا حَديثاً، وَمَعْرِفَتِهِمْ أنّهُمْ لَمْ يُحْدِثوا أنْفُسَهُمْ.

فَكُلّ ذلكَ يَهْدي إلى اللّهِ وَيَدُلّ على الّذي كانتْ مِنْهُ هذِهِ الأمورُ، معَ ما يَزيدُ ذلكَ يَقِيناً عِنْدَ المؤمِنينَ بأنّ اللّهَ حَقٌّ كَبيرٌ وَلا يَقْدُرُ أحدٌ علَى أنْ يُوقِنَ أنّهُ بِالْباطِلِ.

---

(١) الصَّنِيعُ: من فعل صَنَعَ، والصانع: الماهر الحاذق. وفي الحديث: «مَنْ بَلَغَ الصِّنْعَ بِسَهْم». الصِّنعُ بالكسر: الحِصْنُ، أي اكتساب المعرفة التي تحصن هذا العقل الذاتي بل الفطريّ ليصبح كالأرض الطيّبة غير الخراب ذات التربة الخصبة.

(٢) الخَرْدَلُ: الواحدة خَرْدَلَة، وهو نبات عشبي حَبُّه صغير أسود مُقَرَّح يستعمل في التوابل له فوائد طبية، ويستخرج منه الزيت.

(٣) تَهَشّمِها من الهشيم الفعل منه هَشَّمَ. والهشيمُ: النبت اليابس المتكسِّر، والشجرة البالية.

(٤) الحُلْمُ والحُلُمُ جمع أحلام، ويقال حَلَمَ يَحْلُمُ: إذا رأى في المنام. ومنه قول بشر بن أبي حازم: «أحقٌ ما رأيتَ أم احْتِلامُ؟» هذه الأحلام التي تحدث في الأنفس والتي تظهر منها بالقول والفعل، والنبوة والسماء والأفلاك هذه الأمور العظيم الجليلة وغيرها لأكبر دليل على وجود الله في عرف ابن المقفع.

حقّ السلطان المقسط

إنّ للسّلْطانِ المُقْسِط[١] حقّاً لا يَصْلُحُ بخاصّةٍ وَلا عامّـةٍ أمْرٌ إلاّ بـإرادَتِهِ، فَـذو اللُّبِّ حَقِيقٌ[٢] أن يُخْلِصَ لَهُمُ النّصِيحَةَ، وَيَبْذُلَ لَهُمُ الطّاعَةَ، وَيَكْتُمَ سِرَّهُمْ، وَيُزَيِّنَ سِيرَتَهُمْ، وَيَذُبَّ بِلِسانِهِ وَيَدِهِ عَنْهُمْ، وَيَتَوَخّى مَرْضَاتَهُمْ، وَيَكونَ مِنْ أمْرِهِ المُؤاتـاة[٣] لَهُمْ وَالإيثارُ لأهْوائِهِمْ وَرَأيِهِمْ على هَواهُ وَرَأيِهِ، وَيُقدِّرَ الأمورَ عَلى مُوافَقَتِهِمْ وَإنْ كانَ ذلكَ لَهُ مُخالِفاً[٤]، وأنْ يكونَ مِنْهُ الجِدُّ في المُخالَفَةِ لمَنْ جانَبَهُمْ[٥] وَجَهِلَ حَقَّهُمْ، وَلا يُواصِلَ مِنَ النّاسِ إلاّ مَنْ لا تُباعِدُ مُواصَلَتُهُ إيّاهُ مِنْهُمْ، ولا تَحمِلَهُ عَداوَةُ أحَدٍ لَهُ وَلا إضْرارٌ بِهِ عَلى الاضْطِغانِ عَلَيْهِمْ، وَلا مُؤاتـاةُ أحَدٍ على الاستِخفـافِ بِشيْءٍ مِن أُمـورِهِمْ وَالانْتِقـاصِ لِشيْءٍ مِنْ حَقِّهِمْ، وَلا يَكْتُمَهُمْ شَيْئـاً مِنْ نَـصِيـحَتِـهِمْ، وَلا يَتَثـاقَل[٦] عَنْ شيءٍ مِنْ طـاعَتِهِمْ، وَلا يَبْطَرَ[٧] إذا أكْـرَمـوهُ، وَلا يَجْتَـرِيء عَلَيْهِمْ إذا قَـرَّبـوه، وَلا يَـطْغى إذا سَلَّطوهُ، وَلا يُلْحِفَ[٨] إذا سَـألَهُمْ، وَلا يُـدْخِـلَ عَلَيْهِمُ المَؤونَةَ[٩]، وَلا يَسْتَثْقِلَ ما حَمَّلوهُ، وَلا يَعْتَزَّ عَلَيهِمْ إذا رَضُوا عَنْهُ، وَلا يَتَغَيَّـرَ لَهُمْ إذا

---

(١) المقسِطُ: من أسماء الله الحسنى والمقسطُ: العادل، ويقال: أقسَطَ يَقْسِطُ: إذا عدل.

(٢) حَقِيقٌ: فقول حَقّ لك أن تَفْعَلَ، وحُقِقْتَ أن تفعل: لـزمت. والعرب تقـول: حَقَقْتُ عليه القضـاء أُحُقُّه أي أوجبته، وحقيق أن يخلص لك النصيحة: جدير بها.

(٣) المُؤاتاة: من الفعل آتاهُ. وآتاه على الأمر: طاوَعَـه، والمؤاتاةُ: حسن المـطاوعة، وآتيتُـه على ذلك الأمر مؤاتاة: إذا وافقْته وطاوعته.

(٤) مخـالفاً من الفعـل اخْتَلَفَ، واختلف: تباين. وفي التنـزيل العـزيز: ﴿فَـرِحَ المخَلَّفُونَ بِمَقْعَـدِهم خلاف رسول الله﴾. أي مُخالَفَةَ رسول الله، والمقصود مخالفة رأي السلطان في تدبير أمـور البلاد، وعليه فالأديب ينصح العاقل بالقدرة على مواقعة صاحب السلطة في رأيه وإنْ خالفه في ذلك.

(٥) جانبهم: ضد قَارَبَهم، والجانب: البعيد.

(٦) يتثاقل عن: يتبرم عن أمر في طاعتهم تضجراً.

(٧) يُبْطِرُ: من فعل بَطَرَ. والبَطَر: الـطُّغيان في النِّعْمَـةِ. وفي الحديث: «الكِبْـرُ بَطَرُ الحَقِّ». والبَـطَرُ: العُجب عند النعمة وطول الغنى. وهو أيضاً كراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهية.

(٨) يُلْحِفُ من الفعـل لحف، والإلحـاف: شـدة الإلحـاح في المسـألـة. وفي التنـزيـل الحكيم: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾، وألْحَفَ السائلُ: ألَحَّ ومنه قول بشار بن برد: [الرجز]

الـحُـرُّ يُلْحى والـعَـصَـا لـلعَبْـدِ ولـيـس لـلمـلحـف مـثـل الـرَّدِّ

(٩) المؤونة: الشدة والثقل.

سَخِطوا عَلَيْهِ، وَأن يحمدَهمْ على ما أصَابَ مِنْ خَيرٍ مِنْهُمْ أوْ مِنْ غَيرِهِمْ فإنّهُ لا يَقْدُرُ أحَدٌ على أنْ يُصِيبَهُ بخيرٍ إلاّ بِدِفاعِ اللَّهِ عَنْهُ بِهِمْ.

الدليل على عِلْمِ العَالِم

ممّا يَدُلُّ على عِلْمِ العالِمِ مَعْرِفَتُهُ ما يُدْرَكُ من الأمورِ وَإمساكُه عمّا لا يُدْرَكُ وَتَزْيِينُهُ نَفْسَهُ بالمَكارِمِ، وَظُهورُ عِلْمِهِ للنّاسِ مِنْ غَيْرِ أن يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ وَلا عُجْبٌ، وَمَعْرِفَتُهُ زَمانَهُ الّذي هُوَ فِيهِ، وَبَصَرُهُ بالنّاسِ، وَأَخْذُهُ بالقِسْطِ، وَإرْشادُهُ المُسْتَرْشِدَ، وَحُسْنُ مُخالَقَتِهِ خُلَطاءَهُ، وَتَسوِيَتُهُ بينَ قَلْبِهِ وَلِسانِهِ، وَتحرّيهِ العَدْلَ في كُلّ أمْرٍ؛ وَرَحْبُ ذَرْعِهِ فيما نابَهُ، وَاحْتِجاجُهُ بِالحُجَجِ فِيما عَمِلَ، وَحُسْنُ تَبْصيرِهِ.(١)

علم الآخرة

مَنْ أرَادَ أن يَبْصُرَ شَيْئاً منْ عِلْمِ الآخِرَةِ، فالعِلْمُ الـذي يعرِفُ بـه ذلكَ، وَمَنْ أرَادَ أن يَبْصُرَ شَيْئاً مِنْ أمْرِ الدّنْيا فبِالأشْياء الّتي هيَ تَدُلّ عَلَيْهِ(٢).

ماذا يجب على المرء

لِيَكُنِ المَـرْءُ سَؤولاً(٣)، وَلْيَكُنْ فَصُـولاً بينَ الحقّ والبـاطِـلِ، وَلْيَكُنْ صَـدوقـاً لِيُؤمَّنَ على مـا قـالَ، وَلْيَكُنْ ذا عَهْـدٍ لِيُـوَفَّى لـهُ بِعَهْـدِهِ، وَلْيَكُنْ شَكـوراً لِيَسْتَـوْجِبَ

---

(١) تَبْصيره: من الفعل بَصَرَ، وبَصَّرَه الأمْرَ تبصيراً: فَهَّمَهُ إياه. ومنه في التنزيل العزيز: ﴿بَلِ الإنْسانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾. والمقصود حسن إدراكه للأمور بالحجج والبراهين فيما عمل.

(٢) قصد ابن المقفع أنَّ عِلْمَ الآخرة يُدْرَكُ ويُفْهَمُ بالعلوم الدينية المنبعثة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. غير أنَّ موجودات الأشياء تُبَصِّرنا بأمور الدّنيا الفانية.

(٣) سَؤُولاً من الفعل سَأَلَ. وسَأَلْته الشيءَ، وسَأَلْته عن الشيء سُؤَالاً ومَسْأَلة بمعنى استعطيته إياه، وقيل: سَأَلْته عن الشيء: استخبرته، وفي الحديث: «للسائِل حَقٌّ وإنْ جاءَ على فَرَس». والمقصود هنا أنْ يستخبَر الإنسان ويستعلمَ عن كل شيء يجهله ليعرفه.

الـزِّيادَةَ، وَلْيَكُنْ جَـوَاداً لِيَكونَ للخَيـرِ أهْلاً، وَلْيَكُنْ رَحيمـاً بالمَضْـرُورينَ لِئـلاَّ يُبْتَلى بالضّرّ، وَلْيَكُنْ وَدوداً لِئلاّ يكونَ مَعْدِناً[1] لأخْلاقِ الشّيْطانِ، وَلْيَكُنْ حافِظاً لِلِسانِهِ مُقْبِلاً على شَأنِهِ لِئـلاّ يُؤخَذَ بمـا لَمْ يَجْتَرِمْ، وَلْيَكُنْ مُتَـوَاضِعاً لِيُفْـرَحَ لَهُ بـالخَيْرِ وَلا يُحْسَـدَ عَلَيْهِ، وَلْيَكُنْ قَنِعاً لِتَقرّ[2] عَيْنُهُ بما أُوتيَ، وَلْيُسَرّ للنّـاس بِالخَيْـرِ لِئلاّ يُؤذيَـهُ الحَسَدُ؛ وَلْيَكُنْ حَذِراً لِئلاّ تَطولَ مَخافَتُـهُ، وَلا يَكونَنّ حَقـوداً لِئَلاّ يَضُـرّ بِنَفْسِهِ إضْـراراً باقِيـاً، وَلْيَكُنْ ذا حَيَاء لِئلاّ يُسْتَذَمّ إلى العُلماء. فـإنّ مخافَـةَ العالِمِ مَـذَمّةَ العُلَمـاء أشَدُّ من مخافتِهِ عُقوبة السّلْطَانِ.

نصائح سنيّة

حَيَاةُ الشّيْطانِ تَرْكُ العِلْمِ، وَرُوحُهُ وَجَسَـدُهُ الجَهْلُ؛ وَمَعْـدِنُهُ في أهْـلِ الحِقْدِ وَالقَساوَةِ، وَمَثْوَاهُ[3] في أهْلِ الغَضَبِ، وَعَيْشُهُ في المُصـارَمَةِ، وَرَجـاؤهُ في الإصرارِ على الذّنوبِ.

وقالَ: لا يَنْبَغي للمَرْء أنْ يَعْتَدّ[4] بِعِلْمِهِ وَرَأيِـهِ ما لَمْ يُـذاكِرْهُ ذَوُو الألْبـابِ وَلَمْ يُجامِعوهُ عَلَيْهِ[5]. فإنّهُ لا يُسْتَكْمَلُ عِلْمُ الأشْياء بالْعَقْلِ الفَرْدِ.

أعْدَلُ السِّيَرِ[6] أنْ تَقِيسَ النّاسَ بِنَفْسِكَ، فلا تأتي إلَيهِمْ إلاّ ما تَرْضَى أن يُؤتى إلَيْكَ.

---

(١) مَعْدِناً: المعْدِنُ: مكانُ كل شيء يكون فيه أصله ومَبْدَؤه.

(٢) لِتَقَرَّ من الفعل قَرَّ. وقَرَّتِ العين مأخوذة من القرور، وهو الدَّمْعُ الباردُ يخرج مع الفرح.

(٣) مَثْواهُ في الفعل ثوى. والثواء: طولُ المقام، وَمَثْوَاهُ: مَقَرُّه الملتزم فيه.

(٤) يَعْتَدُّ من فعل عَتَدَ، ورجلٌ عَتَدٌ وعَتِدٌ بفتـح التاء وكسـرها: شـديدٌ تـامّ الخلق سريـع الوثبـة والفخر والاعتزاز بما لديه من مال أو علم أو منصب.

(٥) يُجامِعُوه: من فعل جَمَعَ وأجْمَعَ. وجامع: وافق ويُجامِعُوه يوافقوه، وإجماع على: اتفاق وتوارد في الرأي والفكر والمعرفة لأنه لا سبيل إلى نجاح علم أو أمر إلا بالاتفاق والإجماع.

(٦) السِّير: من فعل سار. والسِّيرة: السُّنَّةُ والطريقة، يقال: سَارَ بهم سِيْرَةً حَسَنة. وفي التنزيل العزيـز: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتها الأولى﴾.

وَأنْفَعُ العَقْلِ أنْ تُحْسِنَ المَعِيشَةَ فِيما أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ، وَأنْ لا تَكْتَرِثَ مِنَ الشَّرِّ بما لَمْ يُصِبْكَ.

وَمِنَ العِلْمِ أنْ تَعْلَمَ أنَّكَ لا تَعْلَمُ بما لا تَعْلَمُ.

وَمِنْ أحْسَنِ ذوي العُقولِ عَقْلاً مَنْ أحْسَنَ تَقْديرَ[1] أمْرِ مَعاشِهِ وَمَعَادِهِ تَقْديراً لا يُفْسِدُ عَلَيْهِ وَاحِداً مِنهُما نَفادُ الآخرِ، فإنْ أعْياهُ ذلكَ رَفَضَ الأدْنى وَآثَرَ عَلَيْهِ الأعْظَمَ.

وَقَالَ: المُؤمِنُ بشيءٍ مِنَ الأشْياءِ، وَإنْ كانَ سِحْراً[2]، خيرٌ ممَّنْ لا يُؤمِنُ بِشيْءٍ وَلا يَرْجو مَعاداً.

لا تُؤدّي التَّوْبَةُ أحَداً إلى النارِ، ولا الإصرَارُ على الذّنوبِ أحَداً إلى الجنّةِ.

مِنْ أفْضَلِ البِرّ[3] ثلاثُ خِصَالٍ: الصِّدْقُ في الغَضَبِ، وَالجُودُ في العُسْرَةِ، وَالعَفْوُ عِنْدَ القُدْرَةِ.

رأس الذنوب

رَأسُ[4] الذّنوبِ الكَذِبُ: هُوَ يُؤسِّسُها وَهُوَ يَتَفَقّدُهَا وَيُثَبِّتُها. وَيَتَلَوَّنُ ثَلاثَةَ ألْوَانٍ: بالأمْنِيَةِ، وَالجُحُودِ، وَالجَدَلِ، يَبْدو لِصاحِبِهِ بالأمنيّةِ الكاذِبَةِ فِيما يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ

---

(١) تقدير من فعل قَدَر القومُ أمْرَهم: دَبَّروه، وقَدَرْتُ عليه الثوب قدراً فانْقَدَر أي جاء على المقدار، وقدر الرجل أمره تقديراً: أحسن تدبيره وتَصَرَّف وفق ما يقتضيه الاعتدال وخفض العيش.

(٢) السِّحْرُ: عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه. كلُّ ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السِّحْرِ الأُخْذَةُ التي تأخذ العين حتى يُظَنَّ أنَّ الأمْرَ كما يُرى، وليس الأصْلُ على ما يُرى، وأصْلُ السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأنَّ الساحر لمّا أرى الباطل في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، وقيل سَحَرَه. ومنه قول النبي ﷺ: «إنَّ من البيان لسِحْرا».

(٣) البِرّ: الصدق، وبَرَّ في يَمينه يَبَرُّ: إذا صدقه ولمْ يحْنثْ، والبِرُّ خير الدنيا والآخرة، وبَرَّ: إذا صَلَحَ.

(٤) شَبَّه ابن المقفع الذنوب بالإنسان وجعل أخطرها وأهمها الكذب الذي هو بمثابة الرأس أشرف عضو في الإنسان في حيث الفكر والتّعقل والثبوت والتأسيس.

الشَّهَـواتِ فَيُشجِّعُـهُ عَلَيْهـا بـأنّ ذلـكَ سَيَخْفى. فـإذا ظَهَـر عَلَيْـهِ قـابَلَهُ بـالجُحـودِ وَالمُكـابرَةِ[١]، فَـإنْ أعْياهُ ذلـكَ خَتَمَ بالجَـدَلِ، فَخـاصَمَ عَنِ البـاطِـلِ وَوَضَـعَ لَـهُ الحُجَـجَ، وَالتَمَسَ بِهِ التّثَبّتَ وكـابَرَ بِـهِ الحَقَّ حَتّى يكونَ مُسـارِعاً للضَّـلالةِ وَمُكـابِراً بالفَوَاحِشِ[٢].

دين المرء

لا يَثْبُتُ دينُ المَـرْءِ على حالَـةٍ وَاحِدَةٍ أبـداً، وَلكِنّـهُ لا يَـزالُ إمّـا زَائِـداً وإمّـا ناقِصاً.

علامات اللئيم

مِنْ عَـلاماتِ اللّئيم المُخـادِعِ أن يكونَ حَسَنَ القَـولِ، سيّءَ الفِعْـلِ، بَعِيـدَ الغَضَبِ، قَـريبَ الحَسَدِ، حَمـولاً للفُحْشِ، مجازيـاً[٣] بالحِقْـدِ، مُتَكَلِّفـاً للجـودِ، صَغيرَ الخَطَرِ، مُتَوَسّعاً فِيما لَيْسَ لَهُ، ضَيّقاً فِيما يَمْلِكُ.

اشتغل بالأعظم

وَكانَ يُقالُ: إذا تَخالَجَتْكَ الأمورُ[٤] فاشْتَغِلْ بِأعْظَمِها خَطراً[٥]، فإنْ لَمْ تَسْتَبِنْ

---

(١) المكابرة: من فعـل كَبُرَ. على المـرء أن لا يتكبر على مخلوق مثله وهـو مؤمن بربـه. والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً ومكابرة.

(٢) الفَـواحِشَ الواحـد الفحش. والفحش: القبيح من القـول والفعل. ومنـه الحديث: «إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الفاحِشَ المتفحش» فالفَاحِشُ ذو الفحش والخَنَا في الفعل والقول، والمتَفَحِّشُ الـذي يتكلُّفُ سَبَّ الناس ويتعمَّدُه.

(٣) مجازياً من فعل جاز، وتجوّز الرجل في كلامه تكَلَّم بالمجاز الذي يبطن عكس ما يـظهر لحِقْـدٍ منه أو حَسَد.

(٤) تَخـالَجَتْكَ الأمـور: من فعل خَلَجَ، والخَلْج: الجَـذْبُ والنَـزْع في الأمـور. ومنـه قـول مُـطَرِّفَ بن الشِّخيِّـر: وجدتُ الإنسـان مُلْقىً بين الصلهِ وبين الشيطان، فـإن لم يَجْتَذِبْـهُ إليه جَـذَبَهُ الشيـطانُ. وجَاذَبَه كجَذَبه.

(٥) خَطَراً: يقصد الأديب بالخطر هنا: أصعب الأمور شأناً وأهمها درجة في حياة الإنسان.

ذلكَ فَأرْجاهَا دَرْكاً[1]، فَإنِ اشْتَبَهَ ذلكَ فَأجْدَرُهَـا أنْ لا يَكونَ لَـهُ مَرْجـوعٌ حتى تُوَلّي فُرْصَتُهُ[2].

الرجال أربعة

وَكانَ يُقالُ: الرِّجالُ أرْبَعَةٌ: اثْنانِ تَخْتَبِرُ ما عِنْدَهُما بالتَّجْرِبةِ، وَاثْنانِ قَـدْ كُفِيتَ تَجْرِبَتَهُما.

فَأمّا اللّذانِ تَحْتاجُ إلى تَجْرِبَتِهِما؛ فإنّ أحَدَهُمَا بَرٌّ كانَ مَعَ أبرارٍ، والآخَرَ فاجِرٌ كانَ مَعَ فُجّـارٍ، فَإنّـكَ لا تدري لَعَـلّ البَرّ مِنْهُمـا إذا خالَطَ الفُجّـارَ أنْ يَتَبَدّلَ فَيَصِيـرَ فَـاجِراً، وَلَعَـلّ الفاجِـرَ مِنْهُما إذا خـالَطَ الأبْرَارَ أنْ يَتَبَـدّلَ بَرّاً؛ فَيَتَبَـدّلُ البَرُّ فـاجِـراً، وَالفاجِرُ بَرّاً.

وَأمَّا اللّذان قد كُفِيتَ تَجْرِبَتَهُما وَتَبَيّنَ لكَ ضَوْءُ أمْرِهِما[3]. فإنّ أحَدَهُما فاجِـرٌ كانَ في أبْرَارٍ، وَالآخَرَ بَرٌّ كانَ في فُجّارٍ.

حِكم متفرّقة

حَقٌّ على العـاقِلِ أن يَتّخِـذَ مِرْآتَيْنِ؛ فَيَنْـظُرَ مِن إحْدَاهُمـا في مَساوِىء نَفْسِـهِ فَيَتَصَاغَرَ[4] بهـا وَيُصْلِحَ ما اسْتـطاعَ مِنْها، وَيَنْـظُرَ في الأخرى في مَحـاسِنِ النّاسِ، فَيُحَلّيَهُمْ بِها[5] وَيأخُذَ ما اسْتطاعَ منها.

---

(١) الدَّرْكُ: الوصل والوصول والاقتراب من الشيء ويقال: أدْرَكَتِ الثمار إذا بلغت إناها وانتهى نضجها فَقَرُب أكلُها.

(٢) لعلّ هذه الجملة الأخيرة دخلها نقص أو غيره، لعدم استقام المعنى بوضوح أو يحتمل قصده كل ما فات مات.

(٣) أمْرهما: من فعل أَمَرَ، والأَمْرُ واحدُ الأُمور، يقال: ائتَمَـرَ فلان رأيـه شاور عقله في الصـواب الذي يأتيه في سريرته.

(٤) يَتَصَاغَرُ: من فعل صَغَر والصغر ضدّ الكبـر. ويتصاغـر خلاف يتعـاظم وقيل: أن يَصْغُـرَ الشيء في ذاتـه ويُحَقّـره. ويقـال: الصِّغـرُ في الجِـرْم، والصَّغـارة في القَـدْرِ. ومن أمثال العـرب: «المـرء بأصْغَرَيْهِ».

(٥) فَيُحَلّيَهُمْ: من الفعل حَلَى، وتَحَلّى بالحَلْي أي تَزَيَّن. ومنه قوله تعـالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيها من أَسَـاوِرَ=

احْـذَرْ خُصُـومَـةَ الأهْـلِ وَالـوَلَـدِ وَالصَّـديقِ وَالضَّعيفِ، وَاحتَـجَّ عَلَيْهِمْ بِالحُجَجِ[1].

لا يوقِعَنَّكَ بَلاءٌ خَلَصْتَ منهُ في آخَرَ لعَلَّكَ لا تخْلُصُ منْهُ.

الوَرِعُ لا يَخْدَعُ، وَالأرِيبُ[2] لا يُخْدَعُ.

وَمِنْ وَرَعِ الـرَّجُـلِ أنْ لا يقـولَ مـا لا يَعْلَمُ، ومِنَ الإرْبِ[3] أنْ يَتَثَبَّتَ فِيمـا يَعْلَمُ.

وكان يُقالُ: عَمَـلُ الرَّجُـلِ فيما يَعْلَمُ أنَّـهُ خَطَأٌ هَـوًى، وَالهوَى آفَـةُ العَفافِ. وَتَرْكُهُ العَمَلَ بما يَعْلَمُ أنَّهُ صَوَابٌ تَهاوُنٌ، وَالتّهاوُنُ آفَـةُ الدين. وإقْـدَامُهُ على مـا لا يدري أصَوَابٌ هُوَ أمْ خَطَأٌ جِماحٌ[4]، وَالجِماحُ آفَةُ العَقْلِ.

وكان يُقالُ: وَقِّرْ مَنْ فَوْقَكَ، وَلِنْ لِمَنْ دونَكَ، وَأحْسِنْ مُؤاتاةَ أكْفائِـكَ. وَلْيَكُنْ آثَرَ ذلكَ عِنْدَكَ مُؤاتاةُ الإخوانِ، فإنَّ ذلـكَ هوَ الّـذي يَشْهَدُ لَـكَ بأنَّ إجْـلالَكَ[5] مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بخضُوعٍ مِنْكَ لَهُمْ، وأنَّ لِينَكَ لمَنْ دُونَكَ لَيْسَ لالْتِماسِ خِدْمَتِهِمْ.

= من فِضّةٍ﴾ ومنه الحديث: «كان يُحَلِّينا رِعاثاً من ذهب وفضة ولُؤْلؤ». أي يـزيننا ويَصِفُنـا بالتحلي بها، وحَلّى السيف كذلك.

(١) الحُجَج: البراهين التي دفع بها الخصم.

(٢) الأريبُ: من فعل أرُب يأرُبُ أحْسَنَ الإرْب في العقـل، والأرِيبُ: العاقـلُ. ورجلٌ أرِيبٌ من قـوم أرَباء، وفي الحديث: «مُؤَاربة الأرِيبِ جَهْلٌ وعَناء» أي أنَّ الأرِيبَ هو العاقِل، لا يُخْتَلُ عن عَقْلِه.

(٣) الإرْبُ: من فعل أرُبَ يأرُبُ وأرِبَ بالشيء: دَرِبَ به وصار فيه ماهراً بصيراً، قيل: ومنه الأرِيبُ أي ذُو دَهْيٍ وبَصَرٍ.

(٤) الجِمـاحُ: من الفعل جَمَـحَ، وجَمَحَ الفـرسُ بصاحبه جَمْحاً: ذهب يجـري جريـاً، والجَمُوحُ من الرجال: الذي يركب هواه فلا يمكن ردُّه عن غوايته وضلاله.

(٥) إجْلالَكَ: الله الجليل سبحانه ذو الجلال. من فعـل جَلّل وإجلالـك: تعظيمـك، والجَليلُ المُـطْلَق راجع إلى كمال الصفات، وأجْلَلته رأيتـه جَليلاً نبيـلاً وأجللته في المـرتبة، جَـلَّ فلان جَـلالة: أي عَظُم قدْرُه. فهو جليل.

غير المغتبطين

خَمسَةٌ غَيْرُ مُغْتَبِطينَ في خَمْسَةِ أشْياءَ، يَتَنَدّمونَ عَلَيْها، الوَاهِنُ المُفَرِّط إذا فاتَهُ العَمَلُ، وَالمُنقَطِعُ مِنْ إخْوَانِهِ وَصَـديقِهِ إذا نـابَتْهُ النّـوَائِبُ، وَالمُسْتَمْكِنُ[1] مِنْهُ عَـدُوُّهُ لِسُوءِ رَأْيِهِ إذا تذَكّرَ عَجْزَهُ، وَالمُفارِقُ للزَّوْجَةِ الصّالِحَةِ إذا ابْتُلِيَ بالطّالِحةِ، وَالجَريءُ على الذّنوبِ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ.

ماذا ينفع

لا يَنْفَعُ العَقْلُ بِغيرِ وَرَعٍ، وَلا الحِفْظُ بِغيرِ عَقْلٍ، وَلا شِدّةُ البَطْشِ بِغيرِ شِـدّةِ القَلْبِ[2]، وَلا الجَمالُ بِغيرِ حَلاوَةٍ، وَلا الحَسَبُ بِغَيْرِ أدَبٍ، وَلا السّـرُورُ بِغَيْرِ أمْنٍ، وَلا الغِنى بِغيـرِ جُودٍ، وَلا المُـروءةُ بِغيرِ تَـوَاضُعٍ، وَلا الخَفْضِ[3] بغَيـرِ كِفايَـةٍ، ولا الاجتِهادُ بِغَيرِ تَوْفيقٍ.

أمور هن تبع لأمور

فَالمُرُوءاتُ كلّها تَبَعٌ للعَقْلِ، وَالرّأيُ تَبَعٌ للتّجْرِبَةِ، وَالغِبْطَةُ تَبَعٌ لِحُسْنِ الثّناء، وَالسّـرُورُ تَبَعٌ لِـلأمْنِ، وَالقَرابَـةُ تَبَعٌ للمَـودّةِ، وَالعَمَـلُ تَبَـعٌ لِلْقَـدْرِ، وَالجِـدَةُ[4] تَبَـعٌ لِلإنْفاقِ.

---

(١) المستمكن من الفعل مَكَنَ. والمَكِنَةُ: التمكن. تقول العرب: إنَّ بني فلان لذوو مَكِنَةٍ من السلطان أو العدو أي تمكُّنٍ. ويقال: النّاس على مَكِناتِهم أي على استقامتهم.

(٢) شدّة القلب: الشِّدَّةُ: الصَّـلابَةُ، وهي نَقيضُ اللِّينِ تكـون في الجواهـر والأعراض، وشيءٌ شـديد: بَيِّنُ الشِّـدَّة. ومنه قـوله تعـالى: ﴿واشْدُدْ عَلَى قلُوبِهِم﴾ أي ثبتهم على المقـام ببلدهم بعد إهـلاك أموالهم فيكون ذلك أشد عليهم. والمقصود أن شدّةِ القلب مرهونة بالثبات مع شدّة البطش.

(٣) خفض العيش: من فعل خفض. والخفض ضِدُّ الرَّفْع، وعيش خافض: لين العيش وسعته. وعيشٌ خَفْضٌ وخفيض: خصيب في دَعةٍ ولينٍ.

(٤) الجِدَةُ: من فعل جَدد، والجَدُّ: الحظ والرزق. وقيل: الجدّ هو الاجتهاد في العمل. وفلان صاعد الجَدّ: معناه البخت والحظ في الـدنيا. ويقـال هم يَجِدُّون بهم ويحْـظَوْن بهم أي يصيرون ذا حظ وغنى. والجَدّ: الحظ والسعادة والغنى.

أصول وثمرات

أَصْـلُ العَقْلِ [١] التّثَبُّتُ، وَثَمَـرَتُهُ السّـلامَةُ، وَأَصْـلُ الوَرَعِ القنـاعَةُ، وثَمَـرَتُهُ الظَّفَرُ، وَأَصْلُ التّوْفِيقِ العَمَلُ، وَثَمَرَتُهُ النُّجْحُ [٢].

الذكر السيّء

لا يُـذْكَرُ الفـاجِرُ في العُقَـلاء، وَلا الكَذُوبُ في الأعِفّـاء، وَلا الخَـذُولُ [٣] في الكُرَماء، وَلا الكَفورُ بِشيْءٍ منَ الخَيْرِ.

من تؤاخي

لا تُؤاخِيَنّ خَبّاً [٤]، وَلا تَسْتَنْصِرَنّ عَاجِزاً [٥]، وَلا تَسْتَعِينَنّ كَسِلاً.

بمَ يروّح [٦] المرء عن نفسه

وَمِن أعظَمِ ما يُرَوّحُ بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ أنْ لا يَجْـرِيَ لِما يَهـوَى وَلَيْس كائِنـاً، وَلا

---

(١) العَقْـلُ: الحِجْر والنُّهى ضِـدُّ الحمق، يقال: العقـل كأنّـه عُقِلَ لـه شيءُ أي حُبِسَ عليه عَقْلُه وأُيِّـد وشُدِّد.

(٢) النُّجْـحُ: النُّجحُ والنَّجـاحُ: الظَّفَـرُ بـالشيء، وقـد نجحت حـاجتي وأنْجَحَهـا الله تعـالى: أسْعَفَني بإدراكها.

(٣) الخذول: الذي يَتَثَاقَل ويتراجع عن نصرة صديقه فلا يساعده ولا يقيل عثرتـه ولا يصله وقت شدّتـه بل يقطع عليه سبيل الظفر، أما الكفور فهـو الذي يجحـد بنعم الله الكثيرة التي لا تحصى، وينكـر فضله الذي لا يستحقه.

(٤) خَبّاً: من فعل خبب. والخِبُّ: الفساد. وفي الحديث: «من خَبَّبَ امْرَأةً ومَمْلوكاً على مُسْلِـم فلَيس منّا» أي خَدَعه وأفسده؛ ورجلٌ خَبٌّ ضَبٌّ وقيل: المؤْمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والكافِرُ خِبٌّ لَئيمٌ.

(٥) عاجزاً من فعل عَجَز. والعَجْزُ: ترك ما يُحبُّ فعله بالتّسويف وهو عام في أُمور الدنيا والدين.

(٦) يـروّح: من فعل رَوَح. والـروح من رَوْح الله، أي رحمته. والمقصـود أنْ يذهب المـرء عن نفسـه الهمَّ والحزنَ إيماناً بالله وعدالته. ومنه قوله تعالى: ﴿لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي من رحمة الله، سماها رَوْحاً لأن الرَّوْحَ والراحةَ بها.

لما لا يَهْوَى وهُوَ لا مَحالَةَ كَائِنٌ.

لا تفرح بالبطالة

اغْتَنِمْ مِنَ الخَيْرِ ما تَعَجّلْتَ، وَمِنَ الأهْوَاء ما سَوَّفْتَ، وَمِنَ النَّصَبِ مَا عَادَ عَلَيْكَ. وَلا تَفْرَحْ بالبَطالَةِ، وَلا تجْبُنْ عن العَمَلِ.

ضياع العقل

مَنِ اسْتَعْظَمَ مِنَ الدُّنيا شَيئاً فَبطَرَ، وَاسْتَصْغَرَ مِنَ الدنْيا شيئاً فَتَهاوَنَ، وَاحْتَقَرَ مِنَ الإثْمِ شَيْئاً فاجترأ عَلَيْهِ، وَاغترّ بِعَدُوٍّ وَإن قَلَّ فَلَمْ يحْذَرْهُ، فَذلِكَ مِنْ ضَياعِ[1] العَقْلِ.

ذو العقل لا يستخفّ[2] بأحد

لا يَسْتَخِفُّ ذو العَقْلِ بِأحَدٍ.

وَأحَقُّ مَن لمْ يُسْتَخَفّ بِهِ ثَلاثةٌ: الأتْقِياءُ وَالوُلاةُ وَالإخْوانُ، فإنّهُ مَنِ استَخَفّ بالأتْقِياء أهْلَكَ دِينَهُ، وَمَنِ اسْتَخَفّ بالوُلاةِ أهْلَك دُنْياهُ، وَمَنِ اسْتَخَفّ بالإخْوَانِ أفْسَدَ مُرُوءَتَهُ.

أزواج

مَنْ حاوَلَ الأمورَ احْتاجَ فيها إلى سِتّ: العِلمِ، وَالتّوْفِيقِ، والفُرْصَةِ،

---

(١) ضياعِ العَقْل: الضَّياعُ: الإهمالُ. ضَاعَ الشيءُ: هلك. قيل: لم يَجْعَلْك اللّهُ بِدارِ هَوان ولا مَضِيعة. والضياع: تغليب الهوى على الفكر الصائب.

(٢) يَسْتَخِفُّ: من فعل خَفَفَ. والخِفَّة ضِدُّ الثِّقَل ويكون في الجسم والعقل والعمل. واسْتَخَفَّ فلان بحقي: إذا اسْتَهانَ به. وقيل: اسْتَخَفَّه فلان إذا اسْتَجْهَلَه فحمله على اتباعه في غَيِّه. ومنه قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذين لا يُوْقِنُون﴾.

والأعْوَانِ[1]، وَالأدَبِ، والاجْتِهادِ.

وَهُنّ أزْوَاجٌ:

فـالرّأي[2] وَالأدَبُ زَوْجٌ. لا يَكمُـلُ الرّأيُ بِغَيـرِ الأدَبِ، وَلا يَكمُـلُ الأدَبُ إلاّ بالرّأي.

وَالأعْوَانُ والفُرصَةُ زَوْجٌ. لا يَنْفَعُ الأعْوَانُ إلاّ عِندَ الفُـرْصَةِ، وَلا تَتِـمُّ الفُـرْصَةُ إلاّ بحضُورِ الأعْوَانِ.

وَالتّوْفِيقُ وَالاجْتِهادُ زَوْجٌ، فالاجتِهادُ سَبَبُ التّوْفِيقِ، وَبالتّوفيقِ يَنْجَحُ الاجْتِهادُ.

سلامة العاقل

يَسْلَمُ العاقِلُ مِنْ عِظامِ الذنوبِ وَالعُيوبِ بالقَنَاعَةِ وَمُحاسَبَةِ النّفْسِ.

لا تَجِدُ العاقِلَ يُحدِّثُ مَن يخافُ تَكْذِيبَهُ، وَلا يَسْأَلُ مَنْ يَخافُ مَنْعَهُ، وَلا يَعِـدُ بما لا يَجِدُ إنْجـازَهُ، وَلا يَرْجـو ما يُعَنَّفُ بِـرَجائِـهِ، وَلا يَقْدُمُ على مَنْ يَخـافُ العَجْزَ عَنْهُ.

وَهُوَ يُسخّي[3] بِنَفْسِهِ عمّـا يُغْبَطُ بِهِ القَـوّالون[4] خُـرُوجاً من عَيْبِ التّكْـذِيبِ، وَيُسَخّي بِنَفْسِـهِ عمّا يَنـالُ السّائلونَ سَـلامَةً مِنْ مَـذَلّةِ المَسْـألَةِ، وَيُسَخّي بنفْسِـهِ عَنْ مَحْمَدَةِ المَوَاعِيـدِ بَرَاءةً من مـذَمّةِ الخُلْفِ، وَيُسخّي بنَفْسِـهِ عَنْ فَرَحِ الـرّجاء خَـوْفَ الإكْداء[5]، وَيُسَخّيهِ عَنْ مَرَاتِبِ المُقَدِّمينَ ما يَرَى مِنْ فَضائِحِ المُقَصِّرينَ.

---

(١) الأعوان الواحد العَوْن. والعَوْنُ: الظهير على الأمر، والعَوْنُ كل شيء أعانك فهو عَوْن لك.

(٢) ذكر ابن المقفع أن هنا الرأي والأدب زوج. والصواب العلم والأدب زوج.

(٣) يُسَخّي بنفسه: يتركها ولمْ تتنازعه نفسه إليها. يربأ بها..

(٤) القوّالون: الواحدة قوّال. والقَوّال: الرجل الـظريف البَيِّن اللسان، وقيـل: الكثير الكـلام البليغ في حاجته، أي جيّدُ الكلام فصيح. والعرب تقول للرجل إذا كان ذا لسانٍ طليق إنَّه لابن قَوْلٍ. وقيـل القوّالون المدّعون بما ليس فيهم..

(٥) الإكداء: من فعل كَدَا. وكَدَتِ الأرض: إذا أبطأ نباتها. وأكْدَى الرجُل: قـلَّ خيره. وقيـل المُكْدي =

ذو العقل

لا عَقْـلَ لمَنْ أغْفَلَهُ عنْ آخِرَتِـهِ ما يَجِـدُ من لَذّةِ دُنْيـاهُ، وَلَيْسَ مِنَ العَقْـلِ أنْ يحْرِمَهُ حَظَّهُ مِنَ الدنْيا بَصَرُهُ بِزَوَالِها.

سعيد ومرجوّ

حَازَ الخيرَ رَجُلانِ: سَعِيدٌ وَمَرْجُوّ.

فَالسَّعِيدُ الفالِجُ[1]، وَالمَرْجُوّ مَنْ لَمْ يَخْصِمْ[2].

وَالفـالِجُ الصـالِـحُ مـا دامَ في قَيْـدِ الحيـاةِ وَتَعَـرُّضِ[3] الفِتَنِ في مُخـاصَمـةِ الخُصَماء مِنَ الأهْوَاء وَالأعْداء.

السعيد يرغّبه الله والشقي يرغّبه الشيطان

السَّعِيدُ يُرَغِّبُـهُ اللَّهُ في الآخِرَةِ حتى يقُـولَ: لا شيْءَ غَيْرُهـا، فإذا هَضَمَ دُنْيـاهُ وَزَهَدَ فِيها لآخِرَتِهِ، لم يَحْرِمْهُ اللَّهُ بِذلكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدّنْيا ولَمْ يُنقِصْهُ مِنْ سُرورِهِ فِيها.

والشّقيُّ يرغّبُهُ الشّيطانُ في الدنْيا حتى يقولَ: لا شيْءَ غيْرُها. فَيَجْعَـلُ اللَّهُ لَهُ النَّغِيص[4] في الدنْيا التي آثَرَ مَعَ الخِزْيِ الذي يَلْقَى بَعْدَهَا.

= من الرجل الـذي لا يَثُوب لـه مال ولا ينمي. ومنـه حديث عـائشة تصف أبـاها رضي اللَّهِ عنهمـا: «سَبَقَ إذْ وَنَيْتُم ونجح إذْ أكْدَيْتُم» أي ظَفَرَ إذْ خِبْتم ولم تَظْفَرُوا بحاجة.

(١) الفَـالِجُ: من فعـل فَلَجَ. وفَلَجَ القومَ يَفْلُجُ: فَـازَ، وهـو الفُلْجُ. والفَلْجُ بـالضم. والسَهْمُ الفـالـجُ: الفائز. وفَلَجَ بحجته وفي حجته وأفْلَجَهُ على خَصْمِه: غلَّبَه وفَضَّلَه.

(٢) لم يَخصِمْ: من فعل خَصَمَ يَخْصِمُ: والخصومة الجَدَلُ والجمع أخْصَامٌ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَـلْ أتاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذ تَسَوَّروا المِحْراب﴾.

(٣) تَعَرُّض: من الفعل عَرَضَ. وقيل: تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوب عرض الحصير وهو من عَـرْض الجُنْد بين يدي السلطان لاظهارهم واختيار أحوالهم.

(٤) النَّغيصُ: من فعل نغِصَ وأكثره بالتشديـد نُغِّصَ. وقيل: النَّغْصُ: كَـدَرُ العيش. وقيل أيضـاً نَغَّص علينا أي قطع علينا ما كنـا نُحِبُّ الاستكثار منـه، وكل من قـطع شيئاً ممـا يُحَبُّ الازديادُ منـه، فهو مُنَغِّصٌ..

الرجال أربعة

الرّجالُ أرْبَعَةٌ: جَوَادٌ، وبخيلٌ، ومُسرِفٌ، ومُقْتَصِدٌ. فَالجَوَادُ الّذي يُوَجّهُ[١] نَصِيبَ آخِرَتِهِ وَنَصِيبَ دُنْياهُ جَمِيعاً في أمْرِ آخِرتِهِ.

وَالبَخِيلُ الّذي يُخْطِىء وَاحِدةً مِنْهُما نَصِيبَها.

وَالمُسْرِفُ الّذي يجْمَعُهُمَا لِدُنْياهُ.

وَالمُقْتَصِد[٢] الذي يُلْحِقُ بِكُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَصِيبَها.

أغنى الناس وخير ما يؤتى المرء

أغْنى النّاسِ أكْثرُهُمْ إحْساناً.

قالَ رَجُلٌ لحَكيمٍ: مَا خَيْرُ ما يُؤتى المَرءُ؟ قال: غَريزَةُ عَقْلٍ[٣]. قالَ: فإنْ لم يكُنْ؟ قالَ: فَتَعَلُّمُ عِلْمٍ. قالَ: فإنْ حُرِمَهُ؟ قالَ: صِدْقُ اللّسانِ. قالَ: فإنْ حُرِمَهُ؟ قال: سُكوتٌ طَويلٌ. قالَ: فَإنْ حُرِمَهُ؟ قالَ: مِيتَةٌ عاجِلَةٌ.

أشدّ العيوب

مِنْ أشَدّ عُيوبِ الإنسانِ خَفاءُ عُيوبُهُ عَلَيْهِ. فإنّ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحاسِنُ غَيْرِهِ، وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحاسِنُ غَيْرِهِ فَلَنْ يُقْلِعَ عَنْ عَيْبِهِ الّذي لا يَعْرِفُ وَلَنْ يَنالَ محاسِنَ غَيْرِهِ الّتي لا يُبْصِرُ أبَداً.

---

(١) يُوَجّه: من فعل وَجّه أي دَبَّر.وصَرَفَ الأمر على وجهه الذي ينبغي أنْ يُوَجَّهَ عليه.

(٢) المُقْتَصِدُ من فعل قَصَدَ، والقَصْدُ في الأمر: هو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: المعتدل الذي لا يميل إلى طرفي التفريط والإفراط.

(٣) غَرِيزَةُ عَقْلٍ: الغريزة: الطبيعةُ والقريحةُ والسَّجِيَّة من خير أو شر وجمعها غرائز. ومنه قول الشاعر: [مجزوء الكامل].

إنَّ الشَّجاعَةَ في الفَتى ... والجُودَ مِنْ كَرَمِ الغرائز

الخصال المذمومة

خُمولُ الذِّكْرِ[1] أجْملُ من الذّكرِ الذّميمِ.

لا يُوجَدُ الفَخورُ مَحْموداً، وَلا الغَضُوبُ مَسْرُوراً، وَلا الحُرُّ حَرِيصاً، وَلا الكريمُ حَسوداً، وَلا الشَّرِهُ غَنيّاً، وَلا المَلولُ[2] ذا إخْوانٍ.

خِصَالٌ يُسَرُّ بها الجاهِلُ، كُلُّها كائِنٌ عَلَيْهِ وَبالاً[3]: مِنْها، أنْ يَفْخَرَ مِنَ العِلْمِ وَالمُرُوءةِ بما لَيسَ عِنْدَهُ. وَمِنْها، أنْ يرَى بالأخْيارِ مِنَ الاسْتِهانَةِ وَالجَفْوَةِ ما يُشْمِتُهُ بِهِمْ. ومِنها، أنْ يُناقِلَ[4] عالِماً وَديعاً مُنْصِفاً لَهُ في القَوْلِ فَيَشْتَدّ صَوْتُ ذلكَ الجاهِلِ عَلَيْهِ ثمَّ يُفْلِجُهُ[5] نُظَراؤهُ مِنَ الجُهّالِ حَوْلَهُ بِشِدّةِ الصَّوْتِ.

وَمِنْها، أنْ تَفْرُطَ مِنْهُ الكلِمةُ أوِ الفِعْلَةُ المُعْجِبَةُ للقَوْمِ فيُذكَرَ بها.

وَمِنها، أنْ يكونَ مجْلِسُهُ في المحْفِلِ وَعِنْدَ السّلطانِ فوْقَ مجَالِسِ أهْلِ الفَضْلِ عَلَيْهِ.

سخافة المتكلّم

مِنَ الدّليلِ على سَخافةِ المُتَكَلّمِ أن يكونَ ما يُرَى مِن ضِحْكِه لَيْسَ على حَسَبِ ما عِنْدَهُ مِنَ القَوْلِ، أوِ الرّجُلُ يُكلِّمُ صاحِبَهُ فيُجاذِبُهُ الكلامَ لِيكونَ هُوَ المُتَكَلّمَ، أوْ يَتَمَنّى أنْ يكونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَغَ وَأنْصَتَ لَهُ فإذا نَصَتَ لَهُ لَمْ يُحْسِنِ الكلامَ.

---

(١) خُمولُ الذِّكْرِ: الخُمولُ: من فعل خَمَلَ والخامل: الخَفِيُّ الساقط الذي لا نباهة له يقال: هو خامل الذِّكْرِ والصوت. وخَمَلَ صوتَه إذا وضعه وأخفاه ولم يرفعه.

(٢) الملول: من فعل ملل. والمَلَلُ: المَلالُ وهو أن تملَّ شيئاً وتُعْرِض عنه. ورجلَ مَلٌّ ومَلول وملولة: إذا سَئِمَ. ومنه قال الشاعر:

وأُقْسِمُ ما بي من جَفَاءٍ ولا مَلَل

(٣) وبالاً من فعل وَبَلَ. والوَبَلُ بالتحريك: الثقل والوخامة مثل الأَبَلةِ، والوبال: الشدة والثّقل، وفي الحديث: «كُلُّ بناءٍ وَبَالٌ على صاحبه» الوبال في الأصل: الثقل والمكروه.

(٤) يُنَاقِلُ من فعل نَقَلَ والناقل: الإنسان بين العدْو والخَبَبِ.

(٥) يُفْلِجُه: من فعل فَلَجَ وفَلِجَ القوم: غلّبهم ونصرهم وساندهم.

القائد إلى النار وخازن الشيطان

فَضْلُ العِلمِ في غيرِ الدِّينِ مَهْلَكَةٌ، وَكثْرَةُ الأدَبِ في غَيرِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَمَنْفَعَةِ الأخْيارِ قَائِدٌ إلى النّارِ.

وَالحِفظُ الذاكي الواعي لِغَيْرِ العِلْمِ النّافِعِ مُضرٌ بالعَمَلِ الصّالِحِ، والعَقْلُ غَيرُ الوَازِعِ[1] عَنِ الذنوبِ خَازِنُ[2] الشَّيْطانِ.

أخوف ما يكون

لا يُؤمِنَنّكَ شَرَّ الجاهِلِ قَرَابَةٌ وَلا جِوَارٌ وَلا إلْفٌ.

فإنّ أخْوَفَ ما يكونُ الإنْسانُ لحَريقِ النّارِ أقْرَبُ ما يكونُ مِنها، وكذلكَ الجاهِلُ إنْ جاوَرَكَ أنْصَبَكَ[3]، وَإنْ ناسَبَكَ جَنى عَلَيْكَ، وَإنْ ألِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ ما لا تُطيقُ، وَإن عاشَرَكَ آذاكَ وَأخافَكَ، مَع أنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضارٍ، وَعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ، وَعِنْدَ المُوافَقَةِ في الدِّينِ قائِدٌ إلى جَهَنّمَ.

فَأنْتَ بالهَرَبِ مِنْه أحَقُّ منْكَ بالهَرَبِ من سُمّ الأساوِدِ[4] وَالحريقِ المَخوفِ وَالدَّيْنِ الفادحِ[5] والدّاء العَيَاء[6].

---

(١) الوَازِعُ: من فعل وَزَعَ: والوَزْعُ: كَفُّ النفْسِ عن هَواها. وفي الحديث: «من يَزعُ السلطانُ أكثر ممن يَزَعُ القرآن» معناه أنَّ مَنْ يَكُفُ عن ارتِكابِ العظائم مخافة السلطان أكثرُ ممن تَكُفُّه مخافة القرآن.

(٢) خَازِنُ: من فعل خَزَنَ الشيءَ واخْتَزَنه: أحْرَزَه وجعله في خزانة قلبه واختزنه لِنَفْسه. والخزانة عمل الخازن وشبَّه الشيطان بالوعاء الذي يجمع فيه الخطايا والذنوب.

(٣) أنْصَبَك: من الفعل نَصِبَ، ونَصِبَ الرجل: تَعِبَ وأعْيا. وفي الحديث: «فاطمة بَضْعَةٌ مِنّي يُنْصِبُني ما أنصبها». أي يتعبني ما أتعبها. ومنه قول النابغة الذبياني:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ

(٤) الأسَاوِدُ الواحد: الأسْوَدُ: العظيم من الحيَّات وفيه سوادٌ. والجمع أسْوَدات وأساوِدُ. ومنه قوله ﷺ، حين ذكر الفِتَنَ: «لَتَعُودُنَّ فيها أساوِدَ صُبّاً يَضربُ بعضكم رقاب بعض».

(٥) الدَّيْن الفَادحُ من فَدَحَ. والفَدْحُ: أثقال الأمرِ: فَدَحه الدَّيْنُ والحِمْلُ يَفْدَحُه فَدْحاً: أثْقله فهو فادح. وقيل: نزل به أمرٌ فادح إذا غاله وبَهَظه.

(٦) الدّاءُ العَيَاء: من فعل عَيَا، وقد أعْيَاهُ الداءُ: المرض الذي لا يُبْرَأُ منه. وقول أحدهم: «وداءٌ قَدَ=

ماذا يعمل الحازم

وكـانَ يُقالُ: قـارِبْ عَدُوّكَ بعضَ المُقـارَبَةِ، تَنَـلْ حاجَتَـكَ، ولا تُقـارِبْـهُ كُـلَّ المُقارَبَةِ، فيَجْتَرِىءَ عَلَيْكَ عَدُوُّكَ وَتَذِلَّ نَفسُكَ وَيَرْغَبَ عَنْكَ ناصِرُكَ.

ومَثَلُ ذلكَ مَثَلُ العودِ المَنْصُـوبِ في الشمسِ، إنْ أمَلْتَهُ قَلِيـلاً زادَ ظِلُّهُ، وإنْ جاوَزْتَهُ الحَدّ في إمالَتِهِ، نَقَصَ الظّلُّ.

الحازِمُ لا يَأمَنُ عَدُوَّهُ على حالٍ: إنْ كانَ بَعِيداً لم يَأمَنْ مُغَاوَرَتَه[١]، وَإنْ كان قريباً لَمْ يَأمَنْ مُواثَبَتَهُ، وَإن كان مُنْكَشِفاً لَمْ يَأمَنِ اسْتِطْرَادَه[٢] وكَمِينَهُ، وَإنْ رَآهُ وَحِيداً لَمْ يأمَنْ مَكْرَهُ.

المَلِكُ الحـازِمُ يَزْدادُ[٣] بِـرَأيِ الوُزَرَاء الحَـزَمَةِ كمـا يَـزْدادُ البَحْـرُ بمـوَاده من الأنهارِ.

الظّفَرُ بالحَزْمِ، والحَزْمُ بإجالةِ[٤] الرّأيِ، وَالرّأيُ بتَحْصِينِ الأسْرَارِ.

فائدة المشورة

إنّ المُسْتَشِيرَ وَإن كان أفْضَلَ منَ المُسْتَشارِ رَأيـاً، فهُوَ يَـزْدادُ بِرَأيِـهِ رَأياً، كمـا تَزْدادُ النّارُ بالوَدَكِ[٥] ضَوءاً.

= آغْيا بالأطبّاء ناجِسٌ». أراد أعيَا الأطِبّاء فَعَدّاه بالحَرْفِ، إذا كان أعْيَا في معنى بَرَّحَ.

(١) مُغَاوَرَتُه: من فعل غَوَرَ. وغـاورهم مُغاورة، وأغـار على العدوّ يُغيـر إغارة ومُغـاراً، وقيل: الإغـارة المصدر، والغارة الاسم من الإغارة على العدوّ، وتغاور القوم: أغار بعضهم على بعض.

(٢) اسْتِطْرَاده: من فعل طَرَد، والفارس يَسْتَطْرِدُ لِيَحْمِلَ عليه قِرْنُه ثم يَكُرُّ عليه. وقد اسْتَـطْرَدَ له وذلـك ضَرْب من المَكِيدَة.

(٣) يزداد من فعل زاد، ويزداد يقوى حلمه، ويَشتدُّ ساعده نصراً وفوزاً وقوة.

(٤) إجـالة الـرأي: من فعل جَـوَل أي جال في الحـرب والكلام جَـوْلة وجـالَ واجْتَال: إذا ذهب وجـاء بالبيْن، والجُول: العزيمة، ويقال العقل؛ ورجـل ليس له جـالٌ أي ليس له عـزيمة. ويقـال للرجل الذي لا تماسُك له ولا حَزْم: ليس لفلان جُول.

(٥) الوَدَكُ: الدسم المعـروف. وفي حديث الأضـاحي: يحْمِلون منها الـوَدَك: وهو دَسَم اللحم ودُهْنُـه =

عَلى المُسْتَشارِ مُوافَقَةُ المُسْتشيرِ على صَوَابِ ما يَرى، وَالرِّفْقُ بِهِ في تَبْصِيرِ[1] خطإٍ إنْ أتى بِهِ، وَتَقْلِيبُ الرَّأيِ فيما شَكّا فِيهِ، حتى تَسْتَقِيمَ لهُما مُشاوَرَتُهُما.

الطمع

لا يَطْمَعَنّ ذو الكِبْرِ في حُسْنِ الثّناء، وَلا الخِبُّ[2] في كثرةِ الصّديقِ، وَلا السّيّءُ الأدَبِ في الشّرَفِ، ولا الشّحِيحُ في المَحْمَدَةِ، ولا الحَريصُ في الإخوانِ، ولا المَلِكُ المُعْجَبُ بِثَبَاتِ المُلْكِ.

صرعة اللين

صَرْعَةُ اللِّينِ أشَدُّ اسْتِئصَالاً مِنْ صَرْعَةِ المُكابَرَةِ[3].

أربعة أشياء

أرْبَعَةُ أشْياءَ لا يُسْتَقَلُّ[4] منها قَليلٌ: النارُ، وَالمَرَضُ، وَالعدوّ، والدَّيْنُ.

أحقّ الناس بالتوقير

أحَقُّ النّاسِ بالتَوْقيرِ المَلِكُ الحَليمُ، العالِمُ بالأمورِ وَفُرَصِ الأعْمالِ

= الذي يستخرج منه.

(١) تبصير: من فعل بَصَر. وبَصَّره بالأمرِ تَبْصيراً: فَهَّمَهُ إياه.

(٢) الخِبُّ: من فعل خَبَبَ. والخِبُّ: الخِدَاعُ والخبث والغِشُّ، ورجلٌ مُخابٌّ مُدْغِلٌ كأنه على خابٌّ. ورجل خَبٌّ وخِبٌّ: خداع مُنْكَرٌ وفيه قال الشاعر:

وما أنتَ بالخَبِّ الخَتُورِ ولا الذي ... إذا اسْتُودِعَ الأسْرارَ يوماً أذاعَها

والخِبُّ والخَبُّ بالفتح والكسر: الذي يَسعَى بين الناسِ بالفساد. وفي الحديث: «مَنْ خَبَّبَ امرأةً ومَمْلوكاً على مُسْلِمٍ فليس منّا» أي خَدَعَه وأفسده.

(٣) المُكَابَرَة: الامتناع عن قَبُول الحق. والمكابَرَةُ: المعاندة والمكابرة: من فعل كَبُرَ. والكبرياء: الله المتعالي عن صفات الخلق.

(٤) يستقل من فعل قلَلَ، والقُلُّ: خلاف الكُثْر، وقد قَلَّ يَقِلُّ: فهو قليل استَقَلَّ الشيء وتَقالَّه: رآه قليلاً.

وَمَواضِعِ الشّدّةِ وَاللّينِ وَالغَضَبِ وَالرّضَا وَالمُعاجَلَةِ وَالأناةِ، النّاظِرُ في أمْرِ يوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أعْمالِهِ.

العاجز والحازم

السّبَبُ الذي يُدْرِكُ بِهِ العاجِزُ حاجَتَهُ هُوَ الذي يَحولُ بينَ الحازِمِ وَبَيْنَ طَلِبَتِهِ[1].

أهل العقل والكرم

إنْ أهْلَ العَقْلِ والكَرَمِ يَبْتَغونَ إلى كُلّ مَعرُوفٍ وَصْلَةً وَسبيلاً.

والمَوَدّةُ بينَ الأخْيارِ سَريعٌ اتّصالُها بَطيءٌ انْقِطاعُها، وَمَثَلُ ذلكَ مَثَلُ كُوبِ الذهَبِ الذي هوَ بطيءُ الانْكِسارِ هَيّنُ الإصْلاحِ.

وَالمَوَدّةُ بين الأشرَارِ سَريعٌ انْقِطاعُها بَطيءٌ اتّصالُها، كالْكوزِ منَ الفَخّارِ يَكسرُهُ أدْنى عَبَث ثمّ لا وَصْلَ لَهُ أبَداً.

وَالكريمُ يَمْنَحُ الرّجُلَ مَوَدّتَهُ عَنْ لُقْيَةٍ[2] وَاحِدةٍ أوْ مَعْرِفَةِ يَوْمٍ. وَاللّئيمُ لا يَصِلُ أحَداً إلاّ عنْ رَغْبَةٍ أوْ رَهْبَةٍ.

فإنّ أهلَ الدنْيا يَتعاطَوْنَ فيما بينَهُمْ أمْرَيْنِ وَيَتَواطأونَ عليهما: ذاتُ النّفسِ[3]، وذاتُ اليَدِ.

---

(١) طَلِبَتِهِ: من فعل طَلَب وهو من الأضداد والطَّلِبة بكسر اللام: ما طَلَبْته من شيء والطَّلِبَةُ: الحاجةُ، وأطلابُها: إنجازُها. وفي حديث نُقادَةَ الأسَديّ: قلت: يا رسول الله أطلبْ إليَّ طَلِبَةً، فإني أُحب أنْ أُطْلِبَهَا. أي اقضيها لك.

(٢) لُقْيَةٌ: من فعل لَقَا ولَقِيَ فلان آخرَ لِقاء بالمدِّ ولُقِيّاً بالتشديد الواحدة لُقْيةٌ. واللّقَاء: نقيض الحجاب. وفي الحديث: من «أحَبَّ لِقاءَ اللّهِ أحبَّ اللّهُ لقاءه».

(٣) ذات النّفْسِ: الذات في الأصل: ما فطر الله الإنسان على نفسه من فكر ورأي وعقل وموعظة وحكمة وما تكنه النّفس من أسرار كبرى. أمّا ذات اليَدِ: ما في حوزة الإنسان من مال وعتاد وعقار وأولاد وأمة.

فأمّا المُتبادِلونَ ذاتَ اليَدِ فهُمُ المُتعاونـونَ المُسْتَمْتِعونَ الّـذينَ يَلْتَمِسُ بعضُهُمُ الانْتِفاعَ ببَعْضٍ مُناجَزَةً[1] ومُكايَلَةً[2].

المال كلّ شيء

مـا التَّبَعُ وَالأعْـوَانُ والصّديقُ والحَشَمُ[3] إلاّ للمـالِ. وَلا يُـظْهِـرُ المُـروءةَ إلاّ المالُ. ولا الرّأيُ وَلا القوّةُ إلاّ بالمالِ.

ومَنْ لا إخوَانَ لَهُ فلا أهلَ لَـهُ، ومَنْ لا أولادَ لهُ فـلا ذِكْرَ لَـهُ، ومَنْ لا عَقْلَ لـهُ فَلا دُنْيا لهُ ولا آخِرَة، ومَنْ لا مالَ لهُ فلا شيْءَ لَهُ.

الفقر مجمعة للبلايا

وَالفَقْرُ داعِيَةٌ إلى صاحِبِهِ مَقْتَ النّاسِ، وَهُوَ مَسْلَبَةٌ للعَقْلِ والمُروءةِ، ومَذْهَبَـةٌ للعِلْمِ والأدبِ، وَمَعْدِنٌ للتُّهَمَةِ، وَمجْمَعَةٌ للْبَلايا.

وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الفَقْرُ والفاقَةُ لم يَجِدْ بُدّاً من تَرْكِ الحَيـاءِ، ومَن ذَهَبَ حيَاؤهُ ذَهَبَ سُـرُورُهُ، ومَن ذَهَبَ سُرورُهُ مَقُتَ، ومَنْ مَقُتَ أُوذيَ، ومَنْ أُوذيَ حَـزِنَ، ومَنْ حَـزِنَ فَقَدْ ذَهَبَ عَقْلُه وَاسْتُنْكِرَ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ.

ومَنْ أُصِيبَ في عَقْلِهِ وفَهْمِهِ وَحِفْظِهِ كانَ أكثرُ قَوْلِهِ وعَمَلِهِ فِيمـا يكونُ علَيْـه لا لَهُ.

---

(١) مُنَاجَزَةً: من فعل نَجِزَ. ونَجَزَتِ الحاجةُ إذا قُضيت. وإنْجازُ لَها: قضاؤهـا، والمناجـزة: المنافسـة لتلبية الحاجات وقضائها.

(٢) مُكَـايَلَةً: من فعل كَيـل، والكَيْل: البُـرُّ. والمكَايَلة: المُقَـايَسة بـالقول والفعـل والمقصود المُكـافأةُ بالسُّوءِ وتَركُ الإغْضاء والاحتمـالِ أي تقول لـه وتَفْعَل معـه مثل مـا يقول لـك ويفعل معـك، وهي مفاعلة من الكَيْل.

(٣) الحَشَمُ: من فعل حَشَمَ. وحُشْمَةُ الرجل وحُشَمَـةُ: خاصته الذين يغضبـون له من عبيـد أو أهلٍ أو جيدةٍ إذا أصابه أمر. وحَشَمُ الرجل: عياله وقرابته والحَشَمُ: خَدَمُ الرجل. والحَشَمُ واحد وجمـع. يقال هذا الغلام حَشَمٌ لي.

فإذا افْتَقَرَ الرَّجُلُ اتَّهَمَهُ مَن كان لَهُ مُؤتِمناً، وَأساء بِهِ الظَّنَّ مَنْ كان يَظُنّ بِهِ حَسَناً، فإذا أذْنَبَ غيْرُهُ ظَنّوهُ وكانَ للتُّهَمَةِ وسوء الظَّنّ مَوْضِعاً.

وَلَيْسَ مِن خَلّةٍ[1] هيَ للغنيّ مَدْحٌ إلاّ هيَ للفَقيرِ عَيْبٌ، فإنْ كانَ شُجاعاً سُمّيَ أهْوَجَ، وإنْ كانَ جَوَاداً سُمّيَ مُفْسِداً، وإنْ كان حليماً سُمّيَ ضَعِيفاً، وإن كان وقوراً سُمّيَ بَلِيداً، وَإنْ كان لَسِناً[2] سُمّيَ مِهْذاراً، وإنْ كان صَمُوتاً سُمّيَ عَيِيّاً.

الموت راحة

وكان يُقالُ: مَنِ ابْتُلِيَ بمرَضٍ في جَسَدِهِ لا يُفارِقُهُ، أوْ بِفِراقِ الأحِبّةِ والإخوَان، أوْ بالغُرْبةِ حيثُ لا يَعرِفُ مَبيتاً ولا مَقِيلاً[3] ولا يَرْجو إياباً، أوْ بِفاقةٍ تضطرُّهُ إلى المَسْألةِ: فالحياةُ لهُ مَوْتٌ، والموْتُ لَهُ رَاحَةٌ.

البلايا في الحرص والشره

وَجَدْنا البَلايا في الدنْيا إنما يسوقُها إلى أهْلِها الحِرْصُ والشَّرَهُ. وَلا يَزَالُ صاحبُ الدّنْيا يَتقَلّبُ في بَلِيّةٍ وتَعَبٍ، لأنّهُ لا يزالُ بِخَلَّةِ الحِرْصِ والشَّرَهِ.

ماذا قال العلماء

وَسَمِعْتُ العُلَماء قالوا: لا عَقْلَ كالتّدْبيرِ، ولا وَرَعَ كالْكَفّ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ، ولا غِنًى كالرِّضَى. وَأحَقُّ مَا صُبِرَ عُلَيْهِ مَا لا سَبِيلَ إلى تَغْيِيرِهِ.

---

(١) الخَلَّة: الخَصْلة من فعل خلل. يقال: في فلان خَلّة حسنة، فكأنّه إنما ذهب بالخلّة إلى الخَصْلة الحَسنة خاصة. وقد يجوز أن يكون مَثّل بالحسنة لمكان فضلها على السَّمِجة. والجمع خِلال. قيل: فلان كريم الخِلال.

(٢) لَسِناً: من فعل لَسن. ورَجُلٌ لَسِنٌ: بَيِّنُ اللَّسَ إذا كان ذا بيان وفصاحة وقيل: إن لسان الناس عليك لَحَسَنة وحَسَنٌ أي ثناؤهم. واللسان: الثناء. ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿**واجْعَلْ لي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخرين**﴾ أي اجعل لي ثناءً حسناً باقياً إلى آخر الدهر.

(٣) مقيلاً: من فعل قَيَلَ. والمَقِيلُ: الاستراحة نصف النهار إذا اشتدّ الحرّ وإن لم يكن مع ذلك نَوْمٌ، والدليل على ذلك أن الجنة لا نَوْمَ فيها. ورُوِيَ في الحديث: «قيلوا، فإنّ الشياطين لا تَقِيل».

وَأفْضَلُ البِرّ الرَّحْمَةُ، وَرَأسُ المَوَدّةِ الاسْتِرْسالُ[1]، وَرَأسُ العَقْلِ المَعْرِفَةُ بما يكونُ وما لا يكونُ، وَطِيبُ النّفْسِ حُسْنُ الانْصِرَافِ عمّا لا سَبيلَ إليْهِ. وَلَيْسَ مِنَ الدّنْيا سُرُورٌ يَعْدِلُ صُحْبَةَ الإخْوَانِ، وَلا فِيها غَمٌّ يَعْدِلُ غَمَّ فَقْدِهِمْ.

تمام حسن الكلام

لا يَتِمُّ حُسْنُ الكَلامِ إلاّ بِحُسْنِ العمَلِ، كالمَريضِ الذي قَدْ عَلِمَ دَوَاء نَفْسِهِ، فإذا هُوَ لم يَتَداوَ بِهِ لم يُغْنِهِ عِلْمُهُ.

صاحب المروءة

الرّجُلُ ذو المُرُوءةِ قدْ يُكْرَمُ على غَيْرِ مالٍ، كالأسَدِ الذي يُهابُ وإنْ كانَ عَقِيراً[2].

والرّجُلُ الذي لا مُرُوءةَ لَهُ يُهانُ وإن كَثُرَ مالُهُ، كالكلْبِ الذي يَهُونُ على النّاسِ وإنْ هوَ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ.

تعاهد نفسك

لِيَحْسُنْ تعاهُدُكَ نَفْسَكَ بما تَكونُ بِهِ للخَيرِ أهْلاً. فإنّكَ إذا فَعَلْتَ ذلكَ، أتاكَ الخَيْرُ يطلُبُكَ، كما يطلُبُ الماءُ السَّيْلَ إلى الحُدورَة[3].

---

(١) الاسْترسال من فعل رسل. أعطى في رِسْلها: أعطى بِطِيب نفس منه. وقيل: الرِّسْلُ: والرِّسْلةُ: الرِّفْق والتّؤدة.

(٢) عقير: من فعل عَقَر: قطع. والمقصود هنا: المنحور، العقير والعقيرة: الرجل الشريف يُقْتَل. وقيل: ما رأيت كاليوم عقيرةً وسْطَ قوم؛ للرجل الشريف يُقْتَل، وعقر النخلة عَقْراً: قطع رأسها فيبست.

(٣) الحدور: من فعل حَدَرَ وانْحَدَر. وهو اسم مُقدار الماء في انْحدارِ صَبَبِه وكذلك الحدور في سفح الجبل، وكل موضع مُنْحدر.

أشياء غير ثابتة

وَقِيلَ في أشْياءَ لَيْسَ لها ثَباتٌ ولا بَقاءٌ: ظِلُّ الغَمامِ، وَخُلّةُ[1] الأشْرارِ، وَعِشْقُ النّساء، والنّبأُ الكاذِبُ، والمالُ الكثيرُ.

وَلَيس يفْرَحُ العاقِلُ بالمالِ الكثيرِ، ولا يُحْزِنُهُ قلّتُهُ. ولكِنَّ مالَـهُ عقْلُهُ وما قَـدّمَ من صَالِحِ عَمَلِهِ.

أولى الناس

إنّ أوْلى النـاسِ بفَضْـلِ السّـرُورِ وَكَـرَمِ العَيْشِ وَحُسْنِ الثّنـاء مَنْ لا يَبْـرَحُ رَحْلَهُ[2] من إخـوانِهِ وأصْـدقائِـهِ منَ الصّالحينَ مَـوْطوءاً ولا يـزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ زِحـامٌ، وَيَسُـرُّهُمْ ويَسُرُّونَـهُ وَيكونُ من وَراء حـاجاتِهم وَأُمـورِهِمْ، فإنّ الكـريمَ إذا عَـثَـرَ لم يَسْتَقِلْ إلاّ بالكِرَامِ، كالفِيلِ إذا وَحِلَ لم يَسْتَخْرِجْهُ إلاّ الفِيَلَةُ.

شراء العظيم بالصغير

لا يَرى العاقِلُ مَعرُوفاً صَنَعَهُ، وإنْ كان كثيراً. ولَـوْ خاطَـرَ بنفسِهِ وَعَـرَضَهَا في وُجـوهِ المعرُوفِ، لمْ يَـرَ ذلِكَ عَيْبـاً. بلَ يعلَمُ أنّمـا أخْطَرَ الفـاني بالبـاقي، واشترى العظيمَ بالصّغيرِ.

وَأغْبَطُ النّاسِ عِندَ ذوي العَقْلِ أكثرُهُمْ سائلاً مُنْجحاً[3]، وَمُستَجيراً آمِناً.

---

(١) الخُلّةُ: من فعل خلل. والخُلّة: الصّداقة. والخِلُّ: الوُدُّ والصَّدِيق. وقيل: إنّه لكريم الخِلِّ والخِلّة كلاهما بالكسر أي كريم المُصادَقة والمُوادَّة والإخاء وفي الحديث: «إنّي أبـرأُ إلى كل ذي خُلّة من خُلّته». والخُلّة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخلّلت القلب فصارت خِلالَه أي في باطنه.

(٢) رحله: من فعل رَحَلَ. الرَّحْلُ: منزل الإنسان ومسكنه وبيته. ويقـال: دخلت على الرَّجُـل رَحْله: أي منزله. وانتهينا إلى رِحَالِنا: منازلنا. وفي الحديث: «إذا ابْتَلّت النِّعال فالصلاة في الرِّحال»: في الرِحَال يعني الدُّور.

(٣) مُنْجَحاً: من فعل نَجَحَ. والنُّجحُ: الظَّفَرُ بالشيء. وفي خطبة عائشـة، رضي الله عنها: «وأنْجَحَ إذ أكْذَبْتُم» ورجل نَجِيحٌ: مُنْجِحُ الحاجات، ورأي نَجيحٌ: صوابٌ وهو المقصود.

المشاركة في المال

لا تَعُدَّ غَنِيّاً مَنْ لَمْ يُشارِكْ في مالِـهِ، ولا تَعُدَّ نَعِيمـاً ما كـانَ فيهِ تَنْغِيصٌ وَسُـوءُ ثَناء، وَلا تَعُدَّ الغُنْمَ غُنْماً إذا ساقَ غُرْماً[١] ولا الغُـرْمَ غُرْمـاً إذا ساقَ غُنْمـاً، ولا تَعْتَدَّ من الحياةِ ما كانَ في فِرَاقِ الأحِبّة.

المعونة على تسلية الهموم

وَمِنَ المَعونَةِ على تَسْلِيَةِ الهمومِ وسُكونِ النَّفسِ لِقاءُ الأخِ أخاهُ، وإفْضاءُ كلِّ واحِدٍ منْهُما إلى صاحِبِهِ بِبَثِّه[٢].

وإذا فُرِّقَ بينَ الأليفِ وألِيفِهِ فقد سُلِبَ قَرَارَهُ[٣] وَحُرِمَ سُرُورَهُ.

من بلاء إلى بلاء

وَقَلَّ ما ترانا نُخلِّفُ[٤] عَقَبَةً منَ البَلاء إلاّ صِرنا في أُخْرَى.

تقلب الأحوال وتعاقبها

لَقَدْ صَدَقَ القائِلُ الذي يقول: لا يَزَالُ الرَّجُلُ مُسْتَمِرّاً ما لَمْ يَعْثُرْ، فإذا عَثَرَ مَرَّةً واحِـدَةً في أرْضِ الخَبارِ[٥] لَـجَّ بِهِ العِثـارُ، وإنْ مَشَى في جَدَدٍ[٦] لأنَّ هـذا الإنسانَ

---

(١) غُرْماً: من فعل غَرِمَ. والغُرْمُ: الدَّيْنُ. ورجل غارمٌ: عليه دَيْنٌ. وفي الحديث: الرَّهْنُ لمن رَهَنَه لـه غُنْمُه وعليه غُرْمُه أي عليه أداء ما رهن به وفكاكُه والغَرِيم: الذي له الدَّيْن والذي عليه الدَّيْن جميعاً والجمع غُرماء.

(٢) بثّـه: من فعل بَثَّ. والبَثُّ: الحُـزْنُ والغمُّ الذي تُفْضِي بـه إلى صاحبـك. وأَبَثَّه الحـديث: أَطْلَعَهُ عليه.

(٣) قَرَارَه: من فعل قرر. وقَرّ: سكن وثبت. وفي الحديث: أُقِرَّت الصلاة بالبـرّ والزكـاة. أي اسْتَقَرَّت معهما وقُرِنَت بهما. وتقريرُ الإنسان بالشيء: جَعْلُه في قراره.

(٤) الخلف من فعل خَلَفَ. وخَلَفَه: صار خَلْفَه والخَلَفَ بالتحريك والخَلْف بالسكـون: كل من يجيء بعد من مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتَّسكين في الشرّ، وخلّف: تَرَكَهُ خَلْفَهُ.

(٥) الخَبـارِ من الفعـل خبـر. والخَبـارُ من الأرض: مـا لانَ واسْتَرْخَى وكـانت فيـه حِجَـرةٌ. والخَبـارُ: الجراثيم وجِحَرةُ الجُـرْذان، واحدتـه خَبارَةٌ وفي المثـل: من تَـخَبُّ الخَبارَ أَمِنَ العِثـارَ. والخَبارُ: أرض رِخْوَةٌ تتعتع فيه الدوابُّ.

(٦) في جَدَدٍ: من فعل جَدَد. والجد العـظمة، والجَـدُّ: الحظ والسعادة والغنى وجـدِدْت بالأمْـرِ جَدّاً:

مَوكَّلٌ بـهِ البَلاءُ، فـلا يَزَالُ في تَصَـرُّفٍ وفي تَقَلّبٍ لا يَدُومُ لَـهُ شيءٌ ولا يَثْبُتُ مَعَهُ، كما لا يدومُ لِطالِعِ النّجومِ طُلوعُهُ ولا لآفِلِها أفولُهُ. ولكِنّها في تَقَلّبٍ وتعـاقُبٍ: فَلا يَزَالُ الطّالِعُ يَكُونُ آفِلاً، وَالآفِلُ طالِعاً.

= حظيت به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأدبُ الكبير

قالَ عبْدُ اللَّه بن المُقفّع:

إنّا وَجَدْنَا الناسَ قَبْلَنا كانوا أعْظَمَ أجْساماً، وَأوْفَرَ معَ أجسامِهم أحْلاماً[1]، وَأشَدَّ قُوَّةً، وَأحْسنَ بقُوّتِهمْ لِلأمورِ إتْقاناً، وأطْوَلَ أعْماراً، وَأفْضَل بأعْمارِهِمْ لِلأشياء اخْتِباراً.

فَكانَ صَاحِبُ الدِّين مِنْهُمْ أبْلَغَ في أمْرِ الدّينِ عِلْماً وَعَمَلاً مِنْ صَاحِبِ الدِّينِ مِنّا، وكانَ صَاحِبُ الدّنْيا على مِثْلِ ذلكَ مِنَ البَلاغَةِ والفَضْلِ.

وَوَجدْناهُم لم يَرْضَوْا بما فازوا بِهِ من الفَضْلِ الذي قُسِمَ لأنْفُسِهم حَتّى أشرَكونا مَعَهُمْ في ما أدْرَكوا مِنْ عِلْمِ الأولى والآخِرَةِ فَكتَبوا بِهِ الكُتُبَ الباقِيَةَ، وضَرَبوا الأمْثالَ الشّافِيَةَ، وكَفَوْنَا بِهِ مَؤونَةَ[2] التّجارِبِ والفِطَنِ.

وبَلَغَ من اهْتِمامِهِمْ بِذلكَ أنّ الرّجُلَ مِنْهُمْ كان يُفْتَحُ لَهُ البابُ مِنَ العِلْمِ، أوِ الكلِمَةُ مِنَ الصّوابِ وهُوَ في البَلَدِ غَيرِ المَأهولِ فَيَكْتُبُهُ على الصّخورِ مُبادَرَةً للأَجَلِ[3] وكَرَاهِيَةً مِنْهُ أنْ يَسْقُطَ[4] ذلكَ عمّنْ بَعْدَهُ.

---

(١) أحلاماً: من فعل حَلِمَ، والحِلْمُ: الأناة والعقل. وجمعه أحْلامَ وحُلُومٌ. ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أمْ تَأمُرُهُم أحلامُهم بِهَذَا﴾. وفي حديث النبي ﷺ: «لِيَلِيَنّي منكم أُولُو الأحلام والنهي»، أي ذوو الألباب والعقول.

(٢) مؤونة من فعل مَأَن. والمؤونة مَفْعُلة من الأيْن وهو التعب والشدة. ويقال: هي مَفْعُلة من الأوْن وهو الخُرْجُ والعِدْلُ لأنه ثِقْلٌ على الإنسان.

(٣) الأجل: مُدّةُ الشيء وغاية الوقت في الموت. والجمع آجال. والتأجيل: تحديد الأجَلِ. وفي التنزيل: ﴿كتاباً مؤجلاً﴾. وأجِلَ الشيءُ يَأْجَلُ: تأخر، وهو نقيض العاجل.

(٤) يسقط من فعل سَقَطَ والسَّقْطَةُ: الوقعة الشديدة. وكره أنْ يَسقطَ على معنى الفوت والضياع على =

فَكانَ صَنِيعُهُمْ في ذلكَ صَنِيعَ الوَالِدِ الشَّفِيقِ على وَلَدِهِ[١]، الرَّحيمِ البَرِّ بهِم، الذي يجمَعُ لهُمُ الأمْوَالَ والعُقَدَ[٢] إرادَةَ ألاّ تكونَ عَلَيْهِمْ مؤونَةٌ في الطَّلَبِ، وَخَشْيَةَ عَجْزِهِمْ، إنْ هُمْ طَلَبُوا.

فمُنْتَهَى عِلْمِ عالِمِنا في هذا الزّمانِ أنْ يأخُذَ مِنْ عِلْمِهِمْ، وغايَةُ إحْسانِ مُحْسِنِنَا أن يَقْتَدِيَ بِسِيرَتِهِمْ.

وَأحْسَنُ ما يُصِيبُ من الحديثِ مُحدِّثُنا أنْ يَنْظُرَ في كُتُبِهِمْ فيكونَ كأنَّهُ إيّاهُمْ يُحاور[٣]، ومِنهُمْ يَسْتَمِعُ، وَآثارَهُمْ يتّبع.

غيرَ أنَّ الذي نجِدُ في كُتُبِهِمْ هوَ المُنْتَخَلُ[٤] من آرائِهِمْ وَالمُنتَقى[٥] منْ أحادِيثِهِمْ.

ولمْ نجِدْهُمْ غادروا شيْئاً يجِدُ واصِفٌ بَلِيغٌ في صِفَةٍ لَهُ مَقالاً لمْ يَسْبِقوهُ إلَيْهِ: لا في تعْظيمٍ للَّهِ، عزّ وجلّ، وترْغِيبٍ فيما عندَهُ، ولا في تصْغيرٍ للدّنْيا وتَزْهِيدٍ فِيها، ولا في تحرير صُنوفِ العِلْمِ وتَقسيمِ أقْسامِها وتجْزئَةِ أجْزائها وتَوْضِيحِ سُبُلِها وتَبْيينِ مآخِذِهَا، ولا في وَجْهٍ مِن وُجوهِ الأدَبِ وضُرُوبِ[٦] الأخلاقِ.

= الاستعارة.

(١) وَلَده: من الفعل وَلَد. الولد: اسم يجمع الواحد والكثير المذكر والمؤنث، والوَلْدُ والوُلْدُ بالضم: ما ولد أيّاً كان. ووَلَدُه: رهطه في المعنى وهو المقصود.

(٢) العُقَدُ: من فعل عَقَد والعُقَدُ: الولايات والأمصار. قيل: هَلَكَ أهْلُ العَقْدِ. وقيل: هو من عَقْدِ الولاية للأمراء. والعُقَل: العِقار من الأرض والديار والضِيّع والقرى وهي ما اعتقله صاحبها ملكيتها له.

(٣) يحاور: من فعل حور، والحَويرُ: يقال سمعت حَويرَهما وحِوَارَهما والمحاورة: المجاوبة. وقيل: مراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة.

(٤) المنتخلُ: من الفعل نخل، وانتخلت الشيء: تخيّرتُه. ونخل الشيء وانْتَخَله: صَفَّاه واختارَه. والانتخال: الاختيار الأفضل.

(٥) المنتقى من فعل نَقِيَ الشيءُ: وانتقاه: اختاره.

(٦) ضُرُوب الأخلاق: من الفعل ضَرَبَ. والضَرْب: الشكل. يقال: عندي من هذا الضَّرْبِ شيءٌ كثير أي من هذا النوع، والمثال، وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على أنواع وصنوف ومثال واحد. =

فَلَمْ يَبْقَ في جلِيلِ الأمْرِ ولا صَغيرِهِ لِقائِلٍ بَعْدَهمْ مَقالٌ.

وَقَدْ بَقِيَتْ أشْياءُ من لَطائِفِ الأمورِ[1] فيها مَواضِعُ لِصِغارِ الفِطَنِ، مُشْتَقَّةٌ مِنْ جِسامِ حِكَمِ الأوّلينَ وقَوْلِهِمْ، فمِنْ ذلكَ بَعضُ ما أنا كاتبٌ في كِتابي هذا مِنْ أبْوابِ الأدَبِ التي يحْتاجُ إلَيْها النّاسُ.

يا طالب الأدب

يا طالِبَ الأدبِ إنْ كُنْتَ نَوْعَ العِلْمِ تُريدُ فَاعْرِفِ الأصُولَ والفُصُولَ[2]. فإنّ كثيراً منَ الناسِ يَطْلُبونَ الفُصُولَ مَعَ إضاعَةِ الأصول فلا يكونُ دَرْكُهُمْ[3] دَرَكاً. ومَنْ أحْرَزَ الأصُولَ اكْتَفَى بِها عَنِ الفُصُولِ. وإن أصابَ الفَصْلَ بَعْدَ إحْرازِ الأصْلِ فهُوَ أفْضَلُ.

فَأصْلُ الأمْرِ في الدِّينِ أنْ تَعتَقِدَ الإيمَانَ عَلى الصَّوَابِ، وتجْتنِبَ الكَبائِرَ[4]، وتُؤدّي الفَريضَةَ. فالْزَمْ ذلكَ لُزُومَ مَنْ لا غنًى لَهُ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، ومَنْ يَعْلَمُ أنّهُ إنْ حُرِمَهُ هَلَكَ. ثمّ إنْ قَدَرْتَ على أن تُجاوِزَ ذلكَ إلى التَّفَقُّهِ[5] في الدِّينِ والعِبادَةِ فهُوَ أفْضَلُ وَأكملُ.

= والجمع أضْرُبٌ وضُرُوبٌ.

(١) لطائف الأمور: من فعل لطف. واللَّطِيفُ: الرفيق والخبير ولَطُف بالضم يَلْطُفُ معناه صَغُرَ ودَقَّ فهو لَطِيف. واللُّطْفُ في الأعمال: الرفق فيها. ولَطُفَ الشيء يَلْطُف: صغر.

(٢) الأصول من فعل أَصَل. وأَصُلَ الشيءُ: صار ذا أَصْل. والأَصْلُ: أسْفل كل شيء وجمعه أُصول لا يُكَسَّر وقصد هنا الأديب بالأصُول القوانين والأسس والقواعد التي يرتكز عليها أي علم من العلوم. أما الفصول من فعل فَصَل. والفَصْلُ: الحاجز بين الشيئين والفصُول مقصود بها الفروع التي انفصلت وانقطعت عن الأصول.

(٣) دَرْكُهم: من دَرَكَ. والدَّرْكُ: التَّابُع واللَّحاق والوصول إلى أقصى الشيء. والإدْراك: اللحوق. والدَّرْك: اللَّحَقُ من التَّبِعَةِ، ومنه في الحديث: «أعوذ بك من دَرْك الشَّقاء».

(٤) الكبائر: من فعل كَبُر أي عَظُمَ. والكِبْرُ: الإثم الكبير وما وعد الله عليه بالنار. ومنه قوله تعالى: ﴿الذين يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم والفَواحِشَ﴾. والكبائر واحدتها كبيرة، وهي الفَعْلَةُ القبيحة من الذنوب المَنْهِيّ عنها شرعاً العظيم أمرها كالقتل وغيره.

(٥) التَّفَقُّه من الفِقْه: العلم بالشيء والفهمُ له وغلبَ على علم الدين وجَعَله العُرْفُ خاصاً بعلم الشريعة. ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهوا في الدِّين﴾ أي ليكونوا عُلَماء به. وفَقِه الشيءَ: عَلِمَه.

وَأصْـلُ الأمْرِ في صَـلاحِ الجَسَـدِ ألاّ تحْمِـلَ عَلَيْـهِ مِنَ المَـآكِـلِ والمَشـارِبِ والبـاهِ[1] إلاّ خُفافـاً[2]، ثمّ إنْ قَدَرْتَ على أنْ تَعْلَمَ جَمِيـعَ مَنَافِـعِ الجَسَدِ وَمَضَـارِّهِ والانْتِفاعَ بذلكَ كلِّهِ فهُوَ أفْضَلُ.

وَأصْلُ الأمْرِ في البَأسِ والشّجاعَةِ ألاّ تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بالإدبـارِ[3]، وَأصْحابُـكَ مُقْبِلونَ على عَدُوّهِمْ. ثمّ إنْ قَدَرْتَ على أنْ تَكونَ أوّلَ حامِـلٍ وَآخِرَ مُنصـرِفٍ، منْ غيرِ تضْيِيعٍ للْحِذْرِ، فهُوَ أفْضَلُ.

وَأصْلُ الأمْرِ في الجودِ ألاّ تضِنَّ بالحُقوقِ على أهْلِها. ثمّ إنْ قَـدَرْتَ أنْ تَزيـدَ ذا الحقّ على حَقّه وَتَطُول[4] على مَنْ لا حَقّ لَهُ فافْعَلْ فهُوَ أفْضَلُ.

وَأصْلُ الأمْرِ في الكلامِ أن تَسْلَمَ مِنَ السَّقَطِ[5] بِالتّحفّظِ. ثمّ إنْ قَـدَرْتَ على بارِعِ الصّوَابِ فهُوَ أفْضَلُ.

وَأصْلُ الأمْرِ في المَعِيشَةِ ألاّ تَنِي[6] عنْ طَلَبِ الحَلالِ، وأنْ تُحسِنَ التقديرَ[7]

---

(١) البـاهُ والباهَـةُ النكاح. والبـاه مثل الباءَة، وهو الجمـاع. ومنـه الحـديث: من اسْتَـطاع منكم الباهَ فليتزوج، ومن لم يَسْتَطيع فعليه بالصوم فـإنَّه لـه وجاءٌ». أراد من استـطاع منكم أن يتزوج، قيـل: الباه والباءةُ والباءُ، مَقولاتٌ كلُّها فجعل الهاء أصلية في الباه.

(٢) الخُفَافُ: من فعل خفف. والخَفَّةُ والخِفَّة: ضد الثَّقَلِ والرُّجُوعِ يكون في الجسم والعقل والعمـل فهو خُفاف بـالضم وخفيف والمقصود هنـا الخُفاف في التَّـوَقُّد والـذكاء وجمعهـا خِفافٌ ومنـه قولـه تعالى: ﴿انْفُرُوا خِفافاً وثقالاً﴾ بمعنى مُوسرين أو مُعْسِرين.

(٣) الإدبار من فعل دَبَرَ. ودَبَر الشيء: ذهب به. ودَبَرَ الرّجلُ: ولّى ومنه قوله تعالى: ﴿واللَّيْلُ إذ أدْبَرَ﴾ أي تبع النهار قبله وقيل أدْبَرَ النهار وهما بمعنى واحد: أبْعِدَ. وأمْسي الدَّابِرُ: الذاهب.

(٤) تَـطُول: من فعل طَـوَل. والطُّوْل: الغنى، والـطَّوْل: الفَضْل، يقـال: لفـلان على فـلان طـوْلٌ أي فَضْلٌ. ويقال: إنَّه لَيَتَطَوَّل على الناس بفضله وخيره والطَّوْل بالفتـح: المَنُّ، يقال منـه: طالَ عليـه وتطوَّلَ عليه إذا امْتَنَّ عليه يقال تَطَاوَلَ عليهم الرَّبُّ بفضله أي تَطَوَّل.

(٥) السَّقَطُ: من فعـل سقط. والسَّقَطُ والسَّقاطُ: الخـطأ في القول والحسـاب والكتـاب. وفي حـديث النار: «مالي لا يَدْخُلُنِي إلاّ ضُعفاء الناس وسَقَطُهم»، أي أراذِلُهم وأدْوانُهُم.

(٦) تَنِي من فعل وني. والونا: الفَتْرَةُ من الأعمال والأمور. والتّواني والوَنا: ضعف البدن وقيل: الوَنـا: التعب. والفَتْرَة: ضِدّ يمدّ. والونا: الكَلالُ والإعْياء والضعف.

(٧) التَّقدير لما تفيد. التقدير في فعـل قدر. والقـدر: أن يوافقَ الشيء، الشيء في تسـوية أمـر وتهيئته=

لمـا تُفِيدُ ومـا تُنْفِقُ. وَلا يغُرّنَـكَ مِنْ ذلكَ سَعَـةٌ تكونُ فِيهـا. فإنّ أعْـظَمَ النّاسِ في الدّنْيا خَطَراً(١). أحْوَجُهُمْ إلى التَّقْديرِ، وَالمُلوكُ أحْوَجُ إليْهِ منَ السُّوقَةِ(٢) لأنّ السّوقةَ قدْ تَعِيشُ بِغيرِ مالٍ، والمُلوكَ لا قِوَامَ(٣) لهُمْ إلاّ بـالمالِ. ثمّ إنْ قَـدَرْتَ على الرِّفقِ واللّطْفِ في الطّلَبِ والعِلْمِ بِوُجوهِ المَطالِبِ فهُوَ أفْضَلُ.

وأنـا واعِـظُكَ في أشْيـاءَ من الأخْـلاقِ اللّطِيفـةِ والأمُـورِ الغـامِضَـةِ التي لـو حَنَّكَتْـكَ(٤) سِنٌّ كُنْتَ خَلِيقاً أنْ تَعْلَمَهـا، وإنْ لمْ تُخبَرْ عنهـا. ولكنّني قدْ أحبَبْتُ أن أُقَـدّمَ إليْكَ فيهـا قَوْلاً لِتَـرُوضَ(٥) نَفْسَكَ على محـاسِنِها قَبْـلَ أن تجْـرِيَ على عـادَةِ مَساوِئِها. فإنّ الإنْسانَ قدْ تَبْتَدِرُ إلَيْهِ(٦) في شَبِيبَتِهِ المَساوِىءُ، وقدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ ما بَدَرَ إلَيْهِ مِنها للعادةِ. وإنّ لتَرْكِ العادَةِ مؤونَةً شديدَةً ورياضَةً صَعْبَةً.

= حتى تستفيد وتفيد.

(١) خطراً: من فعل خَطَر. والخَطَرُ: ارتفاع القَدْرِ والمالُ والشرف. ويقـال: إنَّه لـرفيع الخَـطَرِ ولئيمه. ويقال: إنه لعظيم الخَطَرِ في حسن فِعاله وشرفه. وخَطرُ الرجـلِ: قَدْرُه ومنـزلته وخصّ بعضهم بـه الرفقة، وجمعه أخْطَارٌ.

(٢) السُّوقَة من فعـل سوق. والسُّـوقَةُ: بمنـزلة الـرعيّة الـتي تَسُوسُـها الملوك سُمُّـوْا سُوقـة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم. يقال للواحد سُوقةٍ وللجماعة سُوقة. والسُّوقة من الناس: الرعية ومَنْ دون الملك، ومن لم يكن ذا سلطان الذكر والأنثى على السواء.

(٣) الملوكَ لا قِوَام لهم: القِوام من فعل قَوَم، والقَـوامُ: العَدْل وقَـوَّمَ دَرْأَه: ازل عِوجَـهُ. وقِوامُ الأمـر: نِظامُه وعِماده. وقيل: هذا قِوامُ الأمر ومِلاكُه الذي يقوم به ومنـه قولـه تعالى: ﴿**ولا تُؤتُـوا السُّفهاء أموالكم التي جَعل الله لَكُم قِياماً**﴾ أي التي جعلها الله لكم قياماً تُقِيمكم فَتَقُومُون بها قياماً مستقيمـاً ثابتاً.

(٤) حَنَّكَتْك: من فعل حنك. والحُنْكة والحِنْك: التهذيب، والحُنْكةُ: السِّنّ والتجربة والبصر بـالأمور. وأحْنَكَتْـه وحَنَّكَتْه: هَـذَّبته أي جَـرَّده الدهـر ودَلَكَه ووَعَسَـهُ وحَنَّكَه وعَـرَكه بمعنى واحـد. واحْتَنَـكَ الرجلُ: أي استحكم، وارتضى وتهذب.

(٥) لِتَروض: من فعل رَوَضَ. راض الدابَّة يَرُوضُها: وطَـأها وذلَّلهـا، ورُضْتُ: ذلَّلْت لأنه أقـام الإذْلال مُقام الرِّياضة. ورجل روض: مطيع.

(٦) تبتدر إليه: من فعل بَدَرَ، وبَدَرْتُ إلى الشيءَ: أسْرَعْتُ، وبادر الشيء مبادرة وابتدره: عَاجَلَه. يقال ابتدر القومُ أمراً: أي، بادر بعضهم بعضاً إليه أيُّهُمْ يَسْبِقُ إليه فَيَغْلِبُ عليه.

في السلطان

إذا ابتُليت بالسلطان تعوّذ بالعلماء

إنِ ابْتُلِيتَ بالسُّلطانِ(١) فَتَعَوَّذْ(٢) بالعُلماءِ.

وَاعْلَمْ أنَّ منَ العَجَبِ أنْ يُبْتَلى الرَّجُلُ بالسّلطانِ فَيُريدَ أنْ يَنْتَقِصَ من ساعاتِ نَصَبِهِ(٣) وعَمَلِهِ فَيَزيدَها في ساعاتِ دَعَتِهِ وفَرَاغِهِ وشَهْوَتِهِ وعَبَثِهِ ونَوْمِهِ.

وَإنّما الرّأيُ لـهُ والحَقُّ عَلَيْهِ أن يَـأخُذَ لِعَملِهِ مِنْ جَمِيـعِ شُغلِه، فَيأخُـذَ لَهُ من طَعامِهِ وشَرَابِهِ ونَوْمِهِ وحديثِهِ ولَهْوِهِ وَنِسائِهِ.

وإنّما تكونُ الدّعَةُ بَعْدَ الفَرَاغِ.

فَإذا تَقَلّدْتَ(٤) شَيْئاً منْ أمْرِ السّلْطانِ فَكُنْ فيهِ أحَدَ رَجُلَيْنِ:

إمّا رَجُلاً مُغْتَبِطاً بِهِ، مَحافظاً عَلَيْهِ مخافَةَ أن يَزُولَ عَنْـهُ، وإمّا رَجُـلاً كارِهـاً لهُ مُكْرَهاً عَلَيهِ. فالكارِهُ عامِـلٌ في سُخْرةٍ(٥): إمّـا للمُلوكِ، إنْ كانـوا هُمْ سلَّطوهُ، وإمّا

(١) السُّلْطانُ: من فعـل سلط. والسُّلْطانُ: الـوالي جمعـه سـلاطين والسُّلْطَان: قـدره الملِك. وقيـل: الولاية والإمارة.

(٢) تَعَوَّذ: من فعل عَوَذ. وعاذ به: لاذَ به ولجـأ إليه واعْتَصَم وعُـذْتُ بفلان واستعـذت به: أي لَجَـأْتُ إليه.

(٣) نَصَبه: من فعل نَصِبَ. والنَّصَبُ: الإعْيَـاءُ من العَنـاءِ، ونَصِبَ الـرجـل نَصَبـاً: أعْيـا وتَعِبَ. وفي الحديث: «فاطمة بَضْعَةٌ مِنّي ينصِبني ما أنْصَبَها». أي يتعبني ما أتْعَبَها.

(٤) تَقَلّدْت: من فعـل قلّدَ. والتقليد في الـدِّين، وتَقْليدُ الـوُلاةِ الأعْمالَ: ألـزمه العمـل والأمـر، وتقلَّدَ الأمرَ: احْتَمَلَهُ.

(٥) سُخْرَة: من الفعل سَخِرَ. والسُّخْرَةُ: ما تَسَخَّرْتَ من دابَّة أو خادم بلا أجر ولا ثمن. ويقال: سَخَرْتُه =

للّهِ تعالى، إنْ كانَ ليسَ فَوْقَهُ غيرُهُ.

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنّهُ مَنْ فَـرَّطَ في سُخرَةِ المُلوكِ أَهْلَكـوهُ. فلا تجْعَـلْ للهَلاكِ على نَفسِكَ سُلْطاناً(١) ولا سَبِيلاً.

إيّاك وحبّ المدح

وَإيّاكَ إذا كُنتَ والِياً، أن يكونَ من شَأنِكَ حُبُّ المَدْحِ والتّزْكِية(٢) وأنْ يعـرِفَ النّاسُ ذلكَ منكَ، فتكونَ ثُلْمَةً(٣) منَ الثُّلَمِ يَتَقَحّمونَ عَلَيْكَ مِنْها، وبـاباً يَفْتَتِحـونَكَ مِنْهُ، وَغِيبَةً(٤) يَغْتَابُونَك بها وَيَضْحكونَ مِنْك لها.

وَاعْلَمْ أنّ قابِلَ المَدحِ كمادِحِ نَفْسِهِ. والمرْءُ جَديرٌ أن يكـونَ حُبُّهُ المَـدْحَ هوَ الذي يحملُهُ على ردِّهِ. فإنّ الرَّادَّ لَهُ محْمودٌ، وَالقابِلَ لَهُ مَعِيبٌ.

لتَكُنْ حاجَتُكَ في الولايةِ إلى ثلاثِ خِصَال: رِضَى رَبِّـكَ ورِضَى سُلْطانٍ، إن كانَ فوْقَكَ، ورِضَى صَالِحِ مَن تَلي عَلَيْهِ.

وَلَا عليْك(٥) أنْ تَلهوَ عنِ المـالِ والذِّكْـرِ، فسَيَأتِيـكَ مِنهُما مَا يَحسُنُ ويِطِيبُ ويُكْتَفَى بهِ.

واجْعَلِ الخِصالَ الثّـلاثَ مِنْكَ بمكـانٍ(٦) ما لا بُـدَّ لكَ مِنْـهُ. واجعَلِ المـالَ

= بمعنى: سَخَّرْته أي قَهَرْتُه وذَلّلْته. ومنه قوله تعالى: ﴿وسَخَّر لَكُمْ الشَّمْسَ والقمرَ﴾ أي ذَلَّلهما.

(١) سُلْطَاناً: في فعل سَلَطَ والسُّلْطانُ: الحُجَّة والبُرْهَان، وسُمّي سُلْطاناً لأنَّه حُجَّةُ الله في أرضـه. وقيل للأمراء سَلاطين لأنّهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق.

(٢) التّزْكِيَةُ من فعل زكا، وزَكّى نفسه تَزْكِيَةً: مدحها، وزَكّى الرجل نفسَه: إذا وصفها وأثنى عليها.

(٣) ثُمْلَة من فعل ثَلَمَ يقال في الإناء ثَلْم إذا انكسر في شَفَتيه شيء. وجمعه ثُلم، وثَلَمْتُ الحائط أثْلِمُه بالكسر فهو مَثلوم أي مكسور ومهدوم.

(٤) غِيبَة: من فعل غيب. والغِيبةُ: من الاغْتِياب. واغْتَابَ الرجلُ صاحبَـه اغتيابـاً إذا وَقَعَ فيـه، وهو أن يتكلم خَلْفَ إنسان مستور بسوء، أو بما يَغمُّه لو سمعه وإن كان فيه.

(٥) لا عَلَيْك: أي لا بأس عليك ولا ضرر ولا إفساد.

(٦) بمكان: بمنزلة. والمكانة: الموضع. وفلان مَكِينٌ عند فلان: بيِّنُ المكانة.

والذِّكرَ بمكانٍ ما أنْتَ واجِدٌ[1] مِنْهُ بُدّاً.

اعْـرِفِ الفَضْـلَ في أهْـلِ الـدِّينِ والمُـرُوءةَ في كـلّ كُـورَةٍ[2] وقَـرْيـةٍ وقَبِيلةٍ. فَلْيكونوا هُمْ إخوَانَكَ وأعْوَانَكَ وأخْدانَكَ وأصْفِياءَكَ وبِطانَتَـكَ[3] وثِقَاتِـكَ وخُلطاءَكَ. ولا تَقْذِفَنّ في رُوعِك[4] أنّكَ إن اسْتَشَرْتَ الـرّجالَ ظَهَـرَ للنّاسِ مِنْـكَ الحاجـةُ إلى رَأيِ غَيرِكَ، فإنّكَ لسْتَ تُريدُ الرّأيَ لـلافتِخارِ بـهِ، ولكنّما تُـريدُهُ لـلانْتفاعِ بـهِ. ولَوْ أنّـكَ مع ذلـكَ أرَدْتَ الذكـرَ، كانَ أحْسَنَ الـذِّكْرَيْنِ وَأفْضَلَهُمـا عِنْـدَ أهْـلِ الفَضْـلِ والعَقْلِ أن يُقالَ: لا يَتَفَرّدُ برَأيِهِ دونَ اسْتِشارَةِ ذَوي الرَّأي.

إنّكَ إن تَلْتَمِسْ رِضَى جمِيعِ الناسِ تَلْتَمِسْ ما لا يُدْرَكُ.

وَكَيْفَ يَتفِقُ لـكَ رَأيُ المُخْتَلِفينَ، وما حـاجَتُكَ إلى رِضَى مَنْ رِضَـاهُ الجوْرُ. وإلى مُوافَقَةِ مَنْ مُـوَافَقَتُهُ الضّـلالَةُ وَالجَهـالَةُ؟ فعليْـكَ بِالْتِمـاسِ رِضَى الأخْيارِ مِنْهُمْ وذوي العَقْلِ. فإنّكَ مَتى تُصِبْ ذلكَ تَضَعْ عَنْكَ مَؤونَةَ ما سِواهُ.

ما ينبغي للسلطان نحو رعيّته

لا تُمكِّنْ أهْـلَ البَلاءِ[5] الحَسَنِ عِنْـدَكَ مِنَ التّدلُّـلِ[6] عليْكَ، ولا تُمكّنَنَّ مَن

---

(١) واجِدٌ: من فعل وَجَدَ والواجد من المال ضرورة: ما يكفيه عيش رغيد، دون حاجة إلى غيره أو زيادته. والواجِد: لا إحداث فيه قط.

(٢) كُورَةٌ: من فعل كور. والكُورَةُ: المدينة والصُّقْعُ. والجمع كُوارٌ. والكُورَةُ من البلاد المِخْلافُ، وهي القرية من قُرَى اليمن.

(٣) بِطَانَتَك: من فعل بطن. وبطانةُ الرجل: خاصته وقيل: بطانة الرجل وَليجتُه، وأبْطَنْتُ الرجل إذا جَعَلْتَهُ من خواصِّك. وبطانة الإنسان صاحب سِرّه وداخِلةُ أمره الذي يُشاوِرُه في أحواله.

(٤) رُوعِك: من فعل رُوع، الرُّوعُ بضم الراء والرَّوْعُ: القلب. وأفْرَخَ رُوعُه أي خرج الـرَّوعُ من قلبه. وأفْرِخ رُوعَك: أي اسْكُنْ وأمَنْ. والرَّوْعُ: الذهن.

(٥) البـلاء: مـن فعل بَـلاَ، وبَلَوْتُ الرجـلَ وابتليْته: اخْتَبَرْتُه، وبـلاه إذا جَرَّبـه واخْتَبَـره، وابْتَـلاه الله: امْتَحَنَه. والاسم البلوى، والبلاء يكون في الخير والشرّ؛ ويقال ابْتَلَيْته بَلاءً حسَناً ويُبْليه بلاءً سيّئاً.

(٦) التدلُّلُ: من فعل دَلَل. ودَلُّ المرأةِ ودَلالُها: تَدَلُّلها على زوجها، وذلك أن تُرِيهِ جَراءةً عليه في تَغَنُّج وتَشكُّل. وقيل: هي تَدِلُّ عليه أي تجترىء عليه، ويقال: ما دَلَّك عَلَيَّ: أي ما جَرَّأك عليّ.

سواهُمْ منَ الاجْتراء عَلَيْهِمْ والعَيْبِ لهُمْ.

لِتَعْرِفْ رَعِيَّتُكَ أبْوَابَكَ التي لا يُنالُ ما عِنْدكَ من الخَيرِ إلاّ بهـا، والأبْوَابَ التي لا يخافُكَ خائفٌ إلاّ من قِبَلِها.

احْـرِصِ الحَرْصَ كلّهُ على أن تكـونَ خـابِـراً أُمـورَ عُمّـالِـكَ، فـإنّ المُسيءَ يَفْرَقُ[1] مِنْ خُبْرَتِكَ قبلَ أن تُصِيبَهُ عُقوبتُـكَ، وإنّ المُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِـكَ قبلَ أنْ يأتِيَهُ معرُوفُكَ.

لِيَعـرِفِ النّاسُ، في مـا يعْرِفـونَ من أخْلاقِـكَ، أنّكَ لا تُعـاجِلُ بـالثّـوَابِ ولا بالعقابِ، فإنّ ذلكَ أدْوَمُ لخوْفِ الخائِفِ وَرجاءِ الرّاجي.

عَوِّدْ نَفْسَكَ الصّبْرَ عَلى مَن خَالَفَكَ مِنْ ذوي النّصِيحةِ، والتّجَرُّعَ لمرارَةِ قوْلهِمْ وعَذْلِهِمْ، ولا تُسهّلنّ سَبيلَ ذلـكَ إلاّ لأهْلِ العَقْـلِ والسّنّ والمُروءةِ، لِئـلاّ يَنْتَشِرَ مِنْ ذلكَ ما يجترِىءُ بِهِ سَفِيهٌ أو يَسْتخِفُّ بِهِ شانىءٌ[2].

مباشرة الصغير تضيع الكبير

لا تَتْرُكَنّ مُباشَرَةَ جَسيمِ أمْرِكَ فَيعودَ شَأنُكَ صَغيراً، ولا تُلْزِمَنَّ نَفْسَـكَ مُباشَـرَةَ الصّغيرِ، فَيَصِيرَ الكبيرُ ضائعاً.

واعْلَمْ أنّ مالَكَ لا يُغني الناسَ كلَّهُمْ فاخْصُصْ بِهِ أهْلَ الحَقِّ[3]، وأنّ كَرامَتَـكَ لا تُطِيقُ العامّةَ كَلّها فَتَوَخَّ[4] بها أهْلَ الفَضْلِ، وأنّ قلبَكَ لا يتّسِعُ لِكُلّ شيءٍ فَفَرِّغْـهُ

---

(١) يَفْرَق من فعل فَرِقَ. والفَرَقُ بالتحريك: الخوف وفَرِقَ منه بالكسر فَرَقاً: جَزِعَ، وقيـل: فَرِقَ عليـه: فَزِعَ وأشْفَقَ ورَجُلٌ فَرِق أو فَرُوقَةٌ: فَزِعٌ شـديد الفَـرَق والهاء هي إشعـار بما أُريـد من تأنيث الغـاية والمبالغة.

(٢) شـانيء: من فعل شَنِيءَ الشيءَ وشَنْـأً: بالتحـريـك والتسكين: أبْغَضَـهُ ومنـه قـولـه تعـالى: ﴿ولا يَجْـرِمَنَّكم شَنَآنُ قَـوْمٍ﴾ وشُنِيءَ الرجـلُ، فهو مَشْنُـوءُ إذا كان مُبْغِضـاً وإن كان جميـلاً، والمقصـود المعنى الأول.

(٣) أهْـلَ الحقّ: من فعل حقق، وحَقَّ الشيءُ يَحِقُّ بـالكسر أي وَجَبَ وأهـل الحق: الذي تجب علينـا عطاء كل فرد منهم لأنهم يستحقون الصَّدَقَة.

(٤) فَتَـوَخَّ: من فِعل وخي والـوَخْي: الطريق المعتمـد، والجمـع وُخِيٌّ وِخِيٌّ وعنى بـالـوَخْي القَصْـدَ. =

للمُهِمِّ، وَأنّ لَيْلَكَ ونهارَكَ لا يَسْتَوْعِبانِ حاجاتِكَ، وَإنْ دَأَبْتَ[1] فِيهِما، وَأنْ لَيْسَ لكَ إلى إدامَةِ الدَّأبِ فيهما سَبيلٌ مَعَ حَاجَةِ جَسَدِكَ إلى نَصِيبِهِ مِنهُما فأحْسِنْ قِسْمَتَهُما بينَ عَمَلِكَ وَدَعَتِكَ.

واعْلَمْ أنّ ما شَغَلْتَ مِنْ رَأيِكَ بِغيرِ المُهِمّ أزْرَى بِكَ في المُهِمّ، وما صرَفْتَ من مالِكَ في الباطِلِ فَقَدْتَهُ حينَ تُريدُهُ للحَقّ، وما عَدَلْتَ بهِ من كَرَامَتِك إلى أهْلِ النَّقْصِ أضرّ بِكَ في العَجْزِ عَنْ أهْلِ الفَضْلِ، وما شَغَلْتَ مِن لَيْلِكَ ونهارِكَ في غيرِ الحاجةِ أزْرَى بِكَ عِنْدَ الحاجَةِ مِنْكَ إلَيْهِ.

إيّاكَ والإفراط في الغضب

اعْلَمْ أنّ منَ النّاسِ ناساً كثيراً يَبْلُغُ مِنْ أحَدِهِمِ الغَضَبُ، إذا غَضِبَ، أن يحمِلَهُ ذلكَ على الكُلوحِ[2] والقطوبِ[3] في وَجْهِ غيرِ مَنْ أغْضَبَهُ، وسوءِ اللّفْظِ لمَنْ لا ذَنْبَ لهُ، والعقوبةِ لمَنْ لم يكُنْ يَهِمّ بمُعاقَبَتِهِ، وشِدَّةِ المُعاقَبَةِ باللّسَانِ واليَدِ لمَنْ لَمْ يكنْ يُريدُ بهِ إلاّ دونَ ذلكَ. ثمّ يبلُغَ بِهِ الرِّضَى، إذا رَضِيَ، أن يَتَبَرَعَ بالأمرِ ذي الخَطَرِ[4] لمَنْ لَيْسَ بمنزلَةِ ذلكَ عندهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ لَمْ يَكُنْ يُريدُ إعْطَاءَهُ، وَيُكرِمَ مَنْ لم يُرِدْ إكرَامَهُ ولا حَقَّ لَهُ ولا مَوَدّةَ عِندَهُ.

فاحْذَرْ هذا البابَ الحَذَرَ كلّه! فإنّه ليسَ أحَدٌ أسْوأ فِيهِ حالاً من أهْلِ السّلطانِ الذينَ يُفرِطونَ باقتِدارِهِمْ في غَضَبِهِمْ، وبِتسرّعهِمْ في رِضاهُمْ. فإنّهُ لَوْ وُصِفَ بهذه

= ووَخَى: إذا تَوَجّه، والتوخي: التَّحريَ للحق والقصد إليه. وقيل تَوَخَّيتُ أمر كذا تَيَمَّمْتُهُ.

(١) دَأَبْتَ: من فعل دَأَبَ، ودَأَبَ فلانٌ في عَمَله أي جَدَّ وتَعِبَ. وأدْأَب الرجلُ الدَّابَّة: إذا أتْعَبَها.

(٢) الكُلُوحُ: من فعل كَلَحَ، والكُلُوحُ: بُدُوُّ الأسنان عند العُبوس والكُلُوح أيضاً بمعنى تَكَشُّرٌ في عبوس. وفي التنزيل العزيز: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.

(٣) القُطُوبُ: من فعل قَطَبَ الشيءَ: جمعه. والقُطُوب: تَزَوِّي ما بين العينين عند العبوس، ويقال: رأيْتُه غَضْبَان قَاطِباً بمعنى وَقَطَبَ: زَوَى ما بين عينيه وعَبَس، وجمعه: غُضُونٌ.

(٤) الخَطَر: من فعل خَطَرَ والخَطَرُ: ارتفاعُ القدر والمالُ والشرف والمنزلة، ورجل خطير: أي له قَدْرٌ وَخَطَرٌ وجمعه بِأخطارٍ، ويقال للرجل الشريف: هو عظيم الخَطَر.

الصّفةِ مَنْ يُلْتَبَسُ[١] بعقْلِهِ أوْ يَتَخَبَّطُهُ المَسُّ[٢] أنْ يُعاقِبَ عِنْدَ غَضَبِهِ غيرَ مَنْ أغْضَبَهُ ويحْبُوَ[٣] عِنْدَ رِضاهُ غيرَ مَنْ أرْضاهُ لَكَانَ جائزاً ذلكَ في صِفَتِهِ.

الملك ثلاثة

اعْلَمْ أنّ المُلْكَ ثلاثةٌ: مُلكُ دينٍ، ومُلْكُ حَزْمٍ، ومُلْكُ هَوًى.

فأمّا مُلْكُ الدِّينِ فإنّهُ إذا أقامَ للرّعيّةِ دينَهمْ، وكانَ دينُهُمْ هو الذي يُعطِيهِمُ الذي لهُمْ ويُلْحِقُ بهِمُ الذي عَلَيْهِمْ، أرْضَاهُمْ ذلِكَ، وأنْزَلَ السّاخِطَ مِنْهُمْ مَنزِلَةَ الرّاضي في الإقرارِ والتّسْليمِ.

وأمّا مُلْكُ الحزْمِ فإنّهُ يقوم بِهِ الأمْرُ ولا يَسْلَمُ من الطّعْنِ والتّسَخُّطِ[٤]. ولَنْ يَضُرّ طَعْنُ الضّعيفِ معَ حَزْمِ القَوِيّ.

وأمّا مُلْكُ الهوَى فَلَعِبُ ساعَةٍ ودَمارُ[٥] دهرٍ.

الاعتدال في الكلام والسلام

إذا كان سُلْطانُكَ عِندَ جِدّةِ[٦] دَوْلَةٍ، فَرَأيْتَ أمْراً اسْتَقامَ بغيرِ رَأيٍ، وأعْوَاناً

---

(١) يُلْتَبَس من فعل لَبَسَ. قيل: في رأيه لَبْسٌ أي اختلاطٌ. ويقال: للمجنون مُخالَط، وقد الْتُبِسَ بي أي خُوْلِطْتُ في عَقْلي. والْتَبَسَ عليه الأمْر أي اختَلَطَ واشْتَبَه.

(٢) المَسُّ: الجنون من فعل مَسَسَ، ورجل مَمْسُوسٌ: به مَسٌّ مِن الجنون. ومنه قوله تعالى: ﴿كالَّذِي يَتَخَبَّطُه الشَّيْطان من المَسِّ﴾ المَسُّ: الجنون.

(٣) يحبو من فعل حبا، والحِباءُ: ما يحبو به الرجل صاحبَه ويكرمه به، وحَبَا الرجلَ حَبْوةً: أي أعطاه، وقيل: الحِباءُ العَطاء بلا مَنٍّ ولا جَزاءٍ. وقيل: الحِباءُ: العطاء.

(٤) التّسَخُّط: من فعل سَخِطَ، والسَّخَطُ والسُّخْطُ: ضد الرضا، وتَسَخَّطَ الشيء: كرهه، ومنه الحديث: «إنَّ اللّهَ يَسْخطُ لَكُمْ كَذَا» أي يكرهه لكم.

(٥) فَلَعِبُ ساعةٍ ودَمارُ دهرٍ: لَعِبُ من فعل لَعِبَ واللَّعِب: ضِدُّ الجِدّ وهو اللهو والهوى. وقوله دمار: من فعل دَمَرَ أي هلك ورجل دامِرٌ: هالك. والمقصود أن شهوة اللهو والهوى لعب ساعة وهذا اللّعب قد يكون فيه هلاكه أبدَ الدّهر.

(٦) الجِدَّة: مصدر الجَدِيد من فعل جدد، وتجدَّد الشيء: صار جديداً، وجَدَّ الثوبُ، والشيءُ يَجِدُّ بالكسر: صار جديداً، وهو نقيض الخَلَق والقديم والقدم.

أجْزَوْا[1] بغيرِ نَيْلٍ ، وعَمَلاً أنجحَ[2] بِغيرِ حزْمٍ ، فلا يغُرَّنّكَ ذلك ولا تَسْتَنيِمَنَّ[3] إِلَيْهِ. فإنّ الأمْرَ الجديدَ رُبّما يكونُ له مَهابَةٌ في أنْفُسِ أقْوامٍ وحَلاوَةٌ في قلوبِ آخرينَ، فيُعينُ قوْمٌ على أنْفُسِهِمْ ويُعينُ قَوْمٌ بما قِبَلَهُمْ[4]. ويستَتِبُّ[5] ذلكَ الأمرُ غيرَ طويلٍ ثمّ تصيرُ الشّؤونُ إلى حقائقِها وأُصُولِها.

فما كان من الأمورِ بُنِيَ على غيرِ أركانٍ وثيقةٍ ولا دعائمَ مُحْكَمَةٍ أوْشَكَ أنْ يَتَداعَى[6] ويَتَصَدّع.

لَا تَكونَنّ نَزْر[8] الكلامِ والسّلامِ ، ولا تَبْلُغَنّ بهما إفْرَاطَ الهشاشَةِ[8] والبَشَاشَةِ. فإنّ إحْدَاهُما مِنَ الكِبْرِ والأخْرَى مِنَ السُّخْفِ[9].

---

(١) أجْزَوْا: من فعل جَزأ، ويقال: ما لفلان جزْءٌ وما له إجْزَاءٌ: أي ما له كِفايَة. وقيل: ما أجْزأَ مِنّا اليومَ أحَدُ فلانٌ أي فَعَلَ فِعْلاً ظَهرَ أثَرُه وقَامَ فيه مقاماً لم يَتُمهْ غيره ولا كَفَى فيه كِفايَته.

(٢) أنْجحَ من فعل نجح ونَجَحَتْ طَلِبَتُه وانْجحَتْ، وما أنْجحَ فلان ولا أفْلَحَ. وَنَجَحَتْ هي ونَجَحَ أمْرُ فلان: تَيَسَّرَ وسَهُل فهو ناجح.

(٣) تستنِيمَنّ من فعل مَنَّهُ أي قطع الأمْرَ إليه وأسْلَمَ له الانقياد.

(٤) قِبَلَهُمْ: من فعل قَبِل، ورأيته قِبَلاً أي عياناً، وقِبَلُ فلان أي من أهله وقرابته وإخوانه.

(٥) يستتب: من فعل تبب والجمع أتْبابٌ. واسْتَتَبَّ الأمرُ: تَهَيَّأ واستوى. واستتب أمرُ فلان إذا اطّرَدَ واسْتَقَامَ وَتَبَيَّنَ. وَأصل هذا من الطّريق المُسْتَتِبّ، . وهو الذي خدَّ فيه السيارة خدوداً فوضح واسْتَبَانَ لمن يسْلُكه، كأنّه تُبِّبَ من كثرة الوطء.

(٦) يَتداعى: من فعل دعا، وتداعى البناءُ والحائط للخراب إذا تكسّر وآذنَ بانْهِدامٍ ، وداعيناها عليهم من جوانبها: هدمناها عليهم. وفي الحديث: «كمثلِ الجَسَد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسَّهَر والحُمَّى». أي تساقط.

(٧) نَزْرُ: من فعل نَزُرَ ونَزُرَ الشيء بالضم: قَلَّلَهُ وقيل: كل قليل نَزْرٌ ومَنْزُورٌ. والنَزْرُ: القليل التافِه. وقيل: لا نَزْر ولا هَذَر: النَّزْر: القليل، أي ليس بقليل فيدُلَّ على عِيٍّ ولا كثيرٍ فاسد.

(٨) الهشاشة: من فعل هشش، ورجل هَشٌّ وهَشيشٌ: بَشٌّ مُهْتَزٌ مَسْرورٌ وهَشَشْت هَشاشَةً: بَشِشْت، والهَشَاشَةُ: الارتياح والخِفة.

(٩) السُّخْف: من فعل سخف. والسُّخْفُ: رِقَّةُ العقل، والسَّخْفُ: ضَعْفُ العقل، أو نقصان العقل. ولا يستعمل السُّخْفَ إلا في رِقة العقل.

بأيّ شيء تكون الثقة

إذا كنْتَ إنّما تضْبُطُ أُمورَكَ وتَصُولُ[1] على عَدُوّكَ بِقَـوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ على ثِقَةٍ مِنْ دينٍ ولا رَأيٍ ولا حِفـاظٍ[2] مِن نيّـةٍ فـلا تَنْفعَنّـكَ نـافِعَـةٌ حتى تحَـوّلهمْ، إنِ اسْتـطَعْتَ، إلى الـرّأيِ والأدَبِ الـذي بمثْلِهِ تكـون الثّقـة، أوْ تَسْتَبْـدِلَ بِهِمْ، إنْ لم تَسْتَطِعْ نَقْلَهُمْ إلى ما تُريد. ولا تغُرّنّكَ قُوّتُكَ بهمْ على غَيْرِهِمْ، فإنّمـا أنْتَ في ذلكَ كراكِبِ الأسَدِ الذي يهابُهُ مَنْ نَظَرَ إلَيْهِ، وهو لمَرْكَبِهِ أهْيَبُ.

تجنّب الغضب والكذب

لَيْسَ للملِكِ أن يَغْضَبَ، لأنّ القُدرَةَ من وَرَاءِ حاجَتِهِ.

وَلَيْسَ لهُ أن يَكْذِبَ، لأنّهُ لا يَقْدِرُ أحدٌ على اسْتِكْرَاهِهِ على غَيرِ ما يُريدُ.

وَلَيْسَ لهُ أنْ يَبْخَلَ، لأنّهُ أقلُّ الناسِ عُذْراً في تخوّفِ الفقْرِ.

وَلَيْسَ لهُ أن يكونَ حَقوداً، لأنّ خَطَرَهُ[3] قد عَظُمَ عن مُجارَاةِ كلّ النّاسِ.

وَلَيْسَ لهُ أن يكونَ حَلّافاً[4]، لأنّ أحقّ النّـاسِ باتّقـاء الأيْمانِ المُلوكُ، فـإنّما يحْمِلُ الرّجُلَ على الحَلِفِ إحْدى هذه الخِصال:

---

(١) تَصُولُ: من فعل صَـالَ يَصُولُ أي يَسْـطُو ويُقْهر ويقـاتل. يقـال: إنّه ذو صَـوْلَةٍ على الـطعام يـأكله ويَنْهَكه ويبالغ فيه فكأنه إنما يَصُولُ على حيوان مّا أو يَصُول على أكِيلة لذَوْدِه إياهم ومدافعَته لهم.

(٢) حِفاظٌ: من فعل حفظ، ورجل حافِظ وقوم حِفاظٌ وهم الذين رُزقوا حِفْظَ ما سَمِعوا، والحَفَظَة الذين يُحْصُونَ الأعمال ويقال: إنّه لذو حِفاظٍ: إذا كانت له أنفةٌ. والحِفاظ: الذَّبُّ عن المحارمِ والمَنْعُ لها عند الحروب، والحفاظ: المحافظة على العهد والمحاماةِ على الحُرَم ومنعها من العدوّ.

(٣) خَطَرِه: من فعل خطر. والخَطَر: الشرف والرفعـة والمقصود أنَّ قـدرةَ ورقعةَ شـأنه تعـزّ عليه نفسـه وترفض أن يجاري الناس في جميع أمورهم.

(٤) حلافاً من فعـل حَلَفَ. والحِلْفُ والحَلِف: القسم لغتان، حَلَفَ أي أقْسَمَ ورجـلٌ حالِفٌ وحَـلّاف: كثير الحَلِفِ، والحَلِفُ: اليمين وأصلُها العَقْدُ بالعَزْم والنيّة. ومنـه الحديث: «من حَلَف على يمين فرأى غيرها خيراً منها».

إمّا مَهَانَةٌ(١) يَجِدُها في نَفْسِهِ، وضَرَعٌ(٢) وحاجَةٌ إلى تصْدِيقِ النّاسِ إيّاهُ.

وإمّا عِيٌّ(٣) بالكلامِ، فيَجْعَلُ الأيمانَ لَهُ حشْواً ووَصْلاً.

وإمّا تَهَمَةٌ قد عَرفَها منَ الناسِ لحَديثِهِ، فهو يُنْزِلُ نَفْسَهُ مَنزِلَةَ مَنْ لا يُقْبَلُ قَوْلُهُ إلاّ بعْدَ جَهْدِ اليَمين.

وإمّا عَبَثٌ(٤) بِالقَوْلِ وإرْسَالٌ للّسانِ على غيرِ رَوِيّةٍ ولا حُسْنِ تقْديرٍ، ولا تَعْويدٍ، لَهُ قَوْلَ السّدادِ(٥) والتثبّتَ.

التفويض إلى الكفاة

لا عَيْبَ على المَلِكِ في تَعَيّشِهِ وتَنَعّمِهِ ولَعِبِهِ ولهْوِهِ، إذا تَعَهّدَ(٦) الجَسِيمَ مِنْ أمْرِهِ بِنَفْسِهِ، وَأحْكَمَ المُهِمَّ، وَفَوّضَ ما دونَ ذلكَ إلى الكُفَاةِ.

ما يزين الجور ويحمل على الباطل

كلُّ أحَدٍ حَقِيقٌ(٧)، حينَ يَنْظُرُ في أمورِ النّاسِ، أن يتّهِمَ نَظَرَهُ بعيْنِ الرّيبَةِ، وقَلْبَهُ

(١) مهانة: من فعل هَوَن، والهَوْنُ: الخِزْيُ. والهوان: نقيض العِزّ وأهانه واستهان به: استخفّ به، ورجل فيه مهانة أي ذُلٌّ. والمهانة: من الحَقَارَة مصدر مَهُنَ مهانة إذا كان حقيراً.

(٢) الضرع من فعل ضَرَعَ، وضَرَع إليه: خَضَع وذلّ. ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ فمعناه تذلّلوا وخَضعوا. والتضرُّعُ: التَلَوِّي والاستغاثةُ والضارع: الصغير من كل شيء.

(٣) عِيّ: من فعل عيا، وعَيَّ بالأمرِ عِيًّا: عجز عنه ولَمْ يُطِق إحْكامه. وجمعه أعْيِياءُ وأعِيّاءُ. ويقال عَيِيَ عن حُجَّتِهِ عَيًّا: إذا لم يَهْتَدِ لوجه حُجَّته. وعَيِيَ في المنطق عِيًّا: حَصِرَ.

(٤) عبثٌ: من فعل عَبِثَ به بالكسر عَبَثاً: لَعِبَ، والعَبَثُ: أن تَعْبَثَ بالشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُم إنما خَلَقْنَاكُم عَبَثاً؟﴾ والعَبْثُ: الخَلْطُ.

(٥) السّداد: من فعل سدد، والسّديد والسَّداد: الصواب من القول. يقال: إنه لَيُسِدُّ في القول وهو أن يُصِيبَ يعني القصد. ويقال: قُلْ قولاً سَداداً أي صواباً. والتّسْديدُ: التوفيق للسداد: وهو الصواب والقصد من القول والعمل.

(٦) تَعَهَّد من فعل عَهِدَ: والعَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللّهُ عليه، وكل ما بين العبادِ من المواثيق، فهو عهدٌ. والعهد: الوفاء فيما اتفق الملك والرعية عليه، والعهد التفقد بما يلزم الرعية من أمور الحياة.

(٧) حقيق: من فعل حقّ. والحقيق: الجدير والخليق وحقيق أن يفعل كذا: أي جدير به وأهل له، =

بعينِ المَقْتِ، فإنّهما يُزَيِّنانِ الجَوْرَ[١] وَيحمِلانِ على الباطِلِ ويُقَبِّحانِ الحسن ويُحْسّنانِ القبيحَ.

وَأحَقُّ النّاسِ باتّهامِ نَظَرِهِ بعينِ الرّيبةِ وعَينِ المَقْتِ السّلطانُ الذي ما وَقَعَ في قَلبِهِ ربَا[٢] معَ ما يُقَيَّضُ[٣] لَهُ من تَزْيينِ القُرَناءِ والوُزَراءِ.

وَأحَقُّ النّاسِ بإجبارِ نفْسِهِ على العَدْلِ في النّظَرِ والقَوْلِ والفِعْلِ الوالي الذي ما قالَ أو فَعَلَ كان أمْراً نافِذاً غيرَ مرْدودٍ.

لِيَعْلَمِ الوالي أنّ النّاسَ يصِفونَ الوُلاةَ بسوءِ العَهْدِ ونِسْيانِ الوُدّ، فَلْيُكَابِدْ نَقْضَ[٤] قوْلِهِمْ، وَلْيُبْطِلْ عَنْ نَفْسِهِ وعَنِ الوُلاةِ صِفاتِ السّوءِ التي يوصَفونَ بها.

تفقّد الوالي لرعيّته وتجنّبه الحسد

حَقُّ الوالي أن يَتَفَقّدَ لَطيفَ أُمورِ رَعِيّتِهِ، فَضْلاً عن جَسيمِها، فإنّ لِلّطيفِ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُ بِهِ، وللجَسيمِ مَوْضِعاً لا يسْتَغْني عَنْهُ.

لِيَتفَقّدِ الوالي، في ما يَتفَقّدُ مِنْ أُمورِ رَعِيّتِهِ، فاقَةَ الأخْيارِ[٥] والأحْرارِ مِنْهُمْ،

= وجمعه أحِقّاء.

(١) الجَوْرُ: من فعل جور وجار، والجَوْرُ: نقيض العَدْلِ وقوم جَوَرَة: أي ظلمة، والجَوْرُ ضِدّ القصد. وكل ما مال فقد جَارَ، والجَوْرُ: المَيْلُ عن القصدِ. والجمع: أجْوَارٌ.

(٢) رَبَا: رَبَا الشيء يَرْبُو: نما وزاد. وأربيته: نمّيته. وفي التنزيل العزيز **﴿وما آتَيْتُم من رِباً لِيَرْبُوَ في أموالِ النّاسِ فلا يَرْبُوْ عند الله﴾** أي لِيَرْبُوَا ما أعطيتم من شيء لتأخذوا أكثر منه فذلك رُبُوّة وليس ذلك زاكياً عند الله. وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فتلك تَرْبُو بالتضعيف.

(٣) يُقَيَّض: من فعل قيض، وقيض اللّهُ لفلان: جاءه به وأتاحه له وَقَيَّضَ الله له قَريناً: هَيَّأه وسَبَّبه من حيث لا يَحْتَسِبُه. ومنه في التنزيل العزيز: **﴿وقَيَّضْنا لهم قُرناء﴾**. أي هَيَّأنا وسبَّبْنا لهم إخوان وأعوان من حيث لا يدرون.

(٤) فَلْيُكَابِد نَقْض: الكَيْدُ من فعل كَيَد. والكَيْدُ: الخُبْث والمَكْرُ وكذلك المكايدة، وكل شيء تعالجه فأنت تَكِيدُه. وكايد الشيء تحمل المشاق والاعباء وقاساه. وقوله نَقْض من فعل نَقَضَ. والنَّقْضُ: إفسادُ ما أبْرَمْتَ من عقدٍ أو بناءٍ والنقض: ضدُّ الإبرام، والمناقَضةُ في القول أن يُتَكَلَّم بما يتناقَضُ معناه ويبطله.

(٥) فاقة الأخيار: من فعل فَوَق. والمُفْتاق: المحتاج وافتاق الرجل أي افتقر، والفاقة الفقر والعوز =

فَلْيَعْمَلْ في سَدّها(١)، وطُغْيانَ السّفَلَةِ مِنْهُم فَلْيَقْمَعْهُ(٢)، وَلْيَسْتَوْحِش(٣) مِنَ الكَـريمِ الجائِعِ وَاللّئيمِ الشّبْعانِ، فإنّما يَصُول(٤) الكريمُ إذا جاعَ، واللّئيمُ إذا شَبعَ.

لا يَنْبَغي للوَالي أنْ يَحْسُدَ الوُلاَةَ إلاّ عَلَى حُسْنِ التّدْبيرِ.

وَلاَ يَحْسُـدَنّ الوَالي مَنْ دونَـهُ فإنّـهُ أقَلّ في ذلـك عُذْراً مِنَ السّـوقَةِ التي إنّمـا تَحْسُدُ مَنْ فَوْقَها، وكلٌّ لا عُذْرَ لَهُ.

لاَ يَلُومَنّ الوالي على الزّلّـة(٥) مَنْ لَيْسَ بِمُتّهَمٍ عِنْدَهُ في الحِـرْصِ عَلى رِضاهُ إلاّ لَوْمَ أدَبٍ وَتَقْويمٍ(٦)، وَلاَ يَعْدِلَنّ بالمُجْتَهِدِ في رِضاهُ البَصيرِ بما يأتي أحَداً.

فـإنّهُما إذا اجْتَمَعَـا في الوَزيـرِ والصّاحِبِ نـامَ الوَالي واسْتَـرَاحَ، وَجُلِبَتْ إليْـهِ حاجاتُهُ، وَإنْ هَدَأ عَنْهَا، وعُمِلَ لَهُ فِيما يُهِمُّهُ وإنْ غَفَلَ.

لا يُولَعَنّ الوالي بِسـوءِ الظّنّ لِقَـوْلِ النّاسِ، وَلْيَجْعَـلْ لحُسْنِ الظّنّ من نَفْسِـهِ نَصِيباً مَوْفوراً يُرَوّحُ بِهِ(٧) عَنْ قَلْبِهِ وَيُصْدِرُ عَنْهُ(٨) في أعْمَالِهِ.

= والحاجة. وفي الحديث: «كانوا أهل بيت فاقةٍ». وفاقة الأخيار: أكثرهم حاجة وفقراً.

(١) سَـدّها: من فعـل سَدَّ. والسَّـدُّ: الصواب من القـول والقصد إليـه. وقصد هنـا سَدّ مـا يحتاجـونـه ويفتقرون إليه يومياً.

(٢) يَقْمَعْهُ: من فعل قَمَعَ، وقَمَعَه: رَدَعه وكَفَّهُ، والقَمْعُ: أن تَقْمَع آخَرَ بالكلامِ حتى تتصاغرَ إليه نَفْسُه واقْمَعَ الرجلَ: إذا طَلَعَ عليه فَرَدَّه وقَمَعَه: قهره.

(٣) تَسْتَوْحِشُ من فعل وَحَش. والـوحش: كل شيء من دواب البَـرّ مما لا يَسْتـأنس مؤنس. واستوحش منه: لم يَأْنَسْ به فكان كالوحْشيّ.

(٤) يَصُول: من فعل صَالَ يَصُوْلُ: يَسْطُو ويقهر. قيل: إنه ذو صولة على الطعام يـأكله وينهكه ويفضي عليه.

(٥) الزَلّة من فعل زَلَلَ، والزَّلّة: الخطأ والذنب. ومَقامٌ زُلٌ: يُـزَلُّ فيه. يقال: إذا زَلَّتْ قَدَمُهُ قيـل: زَلَّ وَإذا زَلَّ في مقالٍ أو نحوه قيل زَلَّ زلَّة.

(٦) وتقـويم من فعل قـوم، يقال: استقـام له الأمـر. ومنه قـوله تعـالى: ﴿إنَّ الَّذِين قَـالُـوا رَبُّنـا الله ثم استقاموا﴾ على معنى استقاموا: عملوا بطاعته ولزموا سُنّة نبيه.

(٧) يُرَوّح به: من فعل رَوَحَ. والرَّوْحُ أيضاً: السرور والفرح وقيل: الرَّوْحُ: الاستراحـة من غمّ القلب، وفيه قوله تعالى: ﴿لا تَيْأسُوا من رَوْحِ الله﴾ أي من رحمة الله، سمّاها رَوْحاً.

(٨) يصدر عنه: من فعل صدر، والصدر نقيض الورود، والمقصود أنه (أي الأديب) يجعله أساساً ليبني =

لَا يُضَيِّعَنَّ الوَالي التَّثَبُّتَ عِندمَا يقولُ، وعِندما يُعطي، وعندَما يَعْمَلُ.

فَإنّ الرُّجوعَ عَنِ الصَّمْتِ أحْسَنُ مَنَ الرّجـوعِ عَنِ الكَلامِ، وَإنّ العَـطِيّةَ بَعْـدَ المَنْـعِ أجْمَلُ مِنَ المَنْعِ بَعْدَ الإعْـطاء، وإنّ الإقْدامَ علَى العَمَـلِ بَعْـدَ التّـأنّي فِيـهِ أحْسَنُ من الإمْساكِ[١] عَنْهُ بَعْدَ الإقدامِ عَلَيْهِ.

وكُلّ النّاسِ محْتَاجٌ إلى التّثَبّتِ.

وَأحْـوَجُهُمْ إلَيْـهِ مُلوكُهُمُ الـذينَ لَيْسَ لِقَـوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ دَافِـعٌ، ولَيْسَ عَلَيْهِم مُسْتَحِثٌّ[٢].

كيف يكسد الفجور والدناءة

لِيَعْلَمِ الـوالي أنّ الناسَ على رَأيِـهِ إلّا مَنْ لا بـالَ لَـهُ[٣]. فَلْيَكُنْ للدِّينِ والبِـرِّ والمُرُوءةِ عِنْدَهُ نَفاقٌ[٤] فَيُكْسِدَ بِذَلِكَ الفُجورَ والدّناءةَ في آفَاقِ الأرْضِ.

ما يحتاج إليه الوالي من أمر الدنيا

جِماعُ[٥] مَا يَحْتاجُ إلَيْهِ الـوالي مِنْ أمْرِ الـدّنْيا رَأيـانِ: رَأيٌ يُقَوّي بِـهِ سُلْطَانَهُ، وَرَأيٌ يُزَيِّنُهُ[٦] فِي النّاسِ.

= عليه أعْماله.

(١) الإمساك: من فعل مَسَك، ومسَك بالشيء وامْسَكَ: آحْتَبَس ومنه قولـه تعالى: ﴿والَّـذين يُمَسِّكون بالكتاب﴾ واسْتَمْسَكْتُ به بمعنى آعتصمت، وقيل مِسِّيكٌ بالكسر والتشديد أي شديد الإمساك لماله وهي من أبنية المبالغة.

(٢) مُسْتَحِثٌّ من فعل حَثَّ، والحَثُّ: الإعجال في اتّصالٍ. وحَثَّه وحَثَّثَه أي حَضَّه ونَشَّطَه. ووَلَّى حَثيثاً أي مسرعاً حريصاً، ورجل حَثيثٌ: حادّ سَريعٌ في أمره كأنَّ نَفْسَهِ تَحُثُّهُ.

(٣) لا بال له: لا قدر له ولا شرف ولا منزلة.

(٤) نَفـاق: من فعل نَفَقَ، ونَفَق البيـع نَفَاقـاً: راج، والمنَفَّقُ: سِلْعَته بـالتشديـد: من النَّفَاق وهـو ضِـدُّ الكساد.

(٥) جِمَاعُ من فعل جمع: وجَمَع الشيءَ عن تَفْرِقَة: يجمعـه جمعاً. ومنـه في الحديث: «حَـدِّثْني بكلمة تكون جِماعاً فقال: اتّقِ الله فيما تعلم»؛ الجِمَاع ما جَمَع عَدداً أي كلمة تجمع كلمات.

(٦) يُزَيِّنُهُ: من فعل زَانَ، وزانه الحُسْنُ يَزِينه، والمقصود هنا يحبّبه في الناس والخلق.

وَرَأيُ القُوّةِ أحقُّهُما بالبداءةِ وَأوْلاهُما(١) بالأثَرَة(٢).

وَرأيُ التَزْيينِ أحْضَرُهُما حَلاوةً وأكْثرُهما أعْواناً.

مَـعَ أنّ القُوّةَ مِنَ الـزّينَةِ، والـزّينَةَ منَ القُـوّةِ. ولكِنّ الأمْرَ يُنْسَبُ إلى مُعْـظَمِـهِ وَأصْلِهِ.

ماذا على المبتلي بصحبة السلطان وصحبة الوالي

إن ابْتُلِيتَ بِصُحْبَةِ السّلْطانِ فَعَلَيْكَ بِطولِ المُواظَبَةِ في غيرِ مُعاتَبَةٍ، وَلا يُحْدِثَنّ لكَ الاسْتِئْناسُ بِهِ غَفْلَةً ولا تَهاوُناً.

إذا رَأيْتَ السّلْطانَ يَجْعَلُكَ أخاً فاجْعَلْهُ أباً، ثمّ إنْ زَادَكَ فزِدْهُ.

إذَا نَـزَلْتَ مِنْ ذي مَنْـزِلَـةٍ أوْ سُلْطانٍ فَـلاَ تَـرَيَنّ أنّ سُلْطانَـهُ زادَكَ لَـهُ تَـوْقِيـراً وإجْلالاً، مِنْ غَيرِ أنْ يَزيدَكَ وُدّاً ولا نُصْحاً. وَأنّكَ تَـرَى حَقّاً لَـهُ التّوْقِيـرَ والإجْلاَلَ. وكُنْ في مُدَارَاتِهِ وَالـرّفْقِ بِهِ كـالمُؤْتَنف ما قبلَهُ، وَلا تُقَـدّرِ الأمْرَ بَيْنَـكَ وَبَيْنَهُ عَلى مـا كُنْتَ تَعْرِفُ منْ أخْلاَقِـهِ، فإنّ الأخـلاقَ مُسْتَحِيلَة(٣) معَ المَلِكِ، وربّمـا رَأينا الـرّجُلَ المُدِلّ(٤) على ذي السّلْطانِ بِقِدَمِهِ قدْ أضَرّ بِهِ قِدَمُهُ.

إنِ اسْتَطَعْتَ ألاّ تَصْحَبَ مَنْ صَحِبْتَ مِنَ الوُلاَةِ إلاّ على شُعبَةٍ مِن قَرابـةٍ(٥) أوْ

---

(١) أولاهما: من فعل أُول، وآل الشيء يؤول: يَرجَع والمقصود هنا أَوّلهم أي أجدرهم وأحَقّهم.

(٢) الأثرةُ من فعل أثر، واستأثَرَ بالشيءِ على غيره: خصّ به نفسه واستبد به. ورجل أُثِـرٌ: يَسْتأثـر على أصحابه في القَسْم. ومنه الحديث: قال للأنصار: «إنّكم سَتَلْقَون بعدي أثَرَةً فاصْبروا».

(٣) مستحيلة من فعل حول: كل شيء تغير من الاستواء إلى العِوَج فقد حَال واسْتَحال، وهو مستحيل، يقال: تغيَّرت هـذه المرأة كـالقوس التي أصـابها الـطّلُّ فَنديَتْ ونُـزِعَ عنها الـوَتر ثـلاث سنين فزاغَ عَجْسُها واعْوَجَّ وقيل: حالَ وتَرُ القوس: زال عند الرمي.

(٤) المُدِل: من فعل دلل. وأَدَلَّ عليه وتَدَلَّل: انبسط، ودَلُّ المرأة ودَلالُها: تَدَلُّلها على زوجهـا. وذلك أن تُريه جراءة عليه في تغنج وتشكُّل، كأنّها تخالف وليس بها خلاف.

(٥) شُعْبَة من قرابة: من فعل شعب والشَّعْبُ: الجَمـعُ. وفي حديث عـائشة رضي الله عنهـا، وَوَصَفَتْ أباها يَـرْأبُ شَعْبَها أي يَجْمَـعُ مُتَفَرِّقَ أمـر الأمّةِ وكلِمَتَهـا. وشُعْبَة من قـرابة أي مـا يجمعه من صلة =

مَوَدّةٍ، فافْعَلْ. فإنْ أخْطأكَ ذلكَ فاعْلَمْ أنّكَ إنّما تَعْمَلُ على السُّخْرَةِ[1].

إنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تجْعَلَ صُحْبَتَكَ لمَنْ قَدْ عَرَفَكَ بِصَالِحِ مُرُوءتِكَ وَصِحّةِ دِينِكَ وسَلامَةِ أُمورِكَ قَبْلَ وِلاَيَتِهِ فافْعَلْ.

فإنّ الواليَ لاَ عِلْمَ لَهُ بالنّاسِ إلاّ ما قَدْ عَلِمَ قَبْلَ وِلايَتِهِ. أمّا إذا وَلِيَ فكُلّ الناسِ يَلْقاهُ بالتّزَيّنِ والتّصَنّعِ[2] وكُلّهُمْ يَحْتَالُ لأنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بما لَيْسَ فِيهِ. غَيرَ أنّ الأنْذَالَ وَالأرْذاكَ هُمْ أشَدّ لِذلكَ تَصَنّعاً وَأشَدّ عَلَيْهِ مُثابَرَةً وفِيهِ تَمَحّلاً[3].

فلا يمْتَنِعُ الوَالي، وَإن كانَ بلِيغَ الرّأيِ وَالنّظَرِ، مِنْ أنْ يَنْزِلَ عِندَهُ كثيرٌ مِنَ الأَشْرَارِ بمنْزِلَةِ الأخْيَارِ، وكثيرٌ منَ الخانَةِ[4] بمنْزِلَةِ الأمَنَاءِ، وكثيرٌ منَ الغَدَرَةِ[5] بمَنْزِلَةِ الأوْفِياءِ، وَيُغَطّى[6] عَلَيْهِ أمْرُ كثيرٍ منْ أهْلِ الفَضْلِ الّذِينَ يَصُونونَ أنفُسَهُمْ عَنِ التّمَحّلِ وَالتّصَنّعِ.

إذَا عَرَفْتَ نَفْسَكَ منَ الوَالي بمَنْزِلَةِ الثّقَةِ، فَاعْزِلْ عَنْهُ كَلامَ المَلَقِ[7]، ولا

= النسب والدم من القرابة.

(١) السُّخْرَةُ: من فعل سَخَرَ، وسَخّرَه تسخيراً كلفه عملاً بلا أُجرة. ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ألَمْ تَرَوا أنّ الله سَخّرَ لَكُمْ ما في السّمَوات وما في الأرض﴾ وهو الانتفاع بها في منابتهم والاقتداء بها في مسالكهم.

(٢) التّصَنُّعِ: من فعل صنع، والتّصَنّعُ: تَكَلُّفُ الصّلاح وليس به، والتّصَنُّعُ: تَكَلُّفُ حُسْنِ السّمْتِ وإظهارُه والتّزَيُّنُ به والباطن مدخولٌ.

(٣) التّمَحُّلُ: من فعل محل. والتّمحُّلُ: التكايد، والمحال: الغضب والتدبير، ورجل مَحِل أي ذو كَيْد. وتَمَحَّلَ أي احْتَال فهو مُتَمَحِّلٌ يقال: تَمَحَّلْ لي خيراً أي اطْلُبْه.

(٤) الخانة: من فعل خون. والخَوْنُ أن يُؤْتَمن الإنسانُ فلا يَنْصَحَ. والجمع خانة، وخانة الدَّهْرُ: غَيّرَ حاله من اللِّين إلى الشدة. وفي التنزيل العزيز ﴿عَلِمَ اللّهُ أنّكُمْ كنْتُم تخْتَانُونَ أنْفُسَكُمْ﴾.

(٥) الغَدَرَةُ: من فعل غَدَرَ، والغَدْرُ: ضِدُّ الوفاء بالعهد. وقيل: القَدْرُ ترك الوفاء. ويقال: غَدَرَ إذا نقض العهد. ويقال للمذكر غُدَر وللمؤنث غَدار وهما مختصان بالنداء. ومنه قول عائشة قالت للقاسم: «اجْلِسْ غُدَرُ».

(٦) يُغَطّى: من فعل غطط، وغطّه في الماء: غَطّسَه وغَوَّصَه.
الغطُّ: العَصْرُ الشديد والكَبْسُ. وفي الحديث: «فأخذني جبريلُ فَغَطّني».

(٧) المَلق: من فعل ملق والمَلَق: الذي لا يصدق في مودّته.

تُكْثِرَنَّ مِنَ الدّعاء لَهُ في كلّ كلِمَة، فإنّ ذلكَ شبيهٌ بالوَحْشَةِ والغُـرْبَةِ، إلاّ أنْ تُكَلّمَـهُ على رُؤوسِ النّاسِ، فلا تَألُ[1] عَمّا عَظّمَهُ وَوَقّرَهُ.

لا يَعْرِفَنّكَ الوُلاةُ بِالهـوَى في بَلَدٍ منَ البُلْدانِ ولا قَبِيلَةٍ مِنَ القَبائِـلِ، فيوشِـكَ أن تُحْتَاجَ فِيهما إلى حِكَايَةٍ أوْ شَهَادَةٍ، فتُتّهَمَ في ذلكَ.

فإذا أرَدْتَ أنْ يُقْبَلَ قَوْلُكَ فَصَحّحْ رَأيَكَ ولا تَشوبَنّهُ[2] بشيءٍ مِنَ الهَـوى، فإنّ الرّأيَ الصّحِيحَ يَقْبَلُهُ مِنْكَ العَدُوّ، وَالهَوَى يَرُدّهُ عَلَيْكَ الولَدُ وَالصّديقُ.

وَأحَقُّ مَنِ احْتَرَسْتَ مِنْ أن يَظُنّ بِكَ خَلْطَ الرّأيِ بالهَوَى الوِلاةُ، فإنها خَديعَـةٌ وَخِيَانَةٌ وكُفْرٌ عِنْدَهُمْ.

إن ابْتُلِيتَ بصُحْبَةِ والٍ لا يُرِيدُ صَلاحَ رَعِيّتِهِ فاعْلَمْ أنّكَ قَدْ خُيّـرْتَ بينَ خَلّتَينِ لَيْسَ مِنْهُمَا خِيارٌ:

إمّا المَيْلُ معَ الوَالي عَلَى الرّعِيّةِ، وهذا هَلاكُ الدّينِ.

وإمّـا المَيْلُ مَـعَ الرّعِيّـةِ على الوَالي، وهـذا هَلاكُ الـدّنْيـا، ولا حِيلةَ لـكَ إلاّ المَوْتُ أوِ الهَرَبُ.

وَاعْلَمْ أنّهُ لا يَنْبَغِي لَكَ، وإنْ كَانَ الوالي غَيْرَ مَرْضِيِّ السّيرَةِ إذا عَلِقَتْ حِبالُكَ بِحِبَالِهِ[3]، إلاّ المُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، إلاّ أنْ تجِدَ إلى الفِرَاقِ الجَمِيلِ سَبِيلاً.

تَبَصّرْ[4] ما في الوالي منَ الأخْلاقِ التي تُحِبّ لَهُ والّتي تَكْرَهُ ومـا هوَ عَلَيْـهِ مِنَ

---

(١) لا تَأل: من فعل تَـأَل والتُّؤلة بـالضم: الداهيـة وقيل: التّـألانُ: الذي كـأنّه يَنهض بـرأسه إذا مشى يُحرّكه إلى فوق عظمة والمقصود هنا أن على العاقل أنْ لا تمدح مقتصراً بما ليس فيه ويخالفه.

(٢) تَشُـوْبَنّه: من فعـل شوب، والشَّـوْبُ: الخَلْطُ. ومنه قـوله تعـالى: ﴿ثُمَّ إنَّ لَهُم عَلَيْهـا لَشَـوْبـاً مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي خَلْط ومِزَاج.

(٣) بِحِبالِهِ: من فعل حَبَلَ. والحَبْـلُ: الرِّبـاط بفتح الحـاء. والجمع أحبـل وحِبال وأحبـال. والحَبْل: التَّوَاصُل، والحَبْل: الوِصَالُ ومنه قوله تعالى: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً﴾ والاعتصام هو تـرك الفرقة واتباع القرآن وهنا يقصد اتباع الوالي حتى ولو كان غير مَرْضِيِّ السِّيرَة.

(٤) تَبَصَّر: من فعل بَصَر، والتَّبصر: التَّدَبُّر ومشاهدة الأشياء ظاهرها وخـافيها عن الصنعـة التي يتكشف=

الرّأيِ الذي تَرْضَى لَهُ والّذي لا تَرْضَى. ثمّ لا تُكابِرَنـه[1] بالتّحْـويلِ لَـهُ عَمّا يُحِبّ وَيَكْرَهُ إلى ما تُحِبّ وتَكْرَهُ. فإنّ هذِهِ رِياضَةٌ صَعْبَةٌ تَحْمِلُ عَلَى التّنائي والقِلى[2].

فإنّكَ قَلَّما تَقْدِرُ عَلى رَدّ رَجُلٍ عَنْ طَريقَةٍ هُو عَلَيْها بالمُكـابرَة وَالمُنـاقَضَةِ[3]، وَإنْ لم يكُنْ ممّنْ يَجْمَحُ بِهِ[4] عِزُّ السلطانِ. ولكنّكَ تَقْدِرُ عَلى أنْ تُعِينَهُ عَلى أحْسَنِ رَأيِهِ، وَتُسَدّدَهُ فِيهِ وَتُزَيّنَـهُ، وَتُقَوّيَـهُ عَلَيْهِ. فَـإذا قوِيَتْ مِنْـهُ المحاسِنُ كـانتْ هيَ التي تَكْفِيكَ المَساوِئ. وإذا اسْتَحكَمَتْ مِنْهُ ناحِيَـةٌ مِنَ الصّوَابِ كـان ذلكَ الصّـوَابُ هُوَ الّذي يُبَصّرُهُ مَـواقِعَ الخَـطَإِ بِألْـطَف مِنْ تَبْصِيرِكَ وَأعْـدَلَ منْ حُكمِكَ في نَفْسِـهِ. فإنّ الصّـوَابَ يُؤيّدُ بَعْضُـهُ بَعْضـاً وَيَـدْعـو بَعْضُـهُ إلى بعضٍ حتى تَسْتَحْكِمَ[5] لِصَـاحِبِـهِ الأشْياءُ، وَيَظْهَرَ عَليْها بِتحْكِيمِ الرّأيِ، فإذا كانتْ لهُ مكانَةٌ منَ الأصَـالَةِ اقْتَلَعَ ذلـكَ الخطأ كلّهُ.

فاحْفَظْ هذا البابَ وَأحْكِمْهُ.

لا تسأل السلطان ولا تتدلّل عليه

لا يكـونَنّ طَلَبُكَ مـا عِنْدَ الـوالي بالمَسْـألَةِ، ولا تَسْتَبْـطِئْهُ، وإنْ أبْـطَأ عَلَيْكَ.

= بها تمام نعوت الوالي والتّدبر لها بحكمة وروية.

(١) تُكابِرَنّـه: من فعل كَبُـرَ، وكَبّرَ الأمـرَ: جعله كبيراً واسْتَكْبَـرَه: رآه كبيراً، والاسْتِكْبـارُ: الامتناع عن قبول الحق مُعَاندة وتَكَبُّراً.

(٢) القِلـى: من فعل قلا. والقِلَى: البغض، وقَلَيْته قِليً: أبْغَضْتُه وكَرِهْتُه غاية الكـراهة فتـركته، وتَقَلّى الشيء: تَبَغّضَ. وفي التنزيل العزيز: ﴿ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى﴾ معناه ما يقـطع الوحي عنـك ولا أبغضك.

(٣) المنـاقضة: من فعـل نقض. والنّقْضُ: إفْسادُ مـا أبْرَمْتَ من عَقْـدٍ أو عهد والنّقض: ضِـدُّ الإبرام، والمناقضة في القول: أن يُتَكَلّم بما يتناقَضُ معناه.

(٤) يجمح به: من فعل جمح، جَمَـح الفَرسُ بصـاحبه: ذهب يجـري جرياً. والجَمُوحُ من الـرِّجال: الذي يركب هواه فلا يمكن رَدُّه.

(٥) تَسْتَحْكِمُ: من فعل حَكَمَ، واحْتَكَمَ الأمرُ واسْتَحْكَمَ: وَثُقَ. واسْتَحْكَمَ الرّجلُ: إذا تناهى عما يضره في دِينه أو دُنْياه.

ولكِنِ اطْلُبْ ما قِبَلَهُ بالاسْتِحاقِ لَهُ، وَاسْتأنِ[1] بِهِ وَإِنْ طالَتِ الأنــاةُ مِنْهُ[2]. فإنّكَ إذا اسْتَحْقَقْتَهُ أتاكَ عَنْ غَيرِ طَلَبٍ، وإنْ لم تَسْتَبْطِئْهُ كانَ أعْجَلَ لَهُ.

لا تُخْبِرَنّ الوالي أنّ لكَ عَلَيْهِ حَقّاً، وَأنّكَ تَعْتَدّ[3] عَلَيْهِ بِبَـلَاء[4] وإنِ اسْتَطَعْتَ ألاّ يَنْسَى حَقَّكَ وَبلاءكَ فافعَلْ. وَلْيَكُنْ ما يُذَكّـرُهُ بِهِ مِنْ ذلـكَ تجديـدُكَ لهُ النصيحـةَ والاجْتِهادَ، وألاّ يَزالَ يَنْظُرُ مِنْكَ إلى آخِرٍ يُذَكِّرُهُ أوّلَ بَلائكَ.

وَاعْلَمْ أنّ السّلْطانَ إذا انْقَـطَعَ عَنْهُ الآخِـرُ نَسِيَ الأوّلَ، وَأنّ الكثيـرَ مِنْ أُولئِـكَ أرْحَامُهُمْ[5] مَقطوعَـةٌ وحِبالُهُمْ مَصْـرُومَةٌ[6]، إلاّ عَمّنْ رَضُـوا عَنْهُ وأغْنَى عَنْهُم[7] في يَوْمِهِمْ وساعَتِهِمْ.

إيّاكَ أنْ يَقَعَ في قَلْبِكَ تَعَتّبٌ عَلَى الوالي أوَ اسْتِزْراءُ لَهُ.

فإنّهُ إنْ وَقَعَ في قَلْبِكَ بَـدَا في وَجْهِكَ، إنْ كنتَ حَلِيمـاً، وبدا على لِسَـانِكَ، إنْ كُنْتَ سَفِيهاً.

---

(١) استـأن: من فعل أني الشيءُ وتـأنّى: إذا رَفَقَ. يقال: اسْتَـأْنَيْتُ بكم أي انتظرت ولم أُعْجِله وقيـل اسْتأْنِ في أمرك أي لا تَعْجَل.

(٢) الأَناةُ: من فعل أني. والأَنَاةُ والإناةُ: الذي يرتفق به. وقيل: آنَيْتُ الشيءَ: أخَّرْته. والأناة: التُّؤَدة. وتَأَنّى في الأمر أي تَرَفَّق. ويقال: تأَنَّيْتُكَ حتى لا أناة بي.

(٣) تَعْتَدّ: من فعل عدد، وعَدَّ الأمر وعَدَّه فاعْتَدَّ أي صار معدوداً واعْتُدَّ به، وعِـدادُ فلان من بني فـلان أي أنّه يُعَدُّ معهم في ديوانهم.

(٤) ببلاء: من فعل بلا، وبَلَوْتُ الرجلَ بَلْواً وبَلاءً: اخْتَبَرْتُه وجَرَّبْتُه. وابتلاه الله: امْتَحَنَه، والبلاء يكون في الخير والشر.

(٥) أَرْحَامُهُم: من فعل رَحِمَ، والرُّحْمُ: بالضم: الرحمة، وما أقرب رُحْمُ فلان إذا كان ذا مَـرْحَمةٍ وبِـرّ أي ما أَرْحَمَه وأبَرَّهُ وأقربه عطفاً وأَمَسَّ بالقرابة. والرَّحِمُ: القرابة وقيل: أسباب القرابة.

(٦) مصرومَة من فعل صَرَم. والصَّرْمُ: القَطْعُ البائنُ. وقيل: الهِجْرانُ في موضعه.. الصَّرْمُ: دخيل وهو القَطْع البائن للحبل والعِذْق.

(٧) أغنى عنهم: من فعل غنا، والغَنَاء بالفتح: النَّفْعُ. وقيل غَنَّاهُ في الدعاء وأَغْنَاه في الخبر. واستغنى الرجلُ: أصابه غِنًى. وأغنى اللّهُ الرَّجلَ أي صار له مال.

فإنْ لَمْ يَزِدْ ذلِكَ عَلى أنْ يَظْهَرَ في وَجْهِكَ لآمَنِ الناس عِنْدَكَ فلا تَأْمَنَنّ أنْ يَظْهَرَ ذلكَ للوَالي.

فإنّ النّاسَ إلى السّلْطانِ بعَوْرَاتِ[1] الإخْوَانِ سِرَاعٌ، فإذا ظَهَرَ ذلكَ للوَالي كانَ قَلْبُهُ هُوَ أسْرَعَ إلى النّفورِ والتّغيّرِ مِنْ قَلْبِكَ فَمَحَقَ[2] ذلكَ حَسَناتِكَ الماضِيَةَ، وَأشْرَفَ بِكَ على الهَلاَكِ، وَصِرْتَ تَعْرِفُ أمْرَكَ مُسْتَدْبِراً[3] وَتَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ سُلْطانِكَ مُسْتَصْعِباً. وَلَوْ شِئْتَ كُنْتَ تَرَكْتَهُ راضياً وَازْدَدْتَ مِنْ رِضاهُ دُنُوّاً.

احذر سخط السلطان واخضع له

اعْلَمْ أنّ أكْثَرَ النّاسِ عَدُوّاً جاهِداً حاضِراً جَريئاً واشِياً وَزيرُ السّلْطانِ ذو المَكَانَةِ عِنْدَهُ. لأنّهُ مَنفوسٌ عَلَيْهِ[4] مكانَهُ بما يُنْفَسُ على صَاحِبِ السّلْطانِ، وَمحسودٌ كما يُحْسَدُ. غَيْرَ أنّهُ يُجْتَرَأُ عليهِ، ولا يُجْتَرَأُ عَلَى السّلْطَانِ. لأنّ مِن حاسِديهِ أحبّاءَ السّلطانِ وَأقارِبَهُ الّذينَ يُشارِكونَهُ في المَداخِلِ[5] وَالمَنَازِلِ[6]. وَهُمْ

---

(١) بعورات: من فعل عَوَر. والعَوْرةُ: الخَلَلُ في الثّغْر وغيرِهِ، ويوصف به منكوراً فيكون للواحد والجمع بلفظ واحد، وقيل: العورة: كل مَكْمَنٍ للسَّتْر. وعورة الرجل والمرأة: سَوْأتهما والجمع عَوْرات.

(٢) مَحَقَ: المَحْقُ: النقصان وذهاب البركة. يقال: مَحَقَهُ اللّهُ أي ذهب خيره. ومنه الحديث: «ما مَحَقَ الإسلامَ شيء ما».

(٣) مستدبراً: من فعل دَبَرَ. والإدْبَارُ: نقيض الإقبال. والاسْتِدْبار: خلاف الاستقبال، وفلان مُسْتَدْبِرُ المجد أو الأمر أي مستقبل لما يرى في عاقبة أمره ما لم يرقي ابتدائه من كريم مجده. وقيل: فلان ما له قِبْلَةٌ ولا دِبْرَةٌ: إذا لم يهتد لجهة أمره.

(٤) منفوس: من فعل نَفَسَ. والنَّفْسُ: العين. والمنْفوسُ: المَعْيُون، والنُّفُوسُ: العَيُون الحُسُودُ المتعين لأموال الناس لِيُصيِّبَها، وما أنْفَسه أي ما أشدَّ عينه. ويقال: نفِسَ عليك فلانٌ يَنْفَسُ أي حَسَدك.

(٥) المداخل: من فعل دَخَلَ. الواحد مدخل. والمدخل: البيت أو بلاط السلطان كما قصده ابن المقفّع ففيه يواجه حساده رغم عنه وكره منه.

(٦) المنازل من فعل نَزَلَ. والمنزلة: الرُّتبة لا تجمع. واسْتُنْزِل فلان أي حُطَّ عن مرتبته. والمَنْزِلُ: الدرجة.

وَغَيْرُهُمْ مِنْ عَدُوّهِ الّذينَ هُمْ حُضّارُهُ لَيْسوا كَعَدُوّ السّلْطانِ النّائي عَنْهُ والمُكْتَتِمِ مِنْهُ. وهُمْ لا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُمْ مِنَ الظّفَرِ بِهِ، فَلاَ يَغْفُلونَ عَنْ نَصْبِ الحَبائِلِ (١) لَهُ.

فاعْرِفْ هذِهِ الحالَ، وَالْبَسْ لهؤلاء القَوْمِ الّذينَ هُمْ أعْداؤكَ سِلاحَ الصّحّةِ والاسْتِقَامَةِ وَلُزُومَ المَحَجّةِ(٢) فيما تُسِر وتُعْلِنُ. ثمّ رَوّحْ عَنْ قَلْبِكَ(٣) حتى كأنّكَ لا عَدُوّ لكَ ولا حاسِدَ.

وإنْ ذكَرَكَ ذاكِرٌ عِندَ السّلطانِ بِسُوءٍ في وَجْهِكَ أوْ فِي غَيْبَتِكَ فَلا يَرَيَنّ السّلْطانُ وَلا غَيْرُهُ مِنْكَ اخْتِلاطاً لِذلكَ وَلا اغْتِياظاً ولا ضَجَراً.

وَلا يَقَعَنّ ذلكَ في نَفْسِكَ مَوْقِعَ ما يَكْرِثُكَ(٤)، فإنّهُ إنْ وَقَعَ مِنْكَ ذلكَ المَوْقِعَ، أدخَلَ عَلَيْكَ أُموراً مُشْتَبَهَةً بالرّيبَةِ مُذَكِّرَةً لِما قالَ فِيكَ العائِبُ. وإنِ اضطَرّكَ الأمْرُ في ذلكَ إلى الجَوابِ فإيّاكَ وَجَوابَ الغَضَبِ وَالانْتِقامِ، وعلَيْكَ بجَوَابِ الحُجّةِ في حِلْمٍ وَوَقَارٍ. ولا تَشُكّنّ في أنّ الغَلَبَةَ والقُوّةَ للحليمِ أبَداً.

لا تَتَكَلّمَنّ عِندَ الوالي كلاماً أبَداً إلاّ لِعِنَايَةٍ(٥)، أوْ يكونَ جَوَاباً لِشيءٍ سُئِلْتَ عَنْهُ. ولا تُحْضِرَنّ عِنْدَ الوالي كَلاماً أبَداً لا تُعْنى بِهِ أوْ تُؤمَرُ بحضُورِهِ.

---

(١) الحبائل: من فعل حَبَلَ. والحابِلُ: الذي يُنصبُ الحِباكة. وقيل: ثار حابِلُهم على نابِلِهم إذا أوقدوا الشرَّ بينهم هذه من أمثال العرب في الشدة ويقال للقوم الذين تنقلب أحوالهم ويثور بعضهم على بعض يُكيدُون المكائِدِ والدسائس.

(٢) المَحَجّة: من فعل حَجَجَ. والحُجُجُ: الطرق التي يدرك بها الصواب ومنه في حديث الدعاء: «اللّهم ثَبّت حُجتي في الدنيا والأخرة». أي قولي وطريقي وإيماني.

(٣) رَوّح عن قلبك: من فعل رَوَح. وراح: بَرَدَ وطابَ. وقيل: يوم رائح: طيّب الريح يدخل النفس والقلب فيرويحها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي رحمة ورزق أي استراح وبرد قلبه وانتعش.

(٤) يَكْرِثُكَ: من فعل كرث، وكرثه الأمْرُ يَكْرِثُه ويَكْرُثُه وَيَكْرِثُه: ساءه واشتدّ عليه، وبلغ منه المشَقّةَ. وفي حديث علي: «في سَكْرة مُلْهِثة وغَمْرةٍ كارِثةٍ» أي شديدة شاقّة من كَرثَه الغَمُّ فبلغ منه المشَقّة.

(٥) لعناية من فعل عنا، وعُنِيَ بالأمر عناية: اهْتَمَّ. وقيل: عَنِيْتُ بأمره فأنا به عَنٍ. وَعَنِيتُ بأمرك فأنا عانٍ.

وَلَا تَعُدّنَّ شَتْمَ الوَالي شَتْماً، وَلا إغْلاَظَـهُ إغْلاظـاً، فإنّ ريـحَ العِزّةِ قـدْ تَبْسُطُ اللّسانَ بالغِلْظَةِ في غَيْرِ سَخَطٍ ولا بأسٍ.

جَانِبِ المَسْخُوطَ عَلَيْهِ والظَنّين[١] بِهِ عِنْدَ السّلطانِ. ولا يجمعنّكَ وإيّاهُ مجْلِسٌ وَلا مَنْزِلٌ، ولا تُظْهِرَنّ لَهُ عُذْراً، ولا تُثْنِيَنّ عَلَيْهِ خيراً عِنْدَ أحدٍ مِنَ النّاسِ.

فإذا رَأيْتَهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الإعْتابِ[٢] مِما سُخِطَ عَلَيْهِ فيهِ ما تَرْجو أنْ تُلينَ لَهُ بِهِ قَلْبَ الوالي، واستيْقَنْتَ أنّ الوالي قد اسْتَيْقَنَ بمُباعَـدَتِكَ إيّـاهُ وشِدّتِـكَ عَلَيْهِ عِنْـدَ النّاسِ فَضَعْ عُذْرَهُ عِنْدَ الوالي واعْمَلْ في إرْضَائِهِ عَنْهُ في رِفْقٍ ولُطْفٍ.

لِيَعْلَمِ الوَالِي أنّكَ لا تَسْتَنْكِفُ[٣] عَنْ شَيْء من خِدمَتِهِ. ولا تَدَعْ مَعَ ذلِـكَ أنْ تُقَدّمَ إلَيْهِ القَوْلَ، عِنْدَ بَعضِ حالاتِ رِضاهُ وَطِيبِ نَفْسِهِ، في الاسْتِعْفاء مِنَ الأعْمالِ التي هي أهْـلٌ أنْ يكْرَهَهَـا ذو الدّينِ وذو العَقْـلِ وذو العِـرْضِ[٤] وذو المُـرُوءةِ، مِنْ وِلايةِ القَتْلِ والعَذابِ وأشْباهِ ذلِكَ.

وَإذَا أصَبْتَ الجاهَ وَالخاصّةَ[٥] عِنْدَ السّلْطانِ، فلا يُحْدِثَنّ لَكَ ذلِكَ تَغَيّـراً على أحَدٍ منْ أهْلِهِ وَأعْوَانِهِ، ولا اسْتِغْناءً عَنْهُمْ، فـإنّكَ لا تَـدْري مَتى تَرَى أدْنى جَفْـوَةٍ أوْ تَغَيُّرٍ فَتَذِلّ لهُمْ فيها.

وفي تَلَوّنِ الحالِ عِنْدَ ذلكَ مِنَ العارِ ما فِيهِ.

لِيَكُنْ مما تُحْكِمُ مِنْ أمْرِكَ ألاّ تُسارّ[٦] أحَداً مِنَ النّاسِ ولا تَهْمِسَ[٧] إلَيْهِ بِشَيْء

---

(١) الظَّنينُ: من فعل ظنن. وظَنَنْتُه: أتهمْتُه. والظِّنّةُ: التُهَمَةُ. والظَّنينُ: المتَّهم الذي تُظَنُّ به التهمة. والجمع الظُّنَنُ. ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُوَ على الغَيْبِ بِظَنينٍ﴾ أي بمتَّهَمٍ.

(٢) الإعتاب: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب. والعِتاب بمعنى الإعتاب وهو مخاطبة الإدْلال وكلام المُدلِّين أخلاءَهم ومذاكرة بعضهم بعضاً ما كرهوه مما كسبَهم المَوْجِدَةَ.

(٣) النَّكْفُ: تنحيتك الدّمْع عن خديك. والمقصود أنّه لا يبعدك شيء عن خدمته.

(٤) ذو العِرْض: أي ذو حسب وشرف.

(٥) الخاصة: مَنْ تَخُصّه لنفسك.

(٦) تُسارّ: من السّرّ والسّر: ما أخْفَيْتَ، وأسَرَّ الشيءَ: كَتَمَه.

(٧) تهمس: تتكلم سراً. والهمس: الخفيّ من الصوت والوطء. وفي التنزيل ﴿فَلَا تَسْمَعُ إلّا هَمْساً﴾.

تُخْفِيهِ على السّلْطانِ أو تُعْلِنُهُ. فإنّ السّرَارَ ممّا يُخَيِّلُ إلى كلّ مَنْ رَآهُ مِن ذي سُلْطانٍ أوْ غَيْرِهِ أنّهُ المُرَادُ بِهِ. فَيَكُونُ ذلكَ في نَفسِهِ حَسِيكَةً وَوَغْراً وَثِقْلاً[١].

الكذب يبطل الحق ويرد الصدق

لا تَتَهاوَنَنّ بِإرْسالِ الكِذْبَةِ عِندَ الوالي أوْ غَيْرِهِ في الهَزْلِ، فإنّها تُسْرِعُ في إبْطَالِ الحَقّ وَرَدّ الصّدْقِ مما تأتي بِهِ.

تَنَكّب[٢]، في ما بَيْنَكَ وبَينَ السّلْطَانِ وفي ما بينَكَ وبينَ الإخوَانِ، خُلُقاً قد عَرَفْنَاهُ في بَعْضِ الوُزَرَاء والأعْوَانِ في ادّعاء الرّجُلِ، عِندما يَظْهَرُ مِنْ صَاحِبِهِ حُسْنُ أثَرٍ أوْ صَوَابُ رَأيٍ، أنّهُ عَمِلَ في ذَلِكَ وَأشَارَ بِهِ، وإقْرَارِهِ بِذلكَ إذا مَدَحَهُ بِهِ مَادِحٌ. بلْ إنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تُعَرِّفَ صاحِبَكَ أنّكَ تَنْحَلُهُ[٣] صَوَابَ رَأيِكَ، فَضْلاً عَنْ أنْ تَدّعيَ صَوَابَهُ، وَتُسْنِدَ ذلِكَ إليهِ وَتُزَيّنَهُ بِهِ، فافْعَلْ.

فإنّ الذي أنْتَ آخِذٌ بذلكَ أكْثَرُ مما أنْتَ مُعْطٍ بِأضْعافٍ.

لا تجب إلّا إذا سئلت، وأحسن الإصغاء

إذا سَألَ الوَالي غَيرَكَ فلا تَكونَنّ أنْتَ المُجِيبَ عَنْهُ. فإنّ اسْتِلابَك الكلامَ خِفّةٌ بِكَ وَاسْتِخْفَافٌ مِنْكَ بِالمسْؤولِ وَبالسّائلِ.

وَما أنْتَ قائِلٌ إنْ قَالَ لكَ السائلُ: ما إيّاكَ سألْتُ؟ أوْ قالَ لكَ المَسْؤولُ عِنْدَ المَسْألَةِ يُعَادُ لَهُ بها: دونَكَ فأجِبْ.

---

(١) الحسيكة: الحقد على التشبيه، وحَسَكَ الصدر: حقد العداوة. والوغر: احتراق الغيظ وشدته. ومنه: في صدره عليّ وغْرٌ بالتسكين أي ضِغْنٌ وعداوة وتوقُّدٌ من الغيظ. والثقل: من فعل ثَقُلَ، ونَقَل هنا بمعنى تثاقل، وتثاقل القوم: استنهضوا لنجدة فتباطؤا وفتروا عن نجدتهم.

(٢) تَنَكّب: من فعل نَكَبَ. وَنَكَبَ عن الشيء: عَدَل ومثله تَنَكّبَ. وتَنَكّبَ فلان عنه تنكّباً أي مال عنه واعتزله، وتُنَكّبه أي تَجَنّبه. ونَكّبه الطريق: عَدَل إلى غيرها. والنَّكَبُ: الميل في الشيء وفي حَدِيث الذكاةُ: «نَكّبوا عن الطعام» يريد اعرضوا عنها.

(٣) تَنْحَلُهُ: من فعل نَحَلَ. وانْتَحَل فلان كلام فلان إذا ادّعاه أنه قائله. وتَنَحّلَهُ: ادّعاه وهو لغيره. ونَحَلَه القولَ: نَسَبَه إليه. وقال الأعشى في الانتحال: [المتدارك].

فكَيْفَ أنا وانتِحالي القوا ... فِيَ بَعْدَ المَشِيب كفَى ذاك عارا!

وإذا لَمْ يَقْصِدِ السائلُ في المَسألَةِ لِرَجُلٍ واحِدٍ وَعَمّ بها جماعَـةً مَنْ عِنْدَهُ فَـلا تُبَـادِرَنّ بالجَـوَابِ، وَلا تُسَابِقِ الجُلَسـاءَ، ولا تُواثِبْ[1] بـالكَلام مُـوَاثَبَةً. فـإنّ ذلكَ يَجْمَعُ مَعَ شَيْنِ التّكلّفِ وَالخِفّـة أنّكَ إذا سَبَقْتَ القَـوْمَ إلى الكَلاَم صـارُوا لِكلامِـكَ خُصَمـاءَ فتعَقّبوهُ بِـالعَيْبِ والطّعْنِ. وإذا أنْتَ لم تَعْجَـلْ بـالجَـوَابِ وَخَلّيْتَـهُ للْقَـوْمِ، اعْتَرَضْتَ[2] أقاوِيلَهُمْ عَلى عَيْنِكَ، ثمّ تَدَبّـرْتَها وَفَكّـرْتَ في مَا عِنـدَكَ، ثمّ هَيّأتَ مِنْ تَفْكِيرِكَ وَمَحَاسِنِ ما سَمِعْتَ جَواباً رَضِيّاً، ثمّ اسْتَـدْبَرْتَ بِـهِ أقاوِيلَهُمْ حينَ تُصِيـخُ[3] إلَيْكَ الأسْماعُ وَيَهْدَأُ عَنْكَ الخُصُومُ.

وإنْ لم يَبْلُغْكَ الكَلامُ حَتى يُكتَفَى بِغَيْرِكَ، أوْ يَنْقَطِعِ الحَديثُ قَبْلَ ذلـكَ، فلا يكونُ مِنَ العَيْبِ عِنْدَكَ وَلا مِنَ الغَبَنِ[4] في نَفْسِكَ فَوْتُ مَا فَاتَكَ مِنَ الجوَابِ.

فَإنّ صِيانَةَ القَوْلِ خَيْرٌ مِنْ سوءِ وَضْعِهِ، وَإنّ كَلِمةً واحِـدَةً مِنَ الصّوَابِ تُصِيبُ مَوْضِعَها خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ كَلِمَةٍ تَقولُهـا في غَيْرِ فُـرَصِها ومَـوَاضِعِها. مـعَ أنّ كلامَ العَجَلَةِ والبِدارِ[5] مُوَكَّلٌ بِهِ الزَّلَلُ وسُوءُ التّقْدِيرِ، وإنْ ظَنَّ صاحِبُهُ أنّهُ قدْ أتْقَنَ وأحْكَمَ.

وَاعْلَمْ أنّ هذه الأمورَ لا تُدْرَكُ ولا تُمْلَكُ إلاّ بِرَحْبِ الذَّرعِ[6] عِنْدمـا قِيلَ ومـا

(١) تُـواثِبُ بالكـلام: من فعل وثب. والـوَثْبُ: الطّفـرُ، وَوَثَبَ وَثْبَةً جَعله يَثِبُـه أي ينهض. ومَرَةٌ وثبى: سريعة الوَثْبِ والمقصود هنا أي لا تسابق بالكلام من يتكلم قبلك.

(٢) اعترضت: من فعل عَرَض. والاعتراض في السير من النشاط. وعـرض الرجـل صـار ذا عـارضة، والعارضة قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد والمقصود أن العَاقل عليه أنْ يعرض أقوال القوم واحـدة تلو الأخرى في ذهنه فيتدبر أمره بروية وحكمة ثم يذكر رأيه.

(٣) تَصيخ: من فعل صَيَخَ. وأصاخ له: استَمَع وأنْصَت لصوت. وفي حديث سـاعة الجمعـة: «ما مِن دابةٍ إلاّ وهي مُصِيخةٌ». أي مستمعة منصتة.

(٤) الغَبَنُ: من فعـل غَبَنَ. والغَبَنُ بالتّحـريك، في الـرأي. وغَبِنْتَ رأيَك أي نَسِيتـه وأغفلته وجهلتـه، الغَبْن بالتسكين في البيع. وغَبِنَ رَأْيُه بالكسر: ضَعُف، ورجل غَبِينٌ في الرأي والعقل والدين.

(٥) البِـدارِ من فعل بَـدَرَ. وبَدَرْتُ إلى الشيء: أسـرعتُ. وبَادَرَ الشيءَ: عَـاجَلَهُ. وبَدَرَني الأمـرُ وبَـدَر إليَّ: عَجِلَ إليَّ واستبق.

(٦) رحب الذرع: من فعل ذَرَعَ. والذَّرْعُ: الطاقـة، وفي الحديث: «قلّدوا أمْـركم رَحْبَ الذِّراع». أي واسعَ القوة والقدرة والبطش والذّرْع: بسط اليد وكرمها.

لمْ يُقلْ، وَقِلَّةِ الإِعْظامِ لما ظَهَرَ مِنَ المُرُوءةِ وما لمْ يَظْهَرْ، وَسَخاوَةِ[1] النَّفْسِ عنْ كَثيرٍ منَ الصَّوَابِ مَخافَةَ الخِلافِ وَالعَجَلَةِ والحَسَدِ والمِرَاءِ[2].

إذا كَلَّمَكَ الوالي فأصْغِ إلى كَلامِهِ. ولا تَشْغَلْ طَرْفَكَ[3] عَنْهُ بِنَظَرٍ إلى غَيْرِهِ، ولا أطْرَافَكَ[4] بِعَمَلٍ، ولا قَلْبَكَ بحديثِ نَفسٍ.

وَاحْذَرْ هذهِ الخَصْلَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَعاهَدْها بجهْدِكَ.

رفق الوزير بنظرائه

ارْفُقْ بِنُظَرَائِكَ مِنْ وُزَرَاء السّلْطانِ وأخِلاَّئِهِ[5] وَدُخَلائِهِ[6]. واتَّخِذْهُمْ إخْواناً، ولا تَتَّخِذْهُمْ أعْداء. ولا تُنافِسْهُمْ في الكلِمةِ يَتَقَرَّبونَ بها، أوِ العَمَلِ يُؤمَرُونَ بِهِ دُونَكَ.

فإنّما أنْتَ في ذلكَ أحَدُ رَجُلَين:

إمّا أنْ يكونَ عِنْدَكَ فَضْلٌ على ما عِنْدَ غَيْرِكَ فَسَوْفَ يَبْدُو ذلكَ وَيُحْتاجُ إلَيهِ

---

(١) سَخَاوَةُ النَّفْس: من فعل سخا. والسَّخَاوَةُ: الجُودُ والسَّخِيُّ: الجَوَادُ والجمع اسْخِياء. وسَخَّى نَفْسَه عنه وبنفسه: تَرَكَه. وسَخَّيْتُ نفسي عنه: تركته ولم تنازعني نفسي إليه.

(٢) المِرَاءُ: من فعل مَرَأ. ومَارَيْتُ الرجلَ أُمَارِيه مِراءً: إذا جادلته والمُرْيَةُ: الشَّكُ والجَدَلُ بالكسر والضم. ومنه في التنزيل العزيز: ﴿فَلَا تُمَارِ فيهم إلاّ مِراءً ظاهراً﴾ وأصله في اللغة الجِدال، وأن يَسْتخرج الرجلُ من مُناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها.

(٣) طَرْفُك: من فعل طَرَفَ؛ والطَّرْفُ: طَرْفُ العين، والطَّرْفُ: إطباقُ الجَفْنِ والطَّرْف: اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر. والاسم الطُّرْفَةُ. يقال في الأمثال العربية: «أسْرَعُ من طَرْفَةِ عين».

(٤) أطْرَافُك: من فعل طَرَفَ: وأطْرَافُ الرجل: أعْضاؤه. ويقال: «طَرَّفت الجارية بنَانَها» إذ خضَبت أطْراف أصابعها بالحِنَّاء، وفيه الحديث: «حُمادَياتُ النساء غَضُّ الأَطْرافِ» المقصود بغَضّ الأطْرافِ قَبْضَ اليدِ والرِّجْلِ عن الحركة والسَّيْر وهي الأعْضَاء.

(٥) أخلائه: من فعل خَلَلَ، والخِلُّ: الوُدُّ والصَّدِيق. وقيل: إنّه لكريم الخِلِّ والخِلَّة أي كريم المُصَادقة والمُوادَّة والإخاء. ومنه الحديث: «فيُهْديها في خُلَّتها». أي في أهل ودِّها وإخلاء السلطان الذي ينفرد بهم.

(٦) دخلائه: من فعل دَخَلَ. وداخلة الرجل: باطِنُ أمره، وقيل دُخْلة أمره أي عرفت جميع أمره وسِرِّه، ودَخِيلُ الرَّجُل الذي يُداخِله في أموره ويختص به.

ويُلْتَمسُ مِنْكَ، وَأَنْتَ مُجْمِلُ[1].

وَإمّا ألاّ يكونَ ذلِكَ عِنْدَكَ، فما أنْتَ مُصِيبٌ مِنْ حاجَتِكَ عِنْدَ وُزَراء السّلْطانِ بِمُقارَبَتِكَ إيّاهُمْ وَمُلاَيَنَتِكَ، وما أنْتَ واجِدٌ في مُوافَقَتِكَ إيّاهُمْ ولِيِنكَ لهُمْ مِنْ مُوافَقَتِهِمْ إيّاكَ ولينهمْ لكَ أفْضَلُ ممّا أنْتَ مُدْرِكٌ بالمُنافَسَةِ والمُنافَرَةِ لهُمْ.

لا تَجْتَرِئَنّ على خِلافِ أصْحابِكَ عِنْدَ الوالي، ثِقَةً باعْتِرافِهِمْ لكَ ومَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ رَأيِكَ، فإنّا قدْ رَأيْنا الناسَ يَعْتَرِفونَ بفضْلِ الرّجُلِ وَيَنْقادونَ لَهُ وَيَتعَلّمونَ مِنْهُ، وهُمْ أخْلِياء[2]. فإذا حَضَرُوا السّلْطانَ، لَمْ يرْضَ أحَدٌ مِنْهُمْ أن يُقِرَّ لَهُ، ولا أن يكونَ لَهُ عَلَيْهِ في الرّأيِ والعِلْمِ فَضْلٌ، فاجْتَرَأُوا عَلَيْهِ بِالخِلافِ والنّقْضِ[3].

فإنْ ناقَضَهُمْ صارَ كأحَدِهِمْ. وليْسَ بَواجِدٍ في كلّ حِينٍ سامِعاً فَهِماً أو قاضِياً عَدْلاً.

وَإنْ تَرَكَ مُنَاقَضَتَهُمْ، كانَ مَغْلوبَ الرّأيِ مَرْدودَ القَوْلِ.

لكلّ أليف وجليس

إذا أصَبْتَ عِنْدَ السّلْطانِ لُطْفَ مَنزِلَةٍ لِغَناءٍ[4] يَجِدُهُ عِندَكَ أو هوًى يكونُ لَهُ فِيكَ، فَلا تَطْمَحَنّ كُلَّ الطِّمَاحِ[5] وَلا تُزَيّنَنّ لكَ نَفْسُكَ المُزَايَلَةَ[6] لَهُ عَنْ ألِيفِهِ

---

(١) مُجمَل: من فعل جَمَلَ. أجْمَلَ الرجل في صنيعه وفي طلب الشيء أتّأد واعتدل ثقة منه بيأسه.

(٢) أخليـاء: من فعل خلل، والخِـلُّ والخِلّة، والخُلّة الصـداقـة والمحبـة التي تخلّلت القلب فصـارت خلالَه أي في باطنه، وجمعه أخلياء منفردون في هذه الصفة.

(٣) النقض: من فعل نَقَضَ. والنَّقْضُ: إفْسَادُ ما أبْرَمْتَ من عَهْدٍ وعَقْدٍ. والنقض: ضِدُّ الإبْرَام.

(٤) لِغِناءٍ: من فعل غَنَا: والغَنَاءُ بالفتح النَّفْعُ. وقيل: أغْنَاهُ اللّهُ أي أغناه في الخير، واسْتَغْنى الرجلُ: أصاب غِنًى وفائدة أي صار له مال.

(٥) الطِّمَّـاحُ: من فعل طَمَحَ. طمحت: جَمَحَتْ. قيل: كنت إذا رأيت رجلاً ذا قشْرٍ طَمَحَ بصري إليه أي امتـدَّ وعَلاَ. ورجـل طَمّاح: بعيـد الطرف. يقـال: طَمَحَ فـلانٌ بصره: رَفَعَـه. وطَمَحَ في مـال السلطان: امتدَّ إلى منفعة كبيرة منه وطمح في الوصول إليها.

(٦) المزايلة: من فعل زَلَلَ. المُزَايِـلُ: المنزَلِقُ، وزَلَّ عُمْـرُه: ذهب وفارق. وأصله من الـزَّلِيل: وهـو انتقال الأمر من مكان إلى آخر. وزَلَّت منه نعمة: فارقها.

وَمَوْضِعِ ثِقَتِهِ وَسِرِّهِ قَبْلَكَ: تُرِيدُ أنْ تَقْلَعَهُ وَتَدْخُلَ دُونَهُ. فإنّ هذهِ خَلّةٌ مِنْ خِلالِ السَّفَهِ قَدْ يُبْتَلى بها الحُلَماءُ عِنْدَ الدُّنُوِّ مِنَ السُّلْطانِ حتى يُحَدِّثُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ نَفْسَهُ أن يكونَ دونَ الأهْلِ والوَلَدِ، لِفَضْلٍ يَظُنُّهُ بِنفسِهِ أوْ نَقْصٍ يَظُنُّهُ بِغَيْرِهِ.

ولِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ المُلوكِ أوْ ذي هَيْئَةٍ مِنَ السُّوقَةِ أليفٌ وَأنِيسٌ قَدْ عَرَفَ رُوحَهُ واطَّلَعَ عَلى قَلْبِهِ. فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ مَؤونَةٌ[١] في تَبَذُّلٍ يَتَبَذَّلُهُ[٢] عِنْدَهُ، أوْ رَأيٍ يَسْتَبِينُ مِنْهُ، أوْ سِرٍّ يُفْشِيهِ إلَيْهِ. غيرَ أنّ تِلْكَ الأنَسَةَ[٣] وذلكَ الإلْفَ يَسْتَخْرِجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما ما لَمْ يكُنْ لِيَظْهَرَ مِنْهُ عِنْدَ الانْقِباضِ والتّشَدُّدِ. ولَو التَمَسَ مُلْتَمِسٌ مِثْلَ ذلكَ عِندَ مَن يسْتأنِفُ مُلاطفتَهُ ومُؤانستَهُ ومُناسَمَتَه[٤]، وإنْ كانَ ذا فَضْلٍ في الرّأي وبَسْطَةٍ في العِلْمِ، لمْ يجِدْ عِنْدَهُ مِثْلَ ما هوَ مُنْتَفِعٌ بِهِ مِمّنْ هو دونَ ذلكَ في الرّأيِ ممّنْ قدْ كُفِيَ مُؤانَسَتَهُ وَوَقَعَ[٥] على طِباعِهِ.

لأنّ الأنَسَةَ رَوْحٌ[٦] للقُلوبِ، وأنَّ الوَحْشَةَ رَوْعٌ[٧] عَلَيْها. ولا يَلْتاطُ[٨]

---

(١) مَؤُونَةٌ: من فعل مَأَن. والجمع مأَنَاتٌ ومُؤُونٌ. والمؤونة: هي مَفْعُلَةٌ من الأَيْن وهو التعب والشِّدَّة وقيل: من الأَوْن وهو الخُرْج والعِدْلُ لأنه ثِقْلٌ علىٰ الإنسان. والمقصود المعنى الأول وتمامه أنَّه عظيم التَّعب في الإنفاق على من يَعُول.

(٢) يَتَبَذَّلُه: من فعل بَذَلَ. ابتذل: امتهنه، والتَّبَذُّل: ترك التصاون، والمِبْذَل: الثوب الخَلَق، والمُتَبَذِّلُ: لابسه. والمُبْتَذِل من الرجال: الذي يلي العمل بنفسه.

(٣) الأَنَسة: من فعل أَنَسَ. الأنس: تقول رأيت بمكان كذا أَنَساً كثيراً أي ناساً كثيراً. والأَنَس بالتحريك: خلاف الوَحْشَةِ. والأَنَسُ أيضاً: الحيُّ المقيمون.

(٤) مناسمته: من فعل نَسَمَ والنسيم: الريح الطيبة، وكنى عنها الأديب هنا بالسرور والمسَّرة والانشراح. ونَاسَمَ مُنَاسَمَةً المرء: قاربه لسروره ومسرته به.

(٥) وَقَعَ على طِبَاعِهِ: ماثله ووافقه في طباع مثيله على قدرٍ ومنزلة كريمة.

(٦) الرَّوْحُ: من فعل رَوَحَ والرَّوْحُ: الاسْتِرَاحَة من غمِّ القلب، وقيل: الرَّوْح: الفَرَحُ.

(٧) رَوْعٌ: من فعل رَوَعَ. والرَّوْعُ: الفَزَعُ، والرُّوْعَةُ: الفَزْعة. ومنه حديث الدعاء: «اللَّهم آمِنْ رَوعاتي». هي جمع رَوْعة وهي المرة الواحدة من الرَّوع الفَزَعِ، وأفْرَخَ رَوْعُه: أي ذهب فَزَعَه وانكشف وسَكَنَ.

(٨) يَلْتاطُ: من فعل لَطَطَ. ولَطَّ الشيءَ: أَلْزَقَه. واللَّطُّ: السَّتْر. ولَطَطْتُ الشيء: سَترتُه وأخْفَيْتُه. ولَطَّ عليه الخَبَرَ: لَواه وكَتَمه.

بالقُلوبِ إلاّ ما لاَنَ عَلَيْها. ومَنِ اسْتَقْبَلَ الأُنْسَ بالوَحْشَةِ اسْتَقْبَلَ أمْراً ذا مؤونَةٍ.

فإذا كَلّفَتْكَ نَفْسُكَ السُّمُوَّ إلى مَنْـزِلَةِ مَنْ وَصَفْتُ لـكَ، فاقْـدَعْها[1] عَنْ ذلـكَ بمَعْرِفَةِ فَضْلِ الأليفِ والأنِيسِ، وَإذَا حَدَّثَتْـكَ نَفْسُكَ أوْ غَيْـرُكَ، ممّنْ لَعَلّهُ أنْ يكونَ عِنْدَهُ فَضْلٌ في مُرُوءةٍ، أنّكَ أوْلَى بـالمَنْزِلَـةِ عِنْدَ السّلطانِ مِنْ بَعضِ دُخَـلائِهِ وَثِقـاتِهِ فاذْكُرِ الّذي على السُّلْطانِ مِنْ حَقّ أليفِهِ وثِقَتِهِ وأنِيسِهِ في التّكْرِمَةِ والمَكَانَةِ والـرّأيِ، والذي يُعِينُهُ على ذلكَ مِنَ الرّأيِ أنّـهُ يَجِدُ عِنـدَهُ مِنَ الإلْفِ والأنْسِ ما لَيْسَ وَاجِـداً عِنْدَ غَيْرِهِ.

فَلْيَكُنْ هذا ممّا تَتَحَفّظُ فيهِ عَلى نَفْسِكَ وَتَعْرِف فِيهِ عُذْرَ السُّلْطانِ وَرَأيَهُ.

والرّأيُ لِنفهسكَ مثلُ ذلكَ، إنْ أرادَكَ مُريدٌ على الدّخُولِ دونَ أليفِكَ وأنِيسِكَ وَمَوْضِعِ ثِقَتِكَ وَسِرّكَ وجِدِّكَ وَهَزْلِكَ.

وَاعْلَمْ أنّهُ يَكادُ يَكونُ لِكُلّ رَجُلٍ غالِبَةُ حَديثٍ لا يَزَالُ يُحَدِّثُ بـهِ: إمّا عَنْ بَلَدٍ مِنَ البُلْدانِ أو ضَـرْبٍ من ضُرُوبِ العِلْمِ أو صِنْفٍ من صنـوفِ النـاسِ أوْ وَجْـهٍ مِنْ وُجوهِ الرَّأيِ. وعِنْدَمَا يُغْرَمُ[2] بِهِ الرّجُلُ من ذلـكَ يَبْدو مِنْـهُ السّخْفُ[3] ويُعْرَفُ مِنْـهُ الهَوَى، فاجْتَنِبْ ذلكَ في كلّ موْطِنٍ، ثمّ عِنْدَ السّلْطانِ خاصّةً.

احتمل ما خالفك من رأي السلطان

لا تَشْكُوَنّ إلى وُزَرَاء السّلطانِ ودُخَلائِهِ ما اطّلَعْتَ عَلَيْـهِ مِنْ رَأيٍ تَكْرَهُـهُ لَهُ.

---

(١) فـاقْدَعْهـا: من فعل قَـدَعَ. والقَدْعُ: الكَفُّ والمَنْـعُ. ومنه الحـديث: «اقْدَعُـوا هذه النُّفُـوسَ فإنّهـا طُلَعَةٌ». أي كُفُّوها عما تتطَلّعُ إليه من الشهوات.

(٢) يُغْـرَمُ: من فعل غَـرِمَ: والغَرامُ: الـلازم من العـذاب والشـرُّ الـدائم والبـلاءُ والحُبُّ والعُشْقُ مـا لا يستطاع أن يُتَفَصّى منه. وقد أُغْرِم بالشيء أي أُولِع به. وحَثه عليه.

(٣) السّخْفُ: من فعل سَخُفَ والسُّخْفُ والسَّخَفُ: دِقّة العقـل. ورجل سَخِيف العَقْـلِ بَيِّنُ السَّخْفِ، والسَّخْفُ: ضَعْفُ العقل خاصة.

فإنّكَ لا تَزِيدُ على أنْ تُفَطِّنَهُمْ لهواهُ[١] أنْ تُقرِّبَهُم مِنْهُ وَتُغْرِيَهُمْ بتَزْيينِ ذلكَ والمَيْلِ عَلَيْكَ مَعَهُ.

واعْلَمْ أنَّ الرَّجُلَ ذا الجاهِ عِندَ السُّلْطانِ والخاصّةِ لا مَحالَةَ أنْ يَرى منَ الوالي ما يُخالِفُهُ مِنَ الرّأيِ في النّاسِ والأمورِ. فإذا آثَرَ[٢] أنْ يَكْرَهَ كُلَّ ما خالَفَهُ أوْشَكَ أن يَمْتَعِضَ مِنَ الجَفْوَةِ[٣] يَرَاهَا في المجْلِسِ، أوِ النَّبْوَةِ[٤] في الحاجَةِ، أوِ الرّدِّ للرّأيِ، أوِ الإدْناءِ لمَنْ لا يَهْوَى إدْناءهُ، أوِ الإقْصاءِ لمَنْ يَكْرَهُ إقْصاءهُ.

فإذا وَقَعَتْ في قَلْبِهِ الكراهِيَةُ تَغَيّرَ لذلكَ وَجْهُهُ وَرَأيُهُ وكلامُهُ حتى يَبدوَ ذلكَ للسّلْطانِ وغَيْرِهِ، فيكونَ ذلك لِفَسادِ مَنْزِلَتِهِ ومُرُوءتِهِ سَبَباً وداعِياً.

فَذَلِّلْ نَفْسَكَ باحْتِمالِ ما خَالَفَكَ مِنْ رَأيِ السّلْطانِ، وقرِّرْها على أنَّ السّلْطانَ إنّما كانَ سُلْطاناً[٥] لِتَتّبِعَهُ في رَأيِهِ وهَوَاهُ وأمْرِهِ، ولا تُكلّفَهُ اتّباعَكَ وَتَغْضَبَ مِنْ خِلافِهِ إيّاكَ.

تصحيح النصيحة للسلطان

اعْلَمْ أنَّ السّلْطانَ يَقْبَلُ منَ الوُزَرَاء التَّبْخِيلَ[٦] ويَعُدّهُ مِنْهُمْ شَفَقَةً وَنَظَراً لَهُ،

---

(١) لهواه من فعل هَوَى؛ والهَوى مقصور هَوَى النَّفْس، هَوَى النَّفْس: إرادتها والجمع الأَهْواء. وقيل: الهَوَى محبةُ الإنسانِ الشيءِ وغَلَبَتُه على قلبه ومنه قوله تعالى: ﴿ونَهَى النَّفْسَ عن الهَوَى﴾ معناه نَهاهَا عَن شَهَواتِها، وما تَدعو إلي من معاصي الله عزّ وجلّ.

(٢) آثَرَ: من فعل أثر. وآثر: اختار لنفسه دونهم أحسن الأشياء وأفضلها، وآثره: اخْتَارَهُ وَفَضَّلَهُ، والأثرة: اختصاص المرء نفسُه بأحسنِ شيء دون غيره.

(٣) يمتعِضُ من الجَفوة: من فعل جفا. والجَفْوة: أَلْزَم في تَرْكِ الصِّلة من الجفاء: ويمتعض من فعل مَعِضْ ومَعِض من ذلك الأمرِ يمعض وامتعض منه: غَضِبَ وشَقَّ عليه وأَوْجَعَهُ.

(٤) النَّبْوَةُ: من فعل نَبَا. ونَبَا عنه بصره أي تَجافَى ولم ينظر إليه. كأنّه حَقَرَهم ولم يَرْفَع بهم رأساً، ونَبَا به مَنْزِله: لم يوافِقْه. ونَبا فلان عن فلان: لم ينقدْ له. وهو المقصود.

(٥) سلطاناً: الحجة، ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق ولِتَتَّبعَهُ في رأيه وهواه وأمره.

(٦) التَّبْخِيْل: من فعل بَخَل والجمع بُخَّال وبخيل والجمع بخلاء: ضِدّ الكرم وبَخَّله: رماه بالبُخل =

وَيَحْمَدُهُمْ عَلَيْهِ، فإن كان جَوَاداً وكُنْتَ مُبَخِّلاً، شِنْتَ[1] صاحِبَكَ بِفَسادِ مُرُوءتِهِ، وإن كُنْتَ مُسخياً، لم تأمَنْ إضْرارَ ذلك بمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ.

فالرّأيُ لكَ تصْحِيحُ النّصِيحةِ على وَجْهِهَا، والتِماسُ المَخلَص مِنَ العَيْب واللائمةِ في ما تَتْرُكُ مِن تَبْخِيلِ صاحِبِكَ بألاّ يَعرِفَ مِنْكَ في ما تَدعوهُ إلَيْهِ مَيْلاً إلى شيءٍ مِن هَوَاكَ ولا طَلَباً لِغَيْرِ ما تَرجو أنْ يَزينَهُ ويَنْفَعَهُ.

الطاعة للملوك

لا تَكونَنَّ صُحْبَتُكَ للمُلوكِ إلاّ بَعْدَ رِياضَةٍ[2] مِنْكَ لِنَفْسِكَ على طاعَتِهِمْ في المَكْرُوهِ عِندَكَ، ومُوَافَقَتِهِمْ في ما خالَفَكَ، وَتَقْدِيرِ الأمورِ على أهْوَائِهِمْ دونَ هَوَاكَ، وعلى ألاّ تَكْتُمَهُمْ سِرَّكَ ولا تَسْتَطْلِعَ ما كَتموكَ، وتُخفيَ ما أطْلعوكَ عليْهِ على النّاسِ كلِّهِمْ حتى تحميَ نَفْسَكَ الحديثَ بِهِ، وعلى اجْتِهَادِ في رِضاهُمْ، والتلَطّفِ لحاجَتِهِم، والتّثْبِيتِ لحُجّتِهِمْ، والتّصْديقِ لمَقالَتِهِمْ، والتّزْيينِ لِرَأيِهِمْ، وعلى قِلّةِ الاسْتِقْباحِ لما فَعَلوا إذا أساؤوا، وتَرْكِ الانْتِحَالِ لِمَا فَعَلوا إذا أحْسَنوا، وكَثْرَةِ النَّشْرِ لمَحاسِنِهِمْ، وَحُسْنِ السَّتْرِ لمَساوِئِهِمْ، والمُقارَبَةِ لمَنْ قارَبوا وإن كانوا بُعَداءَ، والمُباعَدَةِ لمَنْ باعَدوا وإنْ كانوا أقْرِباءَ، والاهْتِمَامِ بأمْرِهِمْ وإنْ لم يهْتَمّوا بِهِ، والحِفْظِ لهُمْ وإنْ ضَيّعوهُ، والذّكْرِ لهُمْ وإنْ نَسُوهُ، والتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ مِنْ مَؤونَتِكَ، والاحْتِمَالِ لهُمْ كلَّ مَؤونَةٍ، والرِّضَى مِنْهُمْ بالعَفْوِ، وقِلّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لهُمْ إلاّ بالاجْتِهادِ.

وَإنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وعَنْ صُحْبَتِهِمْ غِنًى، فَأغْنِ عَنْ ذلِكَ نَفْسَكَ واعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ فإنّهُ مَنْ يَأخُذْ عَمَلَهُمْ بحَقّهِ، يُحَلْ[3] بَيْنَهُ وبَيْنَ لَذّةِ الدّنْيا وعَمَلِ الآخِرَةِ. ومَنْ لا

= ونسبه إليه، والتَّبْخِيل: التحبب والترغب في البخل.

(١) شنت: من فعل شين، والشَّيْنُ: معروف خلاف الزَّيْن. قيل: وجه فلان شَيْنٌ. أي قبيح ذو شَيْنٍ. والجمع مَشاين: المعايب والمقابح.

(٢) رياضة: من فعل رَوَضَ. ورَاضَ الدابَّة يَرُوضُها روضاً ورياضة: وطئأها وزادها وذلّلها. ورُضْت: ذلّلت لأنه أقام الإذْلالَ مقام الرياضة، ورُضْتُ المُهْرَ رياضة: فهو مَرُوضٌ.

(٣) يُحَلّ: من فعل حلل، وحَلَّ: إذا سُكِن وحلَّ: إذا عَدا. وأحَلَّ الرجلُ بنفسه: إذا استوجب =

يَأخُذْ بحَقّهِ، يحتَمِلِ الفَضِيحَةَ في الدّنْيَا والوِزْرَ[1] في الآخِرَةِ.

إنّـكَ لاَ تَأمَنُ أنفَـةَ المُلوكِ إنْ أعْلَمْتَهُمْ، ولا تَـأمَنُ عُقـوبَتَهُمْ إن كَتَمْتَهُمْ، ولا تَـأمَنُ غَضْبَتَهُمْ إن صَدَقْتَهُمْ، ولا تَـأمَنُ سَلْوَتَهُمْ إنْ حَـدّثْتَهُمْ. وإنّـكَ إنْ لَـزِمْتَهُمْ لَمْ تَأمَنْ تَبَرُّمَهُمْ[2] بِكَ، وإنْ زَايَلْتَهُمْ لَمْ تَأمَنْ عِقـابَهُمْ، وإنْ تَسْتَأمِـرْهُمْ حَمَلْتَ المَؤونَةَ عَلَيْهِمْ، وإنْ قَـطَعْتَ الأمْرَ دونَهُمْ لَمْ تَـأمَنْ فِيهِ مُخـالفَتَهُمْ. إنّهُمْ إنْ سَخِـطوا عَليْـكَ أهْلَكوكَ. وإن رَضُوا عَنْكَ تَكَلّفْتَ مِنْ رِضاهُمْ ما لا تُطِيقُ.

فـإنْ كنْتَ حافِـظاً إنْ بَلَوْكَ، جَلْداً[3] إنْ قَرَّبـوكَ، أمِينـاً إن ائتَمَنـوكَ: تُعَلّمُهُمْ وأنْتَ تُـرِيهِمْ أنّـكَ تَتَعَلّمُ مِنْهُمْ، وتُؤدّبهمْ وكـأنّهمْ يُؤَدّبـونَـكَ: تَشْكُـرُهُمْ ولا تُكَلّفُهُمْ الشّكْرَ، بصيراً بـأهْوائِهِمْ مُؤثِـراً لمنافِعِهِمْ، ذَلِيـلاً إنْ ظَلَموكَ، راضِيـاً إن أسخطوك، وإلّا فالبُعْدَ مِنْهُمْ كُلَّ البُعْدِ، والحَذَرَ مِنْهُمْ كلَّ الحَذَرِ.

تَحَرَّزْ مِنْ سُكْرِ[4] السّلْطانِ وسُكْرِ المالِ وسُكْـرِ العِلْمِ وسُكْرِ المَنْـزِلَةِ وسُكْـرِ الشّبابِ، فإنّهُ لَيْسَ من هذا شيءٌ إلّا وهُوَ ريحُ جِنّةٍ[5] تَسْلُبُ العَقْلَ وتَـذْهَبُ بالـوَقارِ

= العقوبة، وحَلَّ عليه حَقّي يحِلُّ: نزل، ويحل بينه وبين الأمر: يَنْزِلُ مفرقاً.

(١) الوِزْر: من فعل وَزَرَ. والوِزْرُ: الحِمْلُ الثقيل وجمعه أَوْزَارٌ. وقيل: الإثم والكارَةُ والـذنب والثقل. ويقال: وَزَرَ يَزِرُ: إذا حمل ما يُثْقِلُ ظَهرَه من الأشياء المُثْقِلَة ومن الذنوب.

(٢) تَبَرُّمَهُم: من فعل بَرَمَ. والبَرَمُ مصدر بَرِمَ بالأمر بَرَماً: إذا سَئِمَهُ فهو بَرِمٌ ضَجِر، وقـد أَبْرَمَـهُ أي أَمَلَّه وأضْجَرَه. ومنه في حديث الدعاء: «السَّلاَمُ عليكَ غيرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً». من يَبْرِمُ بَرَماً بـالفتح إذا سَئِمَـه ومَلَّه.

(٣) جَلْداً: من فعـل جَلَدَ. والجلْدُ والجَلَد: المَسْـكُ وقـد كنى هنـا بـه عن الصبـر والقـوة والشـدة والصلابة. ومنه في الحديث: «كان أَخْوَفَ جَلْداً» أي صبراً وقوة.

(٤) سُكْر: من فعل سَكَرَ. والسُّكْرُ: نقيض الصحو والوعي. وأهم أنواع السُّكْرُ ثـلاثة: سُكْـرُ الشبابِ، وسُكْـرُ المالِ، وسُكْـرُ السُّلْطان، لأن سُكْرُ كـل منها يصـرف الإنسان ويُضِلّه عن البصـر والبصيـرة والعقل عن طريق النور إلى الظلمات أي عن الهدى إلى الضلال.

(٥) جِنّـة: من فعل جَنَنَ. والجِنُّ: نـوعٌ من العالم سمُّـوا بذلـك لاجتِنـابِهم عن الأبصـار فـلا يُـرَوْن. والجمع جِنانٌ وهم الجِنَّة. ومنه قوله تعالى: ﴿من الجِنَّةِ والنَّـاسِ أجْمَعِين﴾ والواحـد جِنِّيٌّ سميت بذلك لأنها تُخفى ولا تُرى. وأجنَّه اللّهُ فهو مجنون.

وَتَصْرِفُ[1] القَلْبَ والسَّمْعَ والبَصَرَ واللّسانَ إلى غَيرِ المَنافِعِ .

(١) نقول صَرَفَ الله قلوبَهم: أي أضلهم والمقصود أنَّ هذا السُّكْرُ يُصرف ويُضلّ البصر والبصيرة والعقل والنُّطق المبين عن النّورِ إلى الظّلمات وعن الهدى إلى الضلال.

فـي الأصدقـاء

ابذل لصديقك دمك ومالك

ابْذُلْ لِصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ، ولمَعْـرِفَتِكَ[1] رِفْـدَكَ[2] ومحْضَركَ[3]، ولِلْعـامَّةِ بِشْرَكَ وتَحَنُّنَكَ، ولِعَدُوِّكَ عَدْلَـكَ وإنصَافَـكَ، واضْنَنْ[4] بِدينِـكَ وعِرْضِـكَ على كُلِّ أحَدٍ.

لا تنتحل رأي غيرك

إنْ سمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كـلاماً أوْ رَأيْتَ مِنْـهُ رَأياً يُعْجِبُكَ فَـلا تَنْتَحِلْهُ تَزَيُّنـاً بِهِ عِنْـدَ النَّـاسِ. واكْتَفِ منَ التَّـزَيّنِ بـأنْ تجْتَنِيَ الصَّـوَابَ إذا سَمِعْتَـهُ، وَتَنْسُبَـهُ إلى صَاحِبِهِ.

واعْلَمْ أنّ انْتِحالَكَ[5] ذلِكَ مَسْخَطَةٌ لِصَاحِبِكَ، وأنّ فِيهِ معَ ذلكَ عاراً وسُخْفاً. فإنْ بَلَغَ بِكَ ذلكَ أنْ تُشِيرَ بِرَأْيَ الرَّجُلِ وتَتَكَلَّمَ بِكلامِهِ وهوَ يَسْمَعُ جَمَعْتَ معَ

---

(١) لِمَعْرِفَتِك: من فعل عَرَفَ ومعرفتُك: أهل المعروف في الدنيا أي أحبَّ الناس إليك كـأصدقـائك. ومنه الحديث: «أهلُ المعروفِ في الدّنيا هم أَهْلُ المعروف في الآخرة».

(٢) رِفْدُك: من فعل رَفَدَ. والرِّفْـدُ بالكسـر: العطاء والصلة والـرَّفْدُ بـالفتح المصـدر، ورَفَدَه: أعـطاه، ورِفْدُك: عطاؤك ومن الحديثِ: «من اقتراب الساعة أنْ يكونَ الفَيءُ رِفْداً أي صلة وعطية».

(٣) مَحْضِـرَكَ: من فعل حَضَـر. والحضـــور نقيض الغيـاب والمغِيب. وكان ذلـك بمحضـرك منـه أي بمشْهَدِك منه. والحَضْرَةُ: قُرْبُ الشيء.

(٤) واضْنَن: من فعـل ضَنَنَ والضَّنُّ: الإمساكُ والبخـل. وَضِنِّي بديني: أي أختصّ بـه لنفسي لمكانـه منّي وموقعه عندي.

(٥) انتحالك: من فعل نَحَلَ ونَحَلْتُه القولَ أنْحَلُه نحلاً: إذا أَضَفْتُ إليه قولاً قاله غيره وأدعيته عليه.

الظُّلْمِ قِلَّةَ الحَيَاء. وهذا مِن سوء الأَدَبِ الفاشي في النَّاس.

وَمِنْ تَمامِ حُسْنِ الخُلُقِ والأدَبِ في هذا البابِ أنْ تَسْخُوَ نفسُكَ لأخِيكَ بما انْتَحَلَ مِنْ كلامِكَ وَرَأيِكَ، وتَنْسُبَ إليْهِ رَأيَهُ وكَلامَهُ، وتُزَيِّنَهُ مَعَ ذلكَ ما اسْتَطَعْتَ.

تمام إصابة الرأي والقول

لا يَكونَنَّ منْ خُلُقِكَ أنْ تَبْتَدِيء حديثاً ثمّ تَقْطَعَهُ وَتَقولَ: «سَوْفَ» كأنّكَ رَوّأتَ[1] فِيهِ بَعْدَ ابْتِدائِكَ إيّاه. وليَكُنْ تَرَوِّيكَ فِيهِ قَبْلَ التَّفَوّهِ بِهِ. فإنّ احْتِجانَ[2] الحديثِ بعْدَ افْتِتاحِهِ سُخْفٌ وَغَمّ.

اخْزُنْ عَقْلَكَ وكلامَكَ إلاّ عِنْدَ إصَابَةِ المَوْضِعِ. فإنَّهُ لَيْسَ في كلّ حِينٍ يحْسُنُ كُلُّ صَوَابٍ. وإنما تمامُ إصابَةِ الرَّأيِ والقَوْلِ بإصابَةِ المَوْضِعِ. فإنْ أخْطَأكَ ذَلِكَ أدْخَلْتَ المِحْنَةَ[3] على عَقْلِكَ وَقَوْلِكَ حتى تأتيَ بهِ إنْ أتَيْتَ بِهِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ وهُوَ لا بهاء ولا طَلاوَةَ لَهُ.

وَلْيَعْرِفِ العُلماءُ حِينَ تُجالِسُهُمْ أنّكَ على أنْ تَسْمَعَ أحْرَصُ مِنْكَ على أنْ تَقولَ.

لا تخلط الجد بالهزل

إنْ آثَرْتَ أنّه تُفاخِرَ أحَداً مِمّنْ تَسْتَأنِسُ إلَيْهِ في لَهْوِ الحَدِيثِ فاجْعَلْ غايَةَ ذلكَ الجِدَّ، ولا تَعْتَدْ[4] أنْ تَتَكَلّمَ فِيهِ بما كان هَزْلاً، فإذا بَلَغَهُ أوْ قَارَبَهُ فَدَعْهُ.

---

(١) رَوّأتَ: من فعل رأي والرُّؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب وقيل: على رِيَّتِكَ أي رُؤْيَتِكَ وفيه ضَعَةٌ وحقيقتها أنه أراد رُؤْيَتك. والمقصود أنه نظر في الأمر وتَدَبَّره وتَعَقَّله دون أنْ يحررَ جواباً سريعاً.

(٢) احْتِجان من فعل حَجَنَ. والاحْتِجانُ: جَمْعُ الشيء وضَمُّه إليك واحْتَجَن الشيء: احْتَوَى عليه. وقيل: واحْتَجَنّاه دون غيرنا: حَجَرنا، واحْتَجَنْتُ الشيء: إذا جَذَبْتَه بالمِحْجَنِ إلى نَفْسِك.

(٣) المِحْنَةُ: من فعل مَحَنَ. والمِحْنَةُ: واحدة المِحَنِ التي يمتحن بها الإنسان من بلية نستجير بكرم الله منها. والمُمْتَحَنُ: المُوَطَّأُ المُذَلَّلُ.

(٤) يَعْتَد: من فعل عَوَد. وعَوَّد الشيءَ: جعله يعتاده. والمُعاوِدُ: المُواظِبُ. ويقال للرجل المواظب على أمْرٍ: معاوِدٌ وفي كلام بعضهم: الزموا تَقى الله واستعِيدُوها أي تَعَوَّدُها.

ولا تَخْلِطَنّ بالجِدّ هَزْلاً، ولا بالهَزْلِ جِداً. فإنّكَ إنْ خَلَطْتَ بالجِدّ هَزْلاً هَجّنْتَهُ(١)، وَإنْ خَلَطْتَ بالهَزْلِ جِداً كَدَّرْتَهُ.

غَيرَ أنّي قَدْ عَلِمْتُ مَوْطِناً وَاحِداً إنْ قَدَرْتَ أنْ تَسْتَقْبِلَ فيه الجِدَّ بالهزْلِ أصَبْتَ الرّأيَ وَظَهَرْتَ(٢) على الأقرَانِ: وذلكَ أنْ يَتَورَّدَكَ(٣) مُتَورِّدٌ بالسَّفَهِ والغَضَبِ وسُوءِ اللَّفْظِ، فتُجِيبَه إجابَةَ الهازِلِ المُداعِبِ، برُحْبٍ مِنَ الذّرْعِ(٤)، وطَلاقَةٍ مِنَ الوَجْهِ وَثَبَاتٍ مِنَ المَنْطِقِ.

لا تتطاول على الأصحاب

إنْ رَأيْتَ صاحِبَكَ مَعَ عَدُوّكَ فلا يُغْضِبَنّكَ ذلكَ، فإنّما هُوَ أحَدُ رَجُلَينِ:

إنْ كانَ رَجُلاً من إخوَانِ الثّقَةِ فأنْفَعُ مَوَاطِنِهِ لكَ أقْرَبُها مِنْ عَدُوّكَ لِشَرٍّ يَكُفّهُ عَنْكَ، أوْ لِعَوْرَةٍ(٥) يَسْتُرها مِنْكَ، أوْ غائبَةٍ يَطَّلِعُ عَلَيْها لكَ، فأمّا صَديقُكَ فما أغْناكَ أن يحضَرَهُ ذو ثِقَتِكَ.

وإنْ كان رَجُلاً من غَيرِ خاصَّةِ إخْوَانِكَ فبِأيّ حقٍّ تَقْطَعُهُ عنِ النّاسِ وتُكَلِّفُهُ ألاّ يُصاحِبَ ولا يُجالِسَ إلاّ مَنْ تَهوَى؟

---

(١) هَجَّنْتَه: من فعل هَجَنَ. والهُجْنَة من الكلام: ما يَلزم منه العيب. وتَهْجينُ الأمر: تقبيحُه.

(٢) ظَهَرْتَ: من فعل ظَهَرَ. وظَهَرَ به وعليه يَظْهَرُ: قوي. وبَعير ظَهيرٌ، بَيِّن الظاهرَة إذا كان شديداً قوياً. ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لم يظْهَروا على عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾.

(٣) يَتَوَرَّدُ: من فعل ورد. والوِرْدُ: الذي يُورَدُ. والوِرْدُ: اسم من وِرْدِ يوم الوِرْدِ. وَوَرَدَ عَليه: أشرَفَ دخله أو لم يدخله ورجل واردٌ من قوم وُرّاد وكل من أتى مكاناً منهلاً أو غيره فقد وَرَدَهُ ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ منكم إلاّ وَارِدُهَا﴾ أي يردونها مع الكفار ولا يَدْخُلها المسلمون.

(٤) يرحب من الذّرْع: من فعل ذرع. رحب الذّرْع أي واسعها. وواسعُ الذّرْع والذّراع أي الخُلُق. والذَّرع: الطاقةُ. وأصل الذّرْع إنما هو بَسْط اليد. وقيل: قَلّدوا أمْرَكم رَحْب الذِّراع أي واسِعَ القوة والقدرة والبطش.

(٥) العَوْرَةُ: من فعل عَوَرَ. والعَوْراء: الكلمة القبيحة أو الفعلة. والعَوْراء الكلمة التي تَهْوِي في غير عقل ولا رُشْد. والعَوَرُ: شَيْنٌ وقُبْحٌ. والعرب تقول للرَدِيء من كلّ شيء ومن كل تصرف يستحيا منه: أعور.

تَحَفَّظْ في مجْلِسِكَ وكلامِكَ مِنَ التّطاوُلِ على الأصْحَابِ، وطِبْ[١] نَفْسَاً عنْ كَثيرٍ مِمّا يَعْرِضُ لَكَ فِيهِ صَوَابُ القَوْلِ والرّأيِ، مُداراةً لِئلاّ يَظُنَّ أصْحَابُكَ أنّ دأبَكَ التّطاوُلُ عَلَيْهِمْ.

إذا أقْبَلَ إلَيْكَ مُقْبِلٌ بِوُدّهِ فَسَرّكَ ألاّ يُدْبِرَ عَنْكَ، فلا تُنْعِمِ الإقْبالَ عَلَيْهِ[٢] وَالتّفَتُّح[٣] لَهُ، فإنّ الإنْسانَ طُبِعَ على ضَرائِبِ[٤] لُؤمٍ. فمِنْ شَأنِهِ أنْ يَرْحَلَ عَمَنّ لَصِقَ بِهِ وَيَلْصَقَ بمَنْ رَحَلَ عَنْهُ إلاّ مَنْ حَفِظَ بِالأدَبِ نَفْسَهُ وكابَرَ طَبْعَهُ[٥].

فَتَحَفَّظْ مِنْ هذا فِيكَ وفي غَيْرِكَ.

ادّعاء العلم فضيحة

لا تُكْثِرَنّ ادّعاءَ العِلْمِ في كُلّ ما يَعْرِضُ بَيْنَكَ وبينَ أصْحَابِكَ فإنَّكَ مِنْ ذلكَ بينَ فَضِيحَتَينِ:

إمّا أنْ يُنازِعوكَ فيما ادّعَيْتَ فيُهْجَمَ مِنْكَ على الجَهالَةِ والصَّلَفِ[٦]، وإمّا ألا

---

(١) طِبْ نَفْساً: من فعل طَبَبَ فطِبَّ لنَفْسِكَ أي أبْدأْ أولاً بإصلاح نفسك وقيل: اعْمَلْ في هذا عَمَلَ من طَبَّ لمن حَبَّ. والطَّبُّ: الرِّفْقُ. والمقصود هنا إطمئنْ نَفْساً، فهنيئاً لك.

(٢) تنعم الإقبال عليه: من فعل نَعِمَ. والنُّعْم بالضم: خلافُ البُؤْس. ونَعُم الشيءُ نعومةً أي صار ناعماً ليناً. والتَّنَعُّم: الترفُّه، وقوله: تنعم الإقبال عليه: أي تفضل الهبات والعطايا بإغراء مبالغ فيه.

(٣) التفتح من فعل فَتَحَ. والفَتْحُ: النصر. وفي حديث الحديبية: أهو فَتْحٌ؟ أي نصر. واسْتَفْتَحْتُ الشيءَ؛ والاستفتاح: الاستنصار. ومنه قوله تعالى: ﴿إن تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءكم الفَتْحُ﴾ أي النصر.

(٤) ضرائب: من فعل ضرب، وضريبُ الشيء: مثلُه وشكلُه. والضريبة: الطبيعة والسَّجِيَّة، وهذه ضريبَتُه التي ضُرِب عليها أي طبع عليها وفطر، أي طُبِعَ. قيل: فلان كريم الضريبة أي حسن السَجِيَّة والطبيعة.

(٥) كابر: من فعل كَبُرَ. الكُبَر: الغالب. وقوله في الحديث: «لا تكابِرُوا الصلاةَ بمثلها من التسبيح في مقام واحد». كأنه أراد لا تغالبوها.

(٦) الصَّلفُ: من فعل صَلَفَ. والصَّلَفُ: مُجَاوَزَةُ القَدْر في الظَّرْف والبراعة والادِّعَاءُ فوق ذلك تكبُّراً. =

يُنازِعُوكَ ويُخلّوا في يَدَيْكَ ما ادَّعَيْتَ مِنَ الأمورِ، فينكشِفَ مِنْكَ التَّصَنُّعُ والمَعْجزَةُ.

واسْتَحْيِ الحَياءَ كلَّهُ مِنْ أنْ تُخْبِرَ صاحِبَكَ أنّكَ عالِمٌ وأنَّهُ جاهِلٌ: مُصرِّحـاً أوْ مُعَرِّضاً(١).

وإنِ اسْتَطَلْتَ على الأكْفاء فلا تَثِقَنّ مِنْهُمْ بالصَّفاء.

وإنْ آنَسْتَ منْ نَفْسِكَ فَضْلاً فَتَحرّجِ(٢) أنْ تَذْكُـرَهُ أوْ تُبديَـهُ. واعْلَمْ أنّ ظُهورَهُ مِنْكَ بِذلِكَ الوَجْهِ يُقَرِّرُ في قُلوبِ الناسِ مِنَ العَيْبِ أكْثرَ ممّا يُقَرِّرُ لكَ مِنَ الفَضْلِ.

وَاعْلَمْ أنّكَ إنْ صَبَرْتَ ولَمْ تَعْجَلْ ظَهَرَ ذَلكَ مِنْكَ بـالوَجْـهِ الجمِيلِ المَعْـرُوفِ عِندَ الناسِ.

وَلا يَخْفَيَنّ عَلَيْكَ أنّ حِرْصَ الرّجُلِ على إظْهارِ ما عِنْـدَهُ وَقِلّةَ وَقارِهِ في ذلـكَ بَابٌ مِنْ أبْوَابِ البُخْلِ وَاللّؤمِ.

وَأنّ مِنْ خَيرِ الأعْوَانِ(٣) على ذلكَ السّخاءَ والتّكَرّمَ.

وَإنْ أرَدْتَ أنْ تَلْبَسَ ثَوْبَ الوَقـارِ والجَمَالِ وتَتَحلّى بحِلْيَـةِ المَوَدّةِ عِنْـدَ العامَـةِ وتَسْلُكَ الجَدَدَ(٤) الذي لا خَبارَ(٥) فِيهِ ولا عثارَ(٦) فَكُنْ عالِماً كَجاهِلٍ وناطِقاً كَعَيِيّ.

= وقيل آفةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ: وهو الغُلُوّ في الظَّرْف والزيادةُ على المِقدار مع تكبّر.

(١) مُعَرِّضاً: من فعل عَرَضَ. والمعَرِّضُ: ما عُرِّضَ به ولم يُصَرَّح به وإعراض الكلام: التَّورِيةُ بالشيء عن الشيء.

(٢) فَتَحرَّج: من فعل حَرَجَ. والحِرْجُ والحَرَجُ: الإثْمُ. والمُتَحَرِّجُ: الكافُّ عن الإثم. ورجل مُتَحَرِّجٌ: مُتَأثِّمٌ يُلْقِي الحَرَج والحِنْث والحُوْب عن نفسه.

(٣) الأعْوَان: الواحد العَوْن: والعَوْنُ: الظهير على الأمر.

(٤) الجَدَدُ: من فعل جَوَدَ. والجَوَدُ: مـا استوى من الأرض وأصْحَـرَ والصحراء جَـدَدٌ والفضاء جَـدَدٌ لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة. وهي أجْداد الأرض. وقيل: كان لا يبالي أن يصلي في المكان الجَدَدِ أي المستوي من الأرض.

(٥) الخَبَارُ: من فعل خَبِرَ. والخَبَارُ: أرض رِخْوَةٌ تتعتع فيها الدَوابُّ قيل: دَفَعْنا في خبـارٍ من الأرض: أي سهلةٍ لينة. والخَبَارُ من الأرض ما لانَ واسترخى وكانت فيه جِحَرَةٌ وتَحَفّر.

(٦) عَثار: من فعل عثر. والعَثْرَةُ: الزلَّةُ. يقال: عثر به فرسُهُ فسقط. وتَعَثّر لسانُه: تَلَعْثَم. ولا حَليمَ إلا

فأمّا العِلْمُ فيُزَيِّنُكَ ويُرْشِدُكَ. وأمّا قِلّةُ ادّعائِهِ فتَنْفي عَنكَ الحَسَدَ. وأمّا المنطِقُ (إذا احْتَجْتَ إلَيْهِ) فيُبْلِغُكَ حاجَتَكَ. وأمّا الصَّمْتُ فيُكْسِبُكَ المَحبّةَ والوَقارَ.

وإذا رَأيْتَ رَجلاً يُحدِّثُ حديثاً قدْ علِمْتَهُ أوْ يُخْبِرُ خَبراً قَدْ سَمِعْتَهُ فلا تُشارِكْهُ فِيهِ ولا تَتَعَقَّبْهُ عَلَيْهِ، حِرْصاً على أن يعلمَ الناسُ أنّكَ قدْ عَلِمْتَهُ، فإنّ في ذلكَ خِفّةً(١) وسُحّاً وسُوءَ أدَبٍ وَسُخْفاً.

وَلْيَعْرِفْ إخْوانُكَ والعَامّةُ أنّكَ، إنِ اسْتَطَعْتَ، إلى أن تَفعَلَ ما لا تَقولُ أقْرَبُ مِنْكَ إلى أنْ تَقولَ ما لا تَفْعَلُ.

فإنَّ فَضْلَ القَوْلِ على الفِعْلِ(٢) عارٌ وهُجْنَة(٣)، وفَضْلَ الفِعْلِ على القَوْلِ زينَةٌ.

وأنْتَ حَقِيقٌ(٤) فيما وَعَدْتَ من نَفْسِكَ أوْ أخْبَرْتَ بِهِ صَاحِبَكَ أنْ تَحْتَجِن(٥)

= ذُو عَثْرةٍ، أي لا يحصل له الحِلم ويوصف به حتى يركب الأمور ويَعْثُر فيها فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيتجنبها.

(١) خِفّة: من فعل خَفَفَ. والخِفّة: ضِدُّ الثِّقَلِ ويكون في الجسم والعقل والعمل. وخفة الرَّجل: طَيْشُه وخِفّتُه في عَمله. يقال: أخَفَّني الشيء إذا أغْضَبَكَ حتى حملك على الطَّيْش.

(٢) فَضْلُ القول على الفِعْل، والفَضْل: ضدُّ النَّقْص. وفضَّله: مَزّاه. والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض. ويقال: فَضَلَ فلان على غيره إذا غلب بالفضل عليه وكان فعله أكبر من قوله أي زاد فعله على قوله.

(٣) هجنه من فعل هَجَنَ. والهجنة من الكلام: ما يَعيبُ. والجمع هُجُنٌ.

(٤) حَقِيقٌ: من فعل حَقَقَ. وأحْقَقْتُ الشيءَ أي أوجبته. وأنا حقيق على كذا أي حَريصٌ عليه، وحقيق عليّ أن لا أقول على الله إلاّ الحَقّ أي جدير بي. والجمع أُحقاق.

(٥) تَحْتَجِنُ: من فعل حَجَنَ. والحُجْنَةُ: ما اخْتَزَنْتَ من شيء واخْتَصَصْتَ به نفسك. ومن ذلك يقال للرجل إذا اختصّ بشيء لنفسه قد احْتَجَنَه لنفسه دون أصحابه. والاحْتِجانُ: جمعُ الشيء وضمّه إليك، واحتجن الشيء: احْتَوَى عليه.

بعضَ ما في نَفْسِكَ، إعْداداً لِفَضْلِ الفِعْلِ على القَوْلِ، وتَحَرّزاً[1] بِذلكَ عَنْ تَقصِيرِ فِعْلٍ إنْ قَصَّرَ. وقلّما يكونُ إلاّ مُقصّراً.

العدل نحو العدو والرضى نحو الصديق

احْفَظْ قوْلَ الحَكِيمِ الذي قالَ: لِتَكُنْ غايَتُكَ فِيما بَيْنَكَ وبينَ عَدُوّكَ العَدْلَ، وفِيما بَيْنَكَ وبَيْنَ صَديقِكَ الرّضَاءَ.

وَذلكَ أنّ العَدُوَّ خَصْمٌ تَصْرَعُهُ بالحُجّةِ وتَغْلبُهُ بالحُكّامِ، وَأنّ الصّدِيقَ لَيْسَ بينَكَ وبيْنَهُ قاضٍ، فإنّما حَكَمُهُ رِضَاهُ.

كيف تختار صديقك

اجْعَلْ غايةَ تَشَبُّثِكَ في مُؤاخاةِ مَن تُؤاخي ومُواصَلَةِ مَنْ تُواصِلُ تَوْطِينَ نَفْسِكَ على أنّهُ لاَ سَبيلَ لكَ إلى قطِيعَةِ أخِيكَ، وإنْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ مَا تَكْرَهُ، فإنّهُ لَيْسَ كالمَمْلوكِ تُعْتِقُهُ مَتى شِئْتَ أوْ كالمَرْأةِ التي تُطَلّقُها إذا شِئْتَ، ولكِنّهُ عِرْضُكَ وَمُرُوءتُكَ. فإنّما مُرُوءةُ الرّجُلِ إخْوانُهُ وأخْدانُهُ[2]. فإنْ عَثَرَ النّاسُ على أنّكَ قَطَعْتَ رَجُلاً مِنْ إخْوَانِكَ، وَإنْ كُنْتَ مُعْذِراً[3]، نَزَلَ ذلكَ عِنْدَ أكْثرِهِمْ بمَنْزِلَةِ الخِيانَةِ للإخاء والمَلالِ فِيهِ. وإنْ أنْتَ معَ ذلكَ تَصَبّرْتَ على مُقارّتِهِ[4] على غَيرِ الرّضَى عادَ ذلكَ إلى العَيْبِ والنّقِيصَةِ.

---

(١) تحرزاً: من فعل حرز. والحرز: الموضع الحصين. تحرزاً: تَحَصُّناً. وأحرزت الشيء إحرازاً إذا حفظته وضممته إليك وصُنْتُه عن الأخذ.

(٢) أخْدانُهُ: من فعل خَدَنَ، والخِدْنُ والخَدِين: الصديق وقيل: الصاحب المحدِّث والجمع أخْدانٌ والخَدِينُ: الذي يُحادِثُك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن. وخادَنْتُ الرَّجل: صاحَبْتُه.

(٣) مُعْذِراً: من فعل عَذَر. والعُذر: الحجة التي يُعْتَذَر بها. والجمع أعذارٌ. ولي في هذا الأمر عُذْرٌ. والمُعْتَذَر يكون محقاً أو غير مُحِقّ. واعْتَذَرَ الرجل إذا أتى بعُذْرٍ. واعْتَذَرَ إذا لم يأت بعُذر.

(٤) مُقارّتُه: من فعل قرر. والقرارة: ما بقي من مصادقته مع الخدين. وكذلك قَرَرْتُ أي لما سكنتُ. وقارَّهُ مُقارَّة أي قَرَّ معه وسَكَنَ. وقررت عنده الخبر حتى اسْتَقَرّ. والمقصود إقرار الإنسان على الصديق وبقاؤه معه والوثوق به.

فالاتّئادَ الاتّئادَ(١)! والتَّثبّتَ التَّثبّتَ(٢).

وإذا نَظَرْتَ في حالِ مَنْ تَرْتئيهِ لإخائِكَ، فإن كان مِنْ إخوانِ الدِّين فَلْيَكُنْ فَقيهاً غَيْرَ مُرَاءٍ(٣) ولا حَرِيصٍ، وإن كان مِنْ إخوَانِ الدّنْيا فَلْيَكُنْ حُرّاً لَيْسَ بجاهِلٍ ولا كَذَّابٍ ولا شِرّيرٍ ولا مَشْنُوعٍ(٤).

فإنَّ الجاهِلَ أهْلٌ أنْ يهْرُبَ مِنْهُ أبَوَاهُ، وإنّ الكَذّابَ لا يكونُ أخاً صادِقاً. لأنّ الكَذِبَ الذي يجري على لِسانِهِ إنّما هُوَ مِنْ فُضُولِ كَذِبِ قَلْبِهِ، وإنّما سُمّيَ الصَّديقُ من الصّدقِ. وقَدْ يُتَّهَمُ صِدْقُ القَلْبِ وَإنْ صَدَقَ اللّسانُ. فكيْفَ إذا ظَهَرَ الكَذِبُ على اللّسانِ؟ وإنّ الشِّرِّيرَ يُكْسِبُكَ العَدُوَّ. ولا حاجَةَ لَكَ في صَداقَةٍ تجلِبُ العداوَةَ. وإنّ المَشْنوعَ شَائِعٌ صاحِبَهُ.

واعْلَمْ أنّ انْقِبَاضَكَ عنِ النّاسِ يُكْسِبُكَ العدَاوَةَ. وَأنّ انْبِساطَكَ إلَيْهِمْ يُكْسِبُكَ صَديقَ السّوء. وسوءُ الأصْدقاءِ أضَرُّ منْ بُغْضِ الأعْداء. فإنّكَ إنْ وَاصَلْتَ صَديقَ السّوء أعْيَتْكَ(٥) جرَائِرُهُ(٦)، وإنْ قَطَعْتَهُ شانَكَ اسْمُ القَطِيعَةِ، وألْزَمَكَ ذلكَ مَنْ يَرْفَعُ

---

(١) الإتئاد: من فعل أود. والأصل فيها الوأد. وآد عليه: عَطَفَ وفي التؤدة بمعنى التأني..

(٢) التَّثَبُّتُ: من فعل ثبت. وتَثَبَّتَ في الأمر والرّأي: تَأنّى فيه ولم يَعْجَل واسْتَثْبَتَ في الأمر إذا شاور وفحص عنه، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَثَلُ الَّذين يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾.

(٣) مُراء: من فعل مرا. ومراه حَقَّه أي جَحَده. وماريت الرّجل أماريه مِراءً إذا جادلته، والمِرْية المُرْية: الجَدَل والشَّك ومنه قوله تعالى: ﴿فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾.

(٤) مَشْنُوعٌ: من فعل شنع. والشَّنَاعَةُ: الفظاعة. شَنُعَ الأمر أو الشيء: قبح. وشَنِعَ بالأمر: رآه شَنِيعاً، وتَشَنَّعَ القومُ: قبح أمْرُهم باختِلافِهم واضطِرابِ رأيِهم. والمَشْنُوعُ: من قُبْحِ الشيءِ الذي يُسْتَشْنَعُ قُبْحُهُ. فهو شَنِيعٌ. والشانع الذي يأتي بالأمر الفاضح القبيح السئم.

(٥) أعيتك: من فعل عيا. عَيَّ بالأمر: عجز عنه. وجمعه أعياء. أعْيَاني هذا الأمر أن أضْبِطَهُ أي جَهِلْتُه، وعَيِيَ في المنطِق عِيّاً: حَصِرَ. العِيُّ خلافُ البيان. وقيل: عَيَّ بأمْرِهِ وعَيِيَ إذا لم يَهْتَدِ لوجهِهِ.

(٦) جرائره: الواحدة جريرة. والجريرة: الجناية من فعل جني. وجنى الذَّنْبَ عليه جناية: جَرَّه. والجناية: الذَّنْبُ والجُرْم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا=

عيبَكَ ولا يَنْشُرُ عُذْرَكَ. فإنّ المَعايِبَ تَنْمي والمَعَاذيرَ لا تَنْمي[١].

لباس انقباض ولباس انبساط

الْبَسْ للنّاسِ لِباسَيْنِ لَيْسَ للعاقِلِ بُدٌّ منهُما، ولا عَيْشَ ولا مُرُوءةَ إلاّ بِهِما:

لِباسَ انْقِباضٍ[٢] واحْتِجَازٍ منَ النّاسِ، تَلْبَسُهُ للعامَّةِ فلا يَلقَوْنَكَ إلاّ مُتَحَفِّظاً مُتشدِّداً مُتَحَرِّزاً مُسْتَعِدّاً.

وَلِبَاسَ انْبِساطٍ[٣] واسْتِئْناسٍ، تَلْبَسُهُ للخاصّةِ الثِّقَاتِ مِنْ أصدقائِكَ فَتَلْقاهُمْ بِذاتِ صَدْرِكَ وتُفْضي إليْهِمْ بمَصُونِ حديثِكَ وَتَضَعُ عَنْكَ مَؤونَةَ الحَذَرِ والتّحَفّظِ في ما بيْنَكَ وبيْنَهُمْ.

وأهْلُ هذِهِ الطَّبَقَةِ، الذينَ هُمْ أهْلُها، قَليلٌ من قَليلٍ حقّاً. لأنّ ذا الرّأيِ لا يُدْخِلُ أحَداً منْ نَفْسِهِ هذا المَدْخَلَ إلاّ بَعْدَ الاخْتِبارِ والتّكَشُّفِ[٤] والثّقَةِ بصِدْقِ النّصِيحةِ وَوَفاءِ العَهْدِ.

= والآخرة. وجَنَى فلانٌ على نفسه إذا جرَّ جَريرةً يَجْني جنايةً على قومه.

(١) تَنْمي: من فعل نَمَى. والنَّماءُ: الزيادة. وأنْمَيْتُ الشيءَ: جعلته نامياً. وأنْمَيْتُ الحديثَ: أذعته على وجه النميمة والإشاعة. فالمعايب تَنْمى على وجه النميمة والمحاسن تَنْمي على وجه الإصلاح.

(٢) الإنقباض: من فعل قبض. والإنقباض: خلاف الانبساط والاحتشام على التشبيه والمجاز والمقصود تدبر الأمر بَتحفُّظٍ وتَحَرُّزٍ واسْتِعْداد.

(٣) لِبَاسُ انْبساط: من فعل بَسَط. والرجل البَسيطُ المُنْبَسِط اللسان. والمقصود ليكن وجْهُك بِسْطاً تكن أحَبَّ إلى الناسِ ممن يُعْطِيهم العطاء أي مُتَبسطاً منطلقاً ومستئنساً.

(٤) التَّكَشُّفُ: من فعل كَشَف. والكَشْفُ: رفْعُك الشيء عما يُواريه ويغطّيه وكذلك التَّكشُّف. وكشف الأمر: أظهره. وفي الحديث: «لو تَكاشَفْتُم ما تَدافَنْتُم» أي لو انكشف عَيبُ بعضكم لبعض. وعليه يدرك كل منهم ما بداخل الآخر وما في نفسه من خفايا وهذا لا يُستبان إلاّ لأهل الثقة وفاءً للعهد وصدقاً للنصيحة.

صُن لسانك

اعْلَمْ أنّ لِسَانَكَ أداةٌ مُصْلَتَةٌ[١]، يَتَغالَبُ عَلَيْهِ عَقْلُكَ وَغَضَبُكَ وهَوَاكَ وجَهْلُكَ. فكُلّ غالِبٍ عَلَيْـهِ مُسْتَمْتِعٌ بِـهِ وصَارِفُـهُ في مَحَبّتِهِ، فـإذا غَلَبَ عَقْلُكَ فهُوَ لـكَ، وإنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شيْءٌ مِنْ أشْبَاهِ ما سمَّيْتُ لَكَ فهُوَ لِعَدُوِّكَ.

فإنِ اسْتَطَعتَ أن تحْتَفِظَ بِـهِ وتصونَـهُ فلا يكـونَ إلاّ لكَ، ولا يَسْتَـوْلِيَ عَلَيْهِ أوْ يُشارِكَكَ فِيهِ عدُوُّكَ، فافْعَلْ.

مؤاساة[٢] الصديق

إذا نابت[٥] أخاكَ إحْدَى النّوائِبِ مِنْ زَوالِ نِعْمَـةٍ أوْ نُزُولِ بَلِيّـةٍ، فاعْلَمْ أنّـكَ قـدِ ابْتُلِيتَ مَعَهُ: إمّـا بالمُؤاسـاةِ فتُشَـارِكُـهُ في البَلِيّـةِ، وإمّـا بـالخِـذلانِ[٣] فَتَحْتَمِـلُ العارَ.

فالْتَمِسِ المَخْرَجَ عِنْدَ أشْباهِ ذلكَ، وَآثِرْ مُروءتَكَ على مَا سِوَاهَا.

فَإنْ نَزَلَتِ الجائحَةُ[٤] التي تَأبَى نَفْسُكَ مُشارَكَةَ أخِيكَ فيهَا فـأجْمِل[٥]، فَلَعَـلّ الإجْمالَ يَسَعُكَ[٦]، لِقِلّةِ الإجْمالِ في النّاسِ.

(١) مُصْلَتَةٌ: من فعل صَلَتَ. والصّلْتُ: البَارِزُ. واللسانُ المصَلَّتُ: المجرد والجمع أصلات وانْصَلَتَ في الأمر: انْجَرَدَ. وفي بعض الأقوال: كان سهل اللسان والخَدَّيْنِ صَلْتَها ولسـان صلت: أي ماض في الأمر ومسرع.

(٢) المؤاسـاة: على معنى التَّعَزِّي والتَّأَسِّي والصَّبْرُ. وهي التَّعزيـة من عَـزَّيْتُ. والاعتـزاء: الاتصـال بصاحب النائبة دعوة للتَّصبر والعزاء عن كل ما فَقَدَ.

(٣) الخِـذْلاَنُ: من فعل خَـذَلَ. والتخذيـل: حَمْلُ الـرجل على خُـذْلانِ صاحِبِـه وتَثْبيطُه عن نِصْـرَتـه. والخِذْلاَنُ: تركُ النصرة والعونِ. وخِذْلان الله العبدَ: أن لاَ يَعْصِمَه من الشُّبَه فيقع فيها.

(٤) الجـائحة: من فعـل جَنَحَ. وجَنَـحَ: مال. والجُنـاحُ: ما تُحْمَـلَ من الهَمِّ والأذَى وقيـل: الجُنـاح: الجناية والجُرْمُ والمقصود هنا المصيبة العظيمة التي تنزل بالإنسان فيتحمل عَارَها وبلاءَها.

(٥) أجمل: من فعل جَمَـلَ. وجَمُلَ الـرجلُ: فهـو جميل. وجَمَّلَهُ: زَيَّنَـهُ. يجوز أنْ يكـون أجمل فيـه بمعنى جَمِيل. وقيل: إلزم تَجَمُّلَك واصْنَعه، ولا تفْرِط ولا تتردد.

(٦) يَسَعُـكَ: من فعل سعى. والسَّعي: العمـل. وأصْـلُ السعي التصـرف في كـلِّ عمـل. والمقصـود تقديرك عمل الخير. ومنه قوله تعالى: ﴿لِتُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بما تسعى﴾.

وإذا أصابَ أخاكَ فَضْلٌ فإنَّهُ لَيْسَ في دُنُوِّكَ مِنْهُ وابْتِغائِكَ مَوَدَّتَـهُ وَتَوَاضُعِـكَ لَهُ مَذَلَّةٌ. فاغْتَنِمْ ذلكَ واعْمَلْ بِهِ.

إلى من تعتذر

لَا تَعْتَذِرَنَّ إلّا إلى مَنْ يُحِبّ أنْ يَجِدَ لَكَ عُذْراً، ولا تَسْتَعِينَنَّ إلّا بمنْ يُحُبُّ أنْ يُظْفِرَكَ بحاجَتِكَ، ولا تُحَدِّثَنَّ إلّا مَنْ يَرَى حَديثَكَ مَغْنَماً، ما لَمْ يَغْلِبْكَ اضْطِرَارٌ.

وَإذا اعْتَذَرَ إلَيْكَ مُعْتَـذِرٌ، فَتَلَقَّهُ بِـوَجْهٍ مُشْـرِقٍ وبِشْرٍ ولِسـانٍ طَلْقٍ إلاَّ أنْ يكونَ مِمَّنْ قَطِيعَتُهُ غَنِيمَةٌ[1].

إذا غَـرَسْتَ مِنَ المَعْرُوفِ غَـرْساً وأنْفَقْتَ عَلَيْـهِ نَفَقَةً فَـلا تَضِنَّـنَّ في تَرْبِيَـةِ ما غَرَسْتَ واستِنْمائِهِ، فَتَذهَبَ النَّفَقَةُ الأولى ضَيَاعاً.

إخوان الصدق

اعْلَمْ أنّ إخـوَانَ الصّـدقِ هُمْ خَيْـرُ مَكَـاسِبِ الـدّنْيـا، هُمْ زِينَـةٌ في الـرَّخـاء، وعُـدَّةٌ[2] في الشّدّةِ، ومَعُـونَـةٌ على خَيْـرِ المَعَـاشِ والمَعـادِ[3]. فـلا تُفَـرِّطَنَّ[4] في

(١) غَنِيمَةٌ: من فعل غَنَم. والغنيمة: هي ما أصيب من أموال. يقال: فلان يتغنم الأمر أي يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة. والجمع الغانمون والمقصود إنَّ البعد عن الأشرار والذين يحوكون الدسائس ضدك غنيمة.

(٢) عُدَّةٌ: من فعل عدد، والعِدّان: الزمان والعَهْدُ. قيل: وهو من العُدَّة كأنَّه أعِدَّ له وهُيِّيءَ. وأنا على عِدّان ذلك أي حينه وإبَّانِه. من الاستعداد الكامل إنْ من المال أو غيره لحوادث الدهر ونوائبه.

(٣) المَعَاشُ والمَعَادُ: المعاش من فعل عيش. قيل: الأرضُ مَعاشُ الخلق، والمعاش مَظِنَّة المعيشة. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا النهار مَعاشاً﴾. أي مُلْتَمَساً للعَيْشِ في الدنيا والمَعَادُ من فعل عَوَدَ. والمَعَادُ: المَصِيرُ والمَرْجَعُ والآخرة: مَعادُ الخلقِ وقيل: والمعاد الآخرة والحج ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى مَعادٍ﴾ وقيل المعاد: الآخرة وقيل: يوم البعث أي: إلى معدنك من الجنة.

(٤) تَفَـرِّطَنَّ في اكْتِسَابِهِمْ: من فعل فَرَطَ، فـرَّط، قصَّر. ومنه الحديث: «إنَّه نام عن العشاء حتى تَفَرَّطت». أي فات وقتُها قبل أدائها. وتفارط الغَزْوُ أي فات وقته.

اكْتِسَابِهِمْ وابْتِغاء الوُصُلاتِ[١] والأَسْبابِ[٢] إلَيْهِمْ.

وَاعْلَمْ أنّكَ وَاجِدٌ رَغْبَتَكَ مِنَ الإخاء عندَ أقْوَامٍ قَدْ حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم بعضُ الأُبَّهَةِ التي قَدْ تَعْتَري بعْضَ أهْلِ المُرُوءاتِ فَتَحْجِزُ عَنْهُمْ كثيراً مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي أمْثالِهِمْ. فإذا رَأَيْتَ أحَداً مِنْ أُولئِكَ قَدْ عَثَرَ الدّهْرُ فأَقِلْهُ[٣].

الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف

إذا كانتْ لكَ عِنْدَ أحَدٍ صَنِيعَةٌ أوْ كانَ لكَ عَلَيْهِ طَوْلٌ[٤] فالْتَمِسْ إحْياءَ ذلكَ بإماتَتِهِ، وتَعْظِيمَهُ بالتَّصْغِيرِ لَهُ. ولا تَقتصِرَنَّ في قِلّةِ المَن بِهِ على أنْ تَقولَ: لا أذكُرُهُ ولا أُصْغي بِسَمْعي إلى مَنْ يَذْكُرُهُ، فإنَّ هذا قَدْ يَسْتَحيي مِنْهُ بَعْضُ مَنْ لا يُوصَفُ بِعَقْلٍ ولا كَرَمٍ. ولكِنِ احْذَرْ أنْ يَكونَ في مجالَسَتِكَ إيّاهُ، وما تُكَلّمُهُ بِهِ، أوْ تَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِ، أوْ تُجاريه فيه، شيءٌ من الاسْتِطَالَة[٥]، فإنّ الاسْتِطَالَةَ تَهْدَمُ الصَّنِيعَةَ وتُكَدِّرُ المَعرُوفَ.

احترس من سورة الغضب

احْترِسْ مِنْ سَوْرَةِ[٦] الغَضَبِ وسَوْرَةِ الحَمِيّةِ وسَوْرَةِ الحِقْدِ وَسَوْرَةِ الجَهْلِ،

---

(١) الوُصُلاتُ: من فعل وصل. وصلتُ الشيءَ وصلاً والوَصلُ: ضِدُّ الهِجْران وخلاف الفَصْل، والواحدة الوصلة، والوصلة: الاتصال.

(٢) الأسْبابُ: من فعل سبب. والسَّبَبُ: كل شيء يُتَوَصَّلُ به إلى غيره والجمع أسباب وكل شيء يُتوصلُ به إلى الشيء فهو سَبَبٌ.

(٣) أقِلْه: من فعل قَلَلَ. واسْتَقلَّ الطائر في طيرانه: نهض للطيرانِ وارتفع في الهواء. ومنه قوله تعالى: ﴿حتّى إذا أقَلَّتْ سحاباً ثِقالاً﴾ ارتَفعَتْ. والمقصود هنا قُمْ وانهض إلى مساعدته ونصرته حتى ينتهي في عثرته.

(٤) طوْلٌ: من فعل طول. والطول الغِنَى والفضْل. يقال: إنّه لَيَتَطَوّل على الناس بفضله وخيره.

(٥) الاستطالة: من فعل طول. والطّول: الفضل، والمَنُّ. وقيل: التطاوُلُ والاسْتِطالة التَّفضُّل وَرَفْعُ النّفس.

(٦) سُوْرَة: من فعل سَوَرَ والسورة: سُورَة كل شيء حَدُّهُ. وقيل: السُّوْرَة: الرِّفْعَةُ وبها سميت السورة من القرآن أي رفعة وخير.

وأعْدِدْ لكُلّ شيْءٍ مِنْ ذلكَ عُدّة تُجاهِدُهُ بها مِنَ الحِلْمِ والتّفكّرِ والرّوِيّةِ وذِكْرِ العاقِبَـةِ وطَلَبِ الفَضِيلةِ.

واعْلَمْ أنّكَ لا تُصِيبُ الغَلَبَةَ إلاّ بالاجْتِهادِ والفَضْلِ، وأنّ قِلّةَ الإعْدادِ لمُـدافَعَةِ الطّبائِعِ المُتطلِّعَـةِ هُوَ الاسْتِسْـلامُ لها. فـإنّهُ لَيْسَ أحَـدٌ مِنَ النّاسِ إلاّ وفِيـهِ مِنْ كُلّ طَبِيعَةٍ سُوءُ غَريزَةٍ. وإنّما التّفاضُلُ بينَ النّاسِ في مُغالَبَةِ طَبائِعِ السّوء.

فأمّا أنْ يَسْلَمَ أحَدٌ مِنْ أن تكونَ فيهِ تِلكَ الغَرائِزُ فَلَيْسَ في ذلكَ مَطْمَعٌ. إلاّ أنّ الرّجُلَ القويَّ إذا كابَرَها بالقَمْعِ[1] لهـا كلّما تَـطَلّعَتْ لم يَلْبَثْ أن يُمِيتَها حتى كـأنّها لَيْسَتْ فِيهِ. وهي في ذلكَ كامِنَةٌ كُمـونَ النّارِ في العُـودِ، فإذا وَجَـدَتْ قادِحـاً[2] مِنْ عِلّةٍ، أوْ غَفْلَةً اسْتَـوْرَتْ[3] كما تُسْتَـوْرَى النّارُ عنْـدَ القَـدْحِ، ثمّ لا يَبْـدأُ ضَـرُّهـا إلاّ بِصَاحِبِها، كما تَبْدأُ النّارُ إلاّ بِعُودِهَا الذي كانتْ فِيهِ.

ذلّل نفسك على الصبر

ذَلّـلْ نَفْسَكَ بـالصَّبْرِ على جـارِ السّوء، وَعَشِيـرِ السّوء، وَجَلِيسِ السـوء. فإنّ ذلكَ ممّا لا يَكادُ يُخْطِئُكَ.

وَاعْلَمْ أنّ الصّبْرَ صَبْرَانِ: صَبْرُ المَرْءِ على مَا يَكْرَهُ، وصَبرُهُ عمّا يُحِبُّ.

والصَّبرُ على المَكرُوهِ أكبرُهُما وأشْبَهُهُما[4] أنْ يكونَ صاحِبُهُ مُضْطَرّاً.

وَاعْلَمْ أنّ اللئّامَ أصْبَرُ أجْساداً، وأنّ الكِرَامَ هُمْ أصْبَرُ نُفوساً.

---

(١) القَمْـعُ من فعل قَمَـعَ. والقَمْعُ: الـذُّلُّ والرّدع والكَّف. وقيـل القَمْعُ: أن تَقْمَـعَ آخَرَ بـالكـلام حتى تَتَصَاغَر إليه نَفْسُه. وقمعه: قَهَره.

(٢) قادحاً: من فعل قَدَحَ. والقَادِحُ والقَدَّاح: الحجر الذي يُقْدَحُ به النار وقيل: الحجر الّذي يُورى منه النار. والقَدْحُ: قَدْحُك بالزّند وبالقَدّاح لتُورِيَ ويقال للذي يُضْرَبُ فتخرج منه النّار قَدّاحة.

(٣) اسْتَوْرَتْ: من فعل وري. وَوَرَتِ النّارُ تري وَرْياً وريةً حسَنَـةً. ووَرِيَ الزَّنْـدُ يَرِي. ووَرِي الـزَّنْدُ: أتَّقَد. وقيل: هو أوْرَاهُم زنداً: يضرب مثلاً لنجاحه وظفره.

(٤) أشْبَهُهُما: من فعل شَبَه. والشِّبْهُ والشَّبَـهُ: المِـثْلُ. والجمـع أشباهٌ، واشْبَـه الشيءُ الشيءَ: ماثله. ومنه في التنزيل العزيز: ﴿مُشْتَبِهاً وغَيْرَ متشابه﴾ فالمتشابِهاتُ المُتَماثِلاتُ.

وليْسَ الصَّبرُ المَمْدوحُ بأَنْ يكونَ جِلْدُ الرَّجُلِ وَقاحاً[1] على الضَرْبِ، أو رِجْلُهُ قَوِيَّةً على المَشْيِ، أوْ يَدُهُ قَوِيّةً على العَمَلِ. فإنّما هذا منْ صِفاتِ الحمِيرِ.

وَلكِنَّ الصَّبْرَ المَمدوحَ أنْ يكونَ للنَّفْسِ غَلُوباً[2]، ولِلأمورِ مُحْتَمِلاً، وفي الضَّرَّاء مُتَجَمِّلاً[3]، وَلِنَفْسِهِ عِنْدَ الرَّأيِ والحِفَاظ[4] مُرْتَبِطاً[5]، وللحَزْمِ مُؤْثِراً، وللهَوَى تارِكاً، وللمَشقَةِ التي يرْجو حُسْنَ عاقِبَتِها مُسْتَخِفّاً، وعلى مُجاهَدَةِ الأهْوَاء والشَّهَوَاتِ مُوَاظِباً، ولِبَصيرَتِهِ بِعَزْمِهِ مُنَفِّذاً.

حبّب العلم إلى نفسك

حَبِّبْ إلى نَفْسِكَ العِلْمَ حتى تَلْزَمَهُ وتَألَفَهُ، ويكونَ هُوَ لهْوَكَ ولَذَّتَكَ وسَلْوَتَكَ وبُلْغَتَكَ[6].

واعْلَمْ أنّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ للمنافِعِ، وعِلْمٌ لِتَذْكِيَةِ العقُولِ[7].

---

(١) وقاحاً: من فعل وقح. وحافر وقاحٌ: صُلْبٌ باق على الحجارة. والنعت وَقاحٌ للذكر والأُنثى فيه سواء. وجمعه وُقُحٌ. ورَجلٌ وَقِيحُ الوجه ووقَاحُه: صُلْبُهُ قليل الحياء.

(٢) غَلُوباً: من فعل غَلَبَ. وغَلَبَ على الرجل الكَرَم أي هو أكثر خصاله. وفي الحديث: «إنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضبي». إشارة إلى سعة الرحمة وشمولها الخَلْقَ. والمقصود هنا إشارة إلى الصبر وتغليبه عليها.

(٣) مُتَجَمِّلاً: من فعل جمل. وأَجْمَلْتُ في الطلب. وجَمَّلْتُ الشيءَ تجميلاً، وأجْمَلْتُ الصَّنيعة عند فلان وأجْمَل في صنيعه: اتَّأد واعتدل فلم يُفْرِط. وقيل: إلْزِمْ الأَمْر الأجْمَل والصبر المشرف.

(٤) الحِفَاظ: من فعل حفظ. الواحدة الحَفِيظةُ: والحَفِيظَةُ: الغضَبُ لحرمة تُنْتَهَكُ من حرماتك أو جارٍ ذي قرابة يُظلَم من ذَوِيك أو عَهْد يُنْكث، وقيل الحفظة: الغضب وكذلك الحفاظُ والمُحْفِظات: الأمور التي تحفظ الرجل أي تُغْضِبه إذا وُتِرَ في حَمِيمِه.

(٥) مُرْتَبِطاً: من فعل رَبَطَ. والربَّاطُ في الأصل: الإقامة على جِهادِ العدوّ وارتباطُ الخيل وإعدادُها. قيل: فَرَبَطْتُ عليه اسْتَبْقِي نَفْسِي أي تأخرت عنه كأنه حبَس نفسه وشدَّها وثبتها.

(٦) بلغتك من فعل بَلَغَ ـ والبلاغ: الكفاية. ومنه قوله تعالى:﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ معناه قد انتهت إلى غايتها، والمبالغة أن تبْلُغَ في الأمر جُهْدَكَ. ويقال: بلغ فلان أي جُهِدَ.

(٧) تذكية العقول: من فعل ذكا. ذَكَتِ النارُ تذكو: اشْتَدَّ لَهَبُها واشتعلت. وذكتِ العقول والنفوس: رَفْعُ شأنها بالعلم وزيادة المعرفة ونما عليها ما تَذْكُو به. والذُّكْوَة والذُّكْيَة ما ذَكّاها به من العلوم الفقهية والإنسانية.

وأفَشَى العِلْمَين وأحْـرَاهُما أنْ يَنْشَطَ لَـهُ صَاحِبُـهُ مِنْ غَيرِ أنْ يُحَضّ عَلَيْـهِ عِلْمُ المَنافِعِ. وللعِلْمِ الّـذي هُوَ ذِكـاءُ العُقولِ وَصِقـالُها(١) وجَـلاؤها فَضِيلَةُ مَنـزِلَةٍ عِنْـدَ أهْلِ الفَضِيلةِ والألْبابِ.

في السخاء كمال الجود والكرم

عَوِّدْ نَفْسَكَ السّخاءَ.

وَاعْلَمْ أنَّهُ سَخَاءانِ: سَخَاوَةُ نَفْسِ الرّجُـلِ بِمَا في يَـدَيْهِ، وَسَخَـاوَتُهُ عمّـا في أيدي النّاسِ.

وَسَخـاوَةُ نفْسِ الرَّجُـلِ بما في يـديْهِ أكْثـرُهُما وأقـرَبُهُمـا مِنْ أنْ تَـدْخُـلَ فِيـهِ المُفاخَرَةُ. وتَرْكُهُ ما في أيدي النّاسِ أمْحَضُ(٢) في التّكرّمِ وأبْرَأُ منَ الدَّنَسِ وأنْزَهُ.

فإنْ هُوَ جَمَعَهُما فَبَذَلَ وعَفَّ فقدِ اسْتَكْمَلَ الجُودَ والكرَمَ.

لا تكن حسوداً

لِيَكُنْ مِمّا تَصْرِفُ بِهِ الأذى والعَذَابَ عن نفْسِكَ ألاّ تكونَ حَسوداً.

فإنَّ الحَسَدَ خُلُقٌ لئيمٌ. ومنْ لُؤمِـهِ أنّهُ مُـوَكَّلٌ(٣) بِـالأدْنَى فَالأدْنَى مِنَ الأقـارِبِ والأكْفاء والمَعارِفِ والخُلَطاءِ والإخْوَانِ.

فَلْيَكُنْ ما تُعَامِلُ بِهِ الحَسَـدَ أنْ تَعْلَمَ أنَّ خَيْرَ مَـا تكونُ حِينَ تَكـونُ مَعَ مَنْ هُـوَ خَيرٌ مِنكَ، وأنّ غُنْماً حَسَناً لكَ أن يكونَ عَشِيـرُكَ وخَلِيطُكَ أفْضَـلَ مِنْكَ في العلمِ،

---

(١) صِقَالُها: من فعل صَقَل. والصَّقْلُ: الجَلاءُ. وصَقَـلَ الشيءَ صِقَالاً: جَـلاهُ. وجلاء العقـول فضيلة منزلةٍ عند أولي الألباب.

(٢) أمْحضَ: من فعل مَحَضَ. والمَحْضُ من كل شيء: الخالص الذي لا يَشُوبَهُ ما يخالِطُه، وهو على صيغة المبالغة.

(٣) مُوَكَلٌ: من فعل وَكَلَ. والوَكِيل: المقيم الكفيل الملازم وحقيقته أنّه يستقلُّ بأمر الموكول إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿أنْ لا تَتَّخِذُوا مِنْ دُوني وَكِيلاً﴾ وقيل: الوكيل: الحافظ.

فتَقْتَبِسَ من عِلمِهِ، وأفْضَلَ مِنكَ في القُوَّةِ، فيَدْفَعَ عَنْكَ بقُوَّتِهِ، وأفضَلَ مِنْكَ في المالِ، فتُفِيدَ مِن مالِهِ، وأفضَلَ مِنْكَ في الجاهِ، فتُصِيبَ حاجَتَكَ بجاهِهِ، وأفْضَلَ منكَ في الدِّينِ، فتَزْدادَ صَلاحاً بِصَلاَحِهِ.

كيف تعامل عدوّك

لِيَكُنْ ممّا تنظُرُ فيهِ مِنْ أمْرِ عَدُوِّكَ وحاسِدِكَ أنْ تَعْلَمَ أنّهُ لا يَنفعُكَ أنْ تُخْبِرَ عدُوّكَ وحاسِدَكَ أنّكَ لَهُ عَدُوٌّ، فتُنْذِرَهُ بِنَفْسِكَ وتُؤذِنَهُ بحرْبِكَ قَبْلَ الإعْدَادِ والفُرْصَةِ، فتَحْمِلَهُ على التَّسَلُّحِ لكَ، وتُوقِدَ نارَهُ عَلَيْكَ.

واعْلَمْ أنّهُ أعَظَمُ لخَطَرِكَ[1] أن يَرَى عَدُوُّكَ أنّكَ لا تتّخِذُهُ عَدُوّاً فإنّ ذلكَ غِرَّةٌ[2] لَهُ وَسَبِيلٌ لَكَ إلى القُدْرَةِ عَلَيْهِ. فإنْ أنْتَ قَدَرْتَ واسْتَطَعْتَ اغتفارَ العَداوَةِ عَنْ أن تُكافِىءَ بها فهُنالِكَ اسْتَكْمَلْتَ عَظِيمَ الخَطَرِ.

إنْ كُنتَ مُكَافِئاً بالعَدَاوَةِ والضَرَر فإيّاكَ أن تُكافِىء عَدَاوَةَ السِّرِّ بِعَدَاوَةِ العَلانِيَةِ، وعَدَاوَةَ الخاصّةِ بعداوَةِ العامّةِ، فإنّ ذلكَ هوَ الظُّلْمُ.

وَاعْلَمْ مَعَ ذلكَ أنّهُ لَيْسَ كُلُّ العَداوَةِ والضَّرَرِ يُكافَأُ بمثْلِهِ: كالخِيانَةِ لا تُكافَأُ بالخِيانَةِ، والسّرِقَةِ لا تُكَافَأُ بالسّرِقَةِ.

ومِنَ الحِيلَةِ في أمْرِكَ مَعَ عَدُوّكَ أنْ تُصَادِقَ أصْدِقَاءهُ وتُؤاخِيَ إخْوَانَهُ، فتدخُلَ بينهُ وبيْنَهُمْ في سبيلِ الشّقَاقِ والتّلاحي[3] والتّجافي حتى ينْتَهيَ ذلكَ بهمْ إلى

(١) لخَطَرِك: من فعل خَطَر. والخَطَرُ: ارتفاعُ القدْرِ والمالِ والشرف والمنزلة. ورَجل خطيرٌ أي له قَدْرٌ وخَطَرٌ. يقال: إنّه لعظيم الخَطَرِ في حسن فعاله وشرفه وخَطَرُ الرجل: قَدْرُه ومنزلته، وخَصَّ بعضهم به الرفعة، وجمعه أخْطَارٌ.

(٢) غِرَّةٌ: من فعل غَرَرَ. والغِرّةُ من الغارّ وهو الغافل. التَّغَرّة: مصدر غَرَرْته إذا ألقيته في الغَرَر وهو من التَّغْرير.

(٣) التلاحي: من فعل لَحَا. ولَحَا الرجل: شَتَمَه، واللَّحاء اللَّعْن والعَذْل واللواحي العَواذِل. وتلاحى الرَّجلان: تشاتما. ولاحَى فلاناً كلاحات ولِحَاء إذا استقصى عليه. وقيل: الملاحاة الملاومة والمباغضة ثم كثر ذلك حتى جعلت كل مُمانعة ومُدافعة ملاحاة.

القَطِيعَةِ والعَدَاوَةِ لَهُ. فإنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ طُرُقٍ[1] يَمْتَنِعُ من مُؤاخاتك إذا التَمَسْتَ ذلكَ مِنْهُ. وإنْ كان إخوَانُ عَدُوِّكَ بِغيرَ ذَوي طُرُقٍ فَلا عَدُوَّ لَكَ.

لا تَدَعْ، مَعَ السّكوتِ عَنْ شَتْمِ عَدُوِّكَ، إحْصَاءَ مَثَالِبِهِ[2] وَمَعَايِبِهِ واتّبَاعَ عَوْرَاتِهِ، حتى لا يَشُذَّ عَنْكَ مِنْ ذلكَ صَغيرٌ ولا كَبيرٌ، مِنْ غَيْرِ أن تُشِيعَ ذلكَ عَلَيْهِ فَيَتَّقِيكَ بِهِ، وَيَسْتَعِدّ لَهُ، أوْ تَذْكُرَهُ في غَيرِ مَوْضِعِهِ فَتكونَ كَمُسْتَعْرِضِ الهَواء بِنَبْلِهِ قَبْلَ إمْكَانِ الرّمْيِ.

وَلَا تَتّخِذَنّ اللّعْنَ والشّتْمَ على عَدُوّكَ سِلاحاً، فإنّه لا يجْرَحُ في نَفْسٍ ولا مَنزِلَةٍ ولا مالٍ ولا دينٍ.

إنْ أرَدْتَ أنْ تكونَ داهِياً[3] فلا تُحِبّنّ أنْ تُسمّى داهِياً. فإنّهُ مَن عُرِفَ بالدّهاء خاتَل[4] عَلانِيَةً، وحَذِرَهُ النّاسُ، حتى يمتَنِعَ منهُ الضّعيفُ، ويَتَعَرّضَ لهُ القَويّ.

وإنّ من إرْبِ[5] الأريبِ دَفْنَ إرْبِهِ ما اسْتطاعَ حتى يُعْرَفَ بالمُسَامحَةِ في الخليقَةِ والاسْتِقامَةِ في الطّرِيقَةِ.

ومِنْ إرْبِهِ ألّا يُؤارِبَ[6] العاقِلَ المُسْتَقِيمَ الطّريقَةِ والذي يَطّلِعُ على غامِضِ

(١) طُرُق: من فعل طَرَقَ. وتَطَرَّق إلى الأمر: ابتغى إليه طريقاً، والطريق السبيل، والطريقة: السيرة المذهب، الأسلوب وفلان حسن الطريقة وسَيِّئها، وطرائق الماكر: أساليبه الداهية المتقلبة.

(٢) مَثالِبُه: من فعل ثَلَبَ. وثلب المرء: لامَه وعَابَه وصَرَّح بالعيب وقيل: وتنقصه. والثَّلْبُ: شدةُ اللَّوْمِ والأخذ باللِّسان وهو المثلب يجري في العقوبات والثَّلب، والمثالب: العُيُوب، مثالب الأمير: معايِبُه.

(٣) داهياً: من فعل دَهَا. والدَّهْوَ: المُنْكر وجَوْدَةُ الرأيِ. ورجل داهية ودهاه: عَابَهُ وتَنَقَّصَه، وقيل: الدَّهْوُ والدَّهَاءُ: العقل والرأي وهذا الأخير هو المقصود.

(٤) خَاتل: من فعل خَتَل، والخَتْلُ: تَخَادُعٌ عن غَفْلَةٍ وفي الحديث: «من أشراط الساعة أنْ تُعَطَّلَ السيوف من الجهاد وأن تُخْتَلَ الدنيا بالدِّين». أي تطلب الدنيا بعمل الآخرة. ومن ختله إذا خدعه وقيل: كأني أنظر إليه يَخْتِل الرجل لِيَطعِنه أي يُدَاوِرُه ويَطْلُبه من حيث لا يَشْعُر.

(٥) إرْبِ: من فعل أرَب، والإرْبُ والأرْبُ: الدَّهاء والبَصَرُ بالأمور، وهو من العقل. وأرِبَ بالشيء: دَرِبَ به وصار فيه ماهِراً بصيراً فهو أرِبٌ، ومنه الأريبُ أي ذُو دَهْيٍ وبَصَرٍ.

(٦) يُؤارِبُ: من فعل أرَب. والمُؤَارَبَةُ: المُداهاةُ. وفلان يُؤارِبُ صاحِبَه إذا دهاه وخَادَعَه. وفي =

إرْبِهِ فَيَمْقُتُهُ عَلَيْهِ.

وَإِنْ أَرَدْتَ السَّلامَةَ فأشْعِرْ قلْبَكَ الهيْبَةَ لِلأمورِ، مِنْ غَيرِ أنْ تَظْهَرَ مِنكَ الهيْبَةُ فَتُفَطِّنَ النّاسُ بِنفْسِكَ وتُجرِّئَهُمْ عليكَ وتَدْعُو إليْكَ مِنْهُمْ كلَّ الذي تَهابُ.

فاشْعَبْ[1] لمُدارَاةِ ذلِكَ مِنْ كِتْمانِ الهَيْبَةِ وإظْهَارِ الجُرْأةِ والتَّهاوُنِ طائِفَةً من رَأيِكَ.

وإنِ ابْتُلِيتَ بمحارَبَةِ عَدُوِّكَ فحالِفْ هذه الطَّريقَةَ التي وَصَفْتُ لكَ مِنِ اسْتِشْعَارِ الهَيْبَةِ وإظْهَارِ الجُرْأةِ والتَّهاوُنِ، وعَلَيْكَ بالحذَرِ والجِدّ في أمْرِكَ، والجُرْأةِ في قَلْبِكَ، حتى تملأ قَلبَكَ جَراءةً وَيَسْتَفْرِغَ عَمَلُكَ الحِذْرَ.

اعْلَمْ أنَّ مِنْ عَدُوِّكَ مَنْ يَعْمَلُ في هَلاكِكَ، ومِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ في مُصالَحتِكَ، ومِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ فِي البُعْدِ مِنْكَ.

فَاعرِفْهُمْ على مَنازِلِهِمْ.

ومِنْ أقْوَى القُوّةِ لكَ على عَدُوِّكَ، وَأعَزِّ أنْصَارِكَ في الغَلَبَةِ لَهُ، أنْ تُحْصيَ على نَفْسِكَ العُيوبَ والعَوْراتِ كما تُحصيها عَلى عَدُوِّكَ، وتَنْظُرَ عِنْدَ كلِّ عَيْبٍ تَرَاهُ أوْ تَسْمَعُهُ لأحَدٍ مِنَ النّاسِ: هَلْ قارَفْتَ ذلكَ العَيْبَ أوْ ما شاكَلَهُ أو سَلِمْتَ مِنْهُ.

فإنْ كُنْتَ قارَفْتَ شَيْئاً مِنْهُ جَعَلْتَهُ ممّا تُحصي على نَفْسِكَ. حتى إذا أحْصَيْتَ ذلكَ كلّه فَكاثِر[2] عَدُوَّكَ بإصْلاحِ نَفْسِكَ وعثَرَاتِكَ وتحْصِينِ عَوْرَاتِكَ وإحرَازِ مَقاتِلِكَ[3].

= الحديث: «مُؤارَبَةُ الأَريبِ جَهْلٌ وعَناء». وأرِبَ الدَّهْرُ: اشْتَدَّ. وقوله تعالى: ﴿**غَيْرَ أولي الإرْبَةِ من الرِّجال**﴾ أي المعْتُوهُ.

(١) أشْعَب: من فعل شَعَبَ. والشَّعْبُ: الجَمعُ وقيل: في الشَّعْبِ أنه يكون بمَعْنَيَين يكون إصلاحاً ويكون تفريقاً. وجمعه شُعُبٌ. ومنه الحديث: «يَرْأَبُ شَعْبَها». أي يَجْمَعُ مُتَفَرِّقَ أمْرِ الأُمَةِ وكلِمَتَها.

(٢) فَكاثِر: من فعل كَثُرَ وكَاثَرَ: غالب. والمكثور: المغلوب وهو الذي تكاثَرَ عليه الناس فقهروه. وقيل: ما رأينا مَكْثُوراً أجْرَأَ مَقْدَماً منه. والتَّكاثُر: المكاثَرة. المغالبة.

(٣) مُقاتِلِك: من فعل قتل. ورَجُلٌ قَتِيل مقتول وجمعه قُتَلاء وأقتل الرجل: عرضَه للقَتْل وأصبره=

وخُذْ نَفسَكَ بذلكَ مُمْسِياً ومُصْبِحاً.

فإذا آنَسْتَ مِنْهَا دَفْعاً وتَهاوُناً بِهِ فاعْدُدْ نَفْسَـكَ عاجِـزاً ضائعـاً خائِبـاً، مُعْوِراً[1] لِعَدُوِّكَ مُمْكِناً لَهُ مِنْ رَمْيِكَ.

وَإنْ حَصَـلَ منْ عيُوبِـكَ وعَوْرَاتِـكَ ما لا تَقْـدِرُ على إصْلاَحِـهِ مِنْ ذَنْبٍ مَضَى لكَ، أوْ أمْرٍ يَعِيبُكَ عِندَ النّاسِ ولا تَرَاهُ أنْتَ عَيْباً، فاحْفَظْ ذلِـكَ وما عَسَى أنْ يقـولَ فِيهِ قَائِلٌ مِنْ حَسَبِكَ[2] أو مَثَالِبِ آبائِـكَ أوْ عَيْبِ إخْوَانِـكَ ثمّ اجْعَلْ ذلِـكَ كلَّهُ نُصْبَ عيْنِـكَ. واعْلَمْ أنّ عَدُوَّكَ مُـريدُكَ بـذلكَ. فـلا تَغفُلْ عنِ التّهَيّؤِ لَـهُ والإعْدادِ لِقُـوّتِكَ وحُجّتِكَ وحِيلَتِكَ فِيهِ سِرّاً وعَلانِيَةً.

فَأمّا الباطِلُ فلا تَرُوعَنّ بِـهِ قَلْبَكَ ولا تَسْتَعِـدَنّ لَهُ ولا تشتغِلَنّ بِشَيْءٍ مِنْ أمْـرِهِ، فإنّهُ لاَ يَهُولُكَ ما لمْ يَقَعْ، وما إنْ وَقَعَ اضْمَحَل.

الشهود العدل

واعْلَمْ أنّهُ قَلّما بُدِه[3] أحَدٌ بشَيْء يَعْرِفُهُ منْ نَفسِهِ، وقدْ كَانَ يَطْمَعُ في إخْفَائِـهِ عنِ النّـاسِ، فَيُعَيّرُهُ بِـهِ مُعَيّرٌ عِنْـدَ السّلطانِ أوْ غَيْرِهِ، إلاّ كَـادَ يَشْهَدُ بِـهِ عَلَيْهِ وَجْهُـهُ وعَيْناهُ ولِسانُهُ، للّذي يَبْدو مِنهُ عِندَ ذلكَ، والّذي يكونُ مِنِ انْكِسَارِهِ وفُتورِهِ عِندَ تِلكَ البَدِيهَةِ.

= عليه. والواحد مَقْتَل وهو إذا ما تعـرض الجسمُ للقتال وأصيبَ أحـد أطرافـه لم يسلم باقي الجسم في الأعضاء من الحمى والسهر والمرض.

(١) مُعْـوِراً: من فعل عَـوَرَ. والأعور: الـرديء من كل شيء. والعَـوَرُ: شَيْنٌ وقُبْحٌ والأعـور: الضعيف الجبان البليد. ورجل مُعْوَرٌ: قبيح السريـرة. ومكان مُعْـوِر: مُخُوف. وكـل عيب وخلل في شيء: فهو عَوْرة.

(٢) حَسَبِك: من فعل حَسُبَ. والحَسَبُ: مـا يَعُدُّه الإنسـان من مَفاخِـرِ آبائِـهِ. قيل الشَّـرَفُ والمجْدُ لا يكونـان إلا بالآباء ومنهم من جعـلَ المالَ بمنـزلة شـرف النَّفْس أو الآباء. ومنـه الحديث: «حَسَبُ الرَّجل نَقَاءُ ثَوْبَيْهِ» أي أنه يُوَقَّرُ لذلك.

(٣) بُدِه: من بَدَه. والبَدْهُ والبُدْهُ: أول كل شيء وما يفجأُ منه. والبَدْهُ بأنْ تستقبل الإنسان بأمر مفـاجأةً. وبَدَهَهُ بالأمر: استقبله به. يقال: بادَهَني مُبادَهةً أي باغتني مُبَاغتة.

فاحْذَرْ هذِهِ وتَصَنَّعْ لها، وخُذْ أُهْبَتَكَ[1] لِبَغتَاتِها وتَقَدَّمْ فِي أَخْذِ العتادِ لِنَفْيِها.

حاذر الغرام بالنساء

اعْلَمْ أنّ مِنْ أوْقَعِ الأمورِ في الدّينِ وأنْهكِها لِلْجَسَدِ وأتْلفِها للمالِ وأقْتَلِها للعَقْلِ وأزْرَاهَا للمُرُوءةِ وأسْرَعِها في ذَهابِ الجَلالَةِ والوَقارِ الغَرَامَ بالنّسَاء.

ومِنَ البَلاء على المُغْرَمِ بِهِنّ أنّهُ لاَ يَنْفَكّ يأجِمُ[2] ما عِنْدَهُ وتَطْمَحُ عَيناهُ إلى ما لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنّ.

وإنما النّساء أشْباهٌ[3].

وما يَتَزَيّنُ في العُيونِ والقُلوبِ مِنْ فَضْلِ مجْهولاتِهِنّ عَلى مَعْرُوفَاتِهِنّ باطِلٌ وخُدْعَةٌ. بلْ كَثيرٌ ممّا يرْغَب عَنْهُ الرّاغِبُ ممّا عِنْدَهُ أفْضَلُ مِمّا تَتوقُ إلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُنّ.

وإنّما المُرْتَغِبُ عمّا في رَحْلِهِ[4] مِنهُنّ إلى مَا في رِحالِ النّاسِ كالمُرْتَغِبِ عنْ طَعامِ بَيْتِهِ إلى ما في بُيوتِ النّاسِ: بلِ النّساءُ بالنّساء أشْبَهُ مِنَ الطّعامِ بالطّعامِ، وما في رِحالِ النّاسِ مِنَ الأطْعِمَةِ أشَدّ تَفاضُلاً وتَفاوُتاً ممّا في رِحالِهِمْ مِنَ النّساء.

ومِنَ العَجَبِ أنّ الرّجُلَ الذي لا بأسَ بِلُبِّهِ[5] وَرَأيِهِ يَرَى المَرْأةَ مِنْ بَعِيدٍ مُتَلَفِّفَةً في ثِيابِها، فَيُصَوّرُ لها في قَلْبِهِ الحُسْنَ والجَمَالَ حتى تَعْلَقَ بها نَفْسُهُ مِنْ غَيرِ رُؤيَةٍ

---

(١) أُهْبَتَكَ: من فعل هبب. وهَبَّ من نومه: انتبه. يقال: احْذَرْ هَبَّة السيف أي وَقْعَته. وإنه لحسن الهِبَّةِ: يُرادُ به الحالُ..

(٢) يَأْجِمُ: من فعل أَجَمَ. وأَجَمَ الطعام واللّبَن وغيرهما: كرهَه ومَلّهُ من المداومة عليه. ويقال: أكَلْتُه حتى أجِمْتُه. وتَأَجَّمَ النهارُ تأجُّماً: اشتد حَرُّه. وتأجَّمَتِ النار: ذَكَتْ مِثال تأجَّجَتْ.

(٣) أشْباهٌ: من فعل شَبَهَ. والشِّبْهُ والشَّبَه: المِثْلُ والجمع: أَشْبَاهٌ وأشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. وفي المثل: مَنْ أشْبَه أباه فما ظَلَم. وبين النساء أشباهٌ أي أشياء يتشابهون فيها. وشَبَّهَ عليه: خَلَّطَ عليه الأمرَ حتى اشتبه بغيره، وفيه مَشابهُ من فلان أي أشْباهٌ.

(٤) رَحْلُه: من فعل رَحَلَ. الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ للبعير والناقة. وجمعه أرْحُلٌ ورحالٌ. وقيل: إن الرَّحْل والرِّحالة من مراكب الرجال دون النساء. ويقال: دخلت على الرَّجُل رَحْله أي منزله وهو المقصود.

(٥) بِلُبِّهِ: من فعل لَبَبَ. ولُبُّ كل شيء ولُبَابُه: خالِصُه وخِيارُه، ولُبُّ الرَّجُل: ما جُعِل في قلبه من العقل. واللُّبابُ الخالص من كل شيء.

ولا خَبرِ مُخْبِرٍ، ثمّ لَعَلّهُ يَهْجُمُ مِنْهَا على أقْبَحِ القُبْحِ وأدَمّ الدّمَامَةِ(١)، فلا يَعِظُهُ ولا يَقطَعُهُ عن أمثالِها. ولا يَزالُ مشغوفاً بما لَمْ يَـذُقْ، حتى لَوْ لَمْ يَبْقَ في الأرْضِ غيـرُ امْرَأةٍ واحِدَةٍ، لَظَنّ أنّ لَها شَأناً غيرَ شَأنِ ما ذاقَ. وهذا هُوَ الحُمْقَ والشّقاء والسّفَهُ.

ومَنْ لَمْ يَحْمِ نَفْسَهُ وَيَظْلِفْها(٢) ويُحَلِّئْها(٣) عنِ الـطّعامِ والشّـرَابِ والنّساء في بعْضِ ساعاتِ شَهْـوَتِهِ وقُـدْرَتِهِ، كـانَ أيْسَرَ مـا يُصِيبُهُ مِنْ وَبـالِ ذلكَ انْقِـطاعُ تِلْكَ اللّذّاتِ عَنْهُ بخُمودِ نارِ شَهْوَتِهِ وَضُعْفِ حَوَامِلِ(٤) جَسَدِهِ. وقَلّ مَنْ تَجِدُهُ إلاّ مُخادِعاً لِنَفْسِهِ في أمْرِ جَسَدِهِ عِنْدَ الطّعَامِ والشّرَابِ والحِمْيَةِ والـدّواء، وفي أمْرِ مُـرُوءتِهِ عِنْـدَ الأهْوَاء والشّهَوَاتِ، وفي أمْرِ دينِهِ عِنْدَ الرِّيبَةِ والشُّبْهَةِ والطَّمَعِ.

كن متواضعاً سكوتاً واحذر المراءاة

إن اسْتَطَعْتَ أنْ تَضَعَ نَفْسَكَ دونَ غايَتِكَ في كلّ مَجْلِسٍ وَمُقامٍ ومَقالٍ ورَأيٍ وفِعْلٍ فافْعَلْ، فإنّ رَفْعَ النّاسِ إيّاكَ فَوْقَ المَنْزِلَةِ التي تَحُطّ إلَيْهـا نَفْسَكَ، وَتَقْـرِيبَهُمْ إيّاكَ إلى المَجْلِسِ الذي تَباعَدْتَ مِنْهُ، وتَعْظِيمَهُمْ مِنْ أمْـرِكَ ما لم تُعـظِّمْ، وتزيينَهُمْ مِنْ كلامِكَ ورَأيِكَ وفعلِكَ ما لَمْ تُزَيّنْ هُوَ الجَمالُ.

لا يُعْجِبَنّكَ العالِمُ ما لَمْ يَكُنْ عالِماً بمَواضِـعِ ما يَعْلَمُ، ولا العـامِلُ إذا جَهِـلَ مَوْضِعَ ما يَعْمَلُ. وإنْ غُلِبْتَ عَلى الكَلامِ وقْتاً فـلا تُغلَبَنّ على السّكوتِ، فـإنّه لَعَلّهُ

---

(١) الدّمامَـة: من فعل دَمَمَ. والـدَّمامـة بالفتـح: القِصَرُ والقُبْـحُ. ومنه حـديث المتْعَةِ: «هـو قريب من الدَّمامة». وقد دَمَمْتَ وتدِمُّ دَمَامة في كل شيء. وأدْمَمْتَ أي أقْبَحت الفعل.

(٢) يَظْلِفْها: من فعل ظَلَفَ. وأصاب فلان ظِلْفَه أي مـا يوافقـه ويريـده. وتقول العـرب وجدَت الـدابة ظِلْفَها، يُضرب مثلاً للذي يجد ما يوافقه ويكون أراد به من الناس والـدواب. وقد يقـال ذلك لكـل دابة رافقت هَواها.

(٣) يُحَلِّئْها: من فعل حَلأَ. وحَلأ الإبلَ: طردهـا أحبسها عن الـورود ومَنَعَها أنْ تـرِده. ومنه الحـديث: «يَرِدُ عليّ يومَ القِيامَة رَهْطٌ فيُحَلِّؤُونَ عن الحَوْضِ». أي يُصَدُّون عنه ويُمْنَعُون من وُروده.

(٤) حَوَامِل: من فعل حَملَ. وكل من خان الأمانة فقد حَمَلها. وكـذلك كـل من أثم فقد حَمَـل الإثم. ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّا عَرَضْنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فـأبَيْن أن يَحْمِلْنها﴾ معنى يَحْمِلْنها يَخُنْها.

يَكونُ أشَدّهُما لكَ زينَةً، وأجْلَبَهُما إلَيْكَ لِلْمَوَدّةِ، وأبْقاهُما للمَهابَةِ، وأنفاهُمَا[1] للحَسَدِ.

احْذَرِ المِرَاءَ[2] وأغْرِبْهُ[3]، ولا يمْنَعَنّكَ حَذَرُ المِراء مِنْ حُسْنِ المُناظَرَةِ[4] والمُجَادَلَةِ.

واعْلَمْ أنّ المُمارِيَ هوَ الذي لا يُريدُ أن يَتَعلّمَ ولا أنْ يُتَعَلّمَ مِنْهُ. فإنْ زَعَمَ زاعِمٌ أنّهُ مُجادِلٌ في الباطِلِ عَنِ الحَقّ، فإنّ المُجادِلَ، وإنْ كَانَ ثابِتَ الحُجّةِ ظاهِرَ البيِّنَةِ حاضِرَ الذِّهْنِ، فإنّهُ يُخاصِمُ إلى غَيْرِ قاضٍ، وإنما قاضِيهِ الذي لا يَعْدِلُ بالخُصُومَةِ إلّا إلَيْهِ عَدْلُ صاحِبِهِ وعَقْلُهُ. فَإنْ آنَسَ أو رَجا عِندَ صَاحِبِهِ عَدْلاً يَقْضِي بِهِ على نَفْسِهِ فَقَدْ أصابَ وَجْهَ أمْرِهِ. وإنْ تَكَلّمَ عَلى غَيرِ ذلكَ كان مُمارِياً.

وإنِ اسْتَطَعْتَ ألّا تُخْبِرَ أخاكَ عَنْ ذاتِ نَفْسِكَ[5] بِشَيْءٍ إلّا وأنْتَ مُحْتَجِنٌ عَنْهُ بَعْضَ ذلكَ الْتِماساً لِفَضْلِ الفِعْلِ على القَوْلِ واسْتِعْدَاداً لِتقْصِيرِ فِعْلٍ، إنْ قَصّرَ، فافْعَلْ.

واعْلَمْ أنّ فَضْلَ الفِعْلِ على القَوْلِ زينَةٌ، وفَضْلَ القَوْلِ على الفِعْلِ هُجْنَةٌ[6]، وأن إحْكامَ هذِهِ الخَلّةِ مِنْ غَرائِبِ الخِلالِ.

---

(١) أنفاهما: من فعل نَفي الشيءَ: تَنَحّى، وجحد. وقوله أنْفاهُما للحَسَد: أرغبهما عنه أَنَفاً واستِنْكافاً. وأبعدهما.

(٢) المراء: من فعل مرا. والمِراءُ الجدال. والتّماري والمُماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. ويقال للمناظرة مُمارة لأنّ كلّ واحد منهما يخرج ما عند صاحبه ويمتريه. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَا تُمارِ فيهم إلاّ مِراءً ظاهراً﴾.

(٣) أغرِبْه: من فعل غَرَبَ. والغَرْبُ: الذهابُ والتّنَحّي عن الناس وقد غَرَبَ عنا وأغْرَبه: نحّاه. والغَرْبُ: النّوى والبُعْد. واغْرُبْ عني: أي تباعد. ومنه الحديث: «أنّه أمَرَ بتَغْرِيبِ الزّاني». والتغريب: النفيُ عن البلد الذي وقعتِ الجِنَايةُ فيه.

(٤) المناظرة: من فعل نَظَرَ. والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر ما والمناظرة شبه المماراة لأن كل مناظر يخرج ما في نفسه ونفس أخيه فيجادل فيه ويمتريه. والتناظر: التراوض في الأمر والتجادل فيه.

(٥) ذَات نَفْسِك: ما تجعله من نفسك وباطن قلبك وتكنّه عن الآخرين وتخفيه ضناً به لحفظه وصيانته وعلو قدره من نفسك.

(٦) هُجْنَة: من فعل هَجَنَ والهجنة من الكلام: ما يُعيبُك.

الصبر على الأعمال يخفّفها

إذا تَرَاكَمَتْ عَلَيْكَ الأعْمالُ فَلا تَلْتَمِسِ الرَّوْحَ(١) في مُدافَعتِها(٢) بالـرَّوْغانِ(٣) مِنْهـا. فإنّـهُ لا راحةَ لـكَ إلاّ في إصْدَارِهـا(٤)، وإنّ الصّبْرَ عَلَيْهـا هُوَ الـذي يُخفّفُها عَنْكَ، والضّجَرَ هُوَ الذي يُرَاكِمُهَا عَلَيْكَ.

فَتَعَهّدْ مِنْ ذَلكَ في نَفْسِكَ خَصْلَةً قَدْ رَأيْتُها تَعْتَري بعْضَ أصْحَـابِ الأعْمَالِ. وذلكَ أنّ الرّجُلَ يكُونُ في أمْرٍ مِنْ أمْرِهِ، فَيَـرِدُ عَلَيْهِ شُغْـلٌ آخَرُ، أوْ يَـأتِيهِ شـاغِلٌ من النّاسِ يَكْرَهُ إتْيَانَهُ فَيُكَدّرُ ذلكَ بنَفْسِهِ تَكْدِيراً يُفْسِدُ ما كانَ فِيهِ وما وَرَدَ عَلَيْهِ، حتى لاَ يُحْكِمَ واحِـداً مِنهُمَا. فـإذا وَرَدَ عَلَيْكَ مِثْـلُ ذلكَ فَلْيَكُنْ مَعَـكَ رَأيُكَ وعَقْلُكَ اللّذانِ بِهِما تَخْتَارُ الأمورَ، ثُمّ اخْتَرْ أوْلى الأمْرَيْنِ بِشُغْلِكَ، فاشْتَغِـلْ بهِ حتى تَفْـرُغَ مِنْهُ. ولا يَعْـظُمَنّ عَلَيْكَ فَـوْتُ ما فـاتَ وتَأخيـرُ ما تَـأخّرَ إذا أعْلَمْتَ الـرّأيَ مُعْمَلَهُ(٥) وجعلت شُغْلَكَ في حَقّهِ، واجْعَلَ لِنَفْسِكَ في كلّ شُغْلٍ غايةً تَرْجو القُوّةَ والتّمامَ عَليْها.

لا تجاوز الغاية

اعْلَمْ أنّكَ إنْ جاوَزْتَ الغايَةَ في العِبادَةِ صِرْتَ إلى التّقْصِيرِ، وإنْ جاوَزْتَهـا في حَمْـلِ العِلْمِ لحِقْتَ بالجُهّـالِ، وإنْ جاوَزْتَهـا في تَكَلّفِ رِضَى النّـاسِ والخِفّـةِ(٦)

---

(١) الرَّوْح: من فعل رَوَحَ. والرَّوْحُ: الاستراحة. ومنه قـوله تعـالى: ﴿فَرَوْحٌ ورَيْحَـانٌ﴾ أي استراحـة وبرد، والرُّوحُ أيضاً: السرور والفرح.

(٢) مُدافَعتِها: من فعل دَفَعَ. والمدافَعةُ: المُمـاطلة، ودافع فـلان فلانـاً في حاجتـه إذا ماطَلَه فيهـا فلم يَقْضِها.

(٣) الرَّوَغان: من فعل راغ بمعنى حَادَ. ورَاغَ إلى كذا أي مالَ إليه سِرّاً وحـادَ. وفلان يُـراوِغُ فلانـاً إذا كان يَحِيدُ عما يُديرُه عليه ويُحابِصُه. وأراغَه هو وراوَغَه: خادَعَه.

(٤) إصدارها: من فعل صدر • أصدر بمعنى أورد ويقال: للذي يَبْتَدِيءُ أمراً وَيتمُّه أصدر أمراً.

(٥) إذا أعملت الرَّأيَ مُعْمَلَهُ في كذا وكذا: إذا دَبَّره بفهمه. وأعمل فلان ذهنه ورأيه ولِسانـه واسْتَعْمَله: عمل به بحكمة وحنكة.

(٦) الخِفّة: من فعل خَفَفَ. والخِفّة: ضِدُّ الثّقَلِ يكون في الجسم والعقل والعمل، قيل: الخَفِيْف في الجسم، والخُفـاف في التَّوَقُّـد والذكـاء والجمع: خِفـافٌ. وقيل: الخِفَّـة: الـطيش وزوال التَّعَقُّـل والترصن.

مَعَهُمْ في حَاجاتِهِمْ كُنْتَ المحشودَ[1] المُصْنِع[2].

واعْلَمْ أنّ بَعْضَ العَطِيّةِ لُؤمٌ، وَبَعْضَ السّلاطَةِ[3] غَمٌّ، وبَعْضَ البَيانِ عِيٌّ، وبعْضَ العِلْمِ جَهْلٌ. فإنِ اسْتَطَعْتَ ألاّ يكون عَطاؤكَ جَوْراً، ولا بَيانُكَ هَذَراً[4]، ولا عِلْمُكَ وَبَالاً، فافْعَلْ.

احفظ المليح والرائع من الأحاديث

اعْلَمْ أنّهُ سَتَمُرّ عَلَيْكَ أحاديثُ تُعجِبُكَ: إمّا مَلِيحةٌ وإمّا رائِعَةٌ.

فإذا أعْجَبَتْكَ كنْتَ خَلِيقاً[5] أنْ تَحْفَظَها، فإنّ الحِفْظَ مُوكَّلٌ بما مَلُح[6] وَرَاعَ[7]. وسَتَحْرِصُ على أنْ تَعْجَبَ مِنْهَا الأقْوَامُ. فإنّ الحِرْصَ عَلى ذلكَ التّعَجّبِ مِن شَأنِ النّاسِ. ولَيْسَ كلّ مُعْجِبٍ لكَ مُعْجِباً لِغَيْرِكَ.

---

(١) المحشود: من فعل حشد. ورَجُلٌ محشود: عنده حَشْدٌ من الناس أي جماعة. وقيل: إذا كان الناس يحفون بخدمته لأنه مطاع فيهم. وفي الحديث: «مَحْفُود مَحْشُود» أي أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه.

(٢) المُصْنِع: من فعل صَنَعَ. والمُصْنِع والمصَانَعة: أنْ تَصْنَعَ له شيئاً لِيَصْنَعَ لك شيئاً آخر وهي مُفاعلةٌ من الصُّنْعِ، وصانَعَه عن الشيء: خادَعَه عنه. ويقال صَانَعْتُ فلاناً أي رافَقْتُه وأعنتُه أمراً ابتدعته كذباً وتخلقاً وافتراءً.

(٣) السَّلاطةُ: من فعل سَلَطَ. والسلاطة القَهْرُ. ورجل سَلِيطٌ أي فصيح حديدُ اللّسان بَيّنُ السَّلاطةِ والسُّلوطةِ.

(٤) هَذَراً: من فعل هَذَرَ. والهَذَرُ: الكلام الذي لا يُعْبَأُ به. وقيل: الكثير الرديء، وقيل: هو سقط الكلام. وأهذر الرجل في كلامه: أكثر فيه الخطأ والباطل.

(٥) خَلِيقاً: من فعل خَلَقَ. ورجل خَلِيق بَيّن الخَلْق وفلان خَلِيق لكذا أي جدير به. وأنت خليق بذلك أي جدير.

(٦) مَلُحَ: المِلْحُ. الحسن من الملاحة وقد مَلُحَ أي حَسُنَ. ومَلَّحَ: جاء بكلمة مَليحة، قيل: أمْلَحْتَ أي جئت بكلمة مليحة. وقيل: بَلَغْتُ بالعِلْم ونِلْتُ بالمُلَح. وأمْلِحْني بنفسك: زَيِّنّي.

(٧) رَاعَ: من فعل رَوَعَ. وكلُّ شيء يَرُوعُك منه جمال وكَثْرة تقول راعني فهو رائع. ورجلٌ أرْوعُ ورُواعٌ: حيُّ النفس ذَكيٌّ. وقيل: رَاعَني الشيءُ: أعجبني. والأرْوَعُ من الرجال: الذي يُعْجِبُكَ حُسْنه.

فإذا نَشَرْتَ ذلكَ المَرّةَ والمَرّتَيْنِ، فَلَمْ تَرَهُ وَقَعَ مِنَ السّامِعِينَ مَوْقِعَهُ[١] مِنْكَ فازْدَجِرْ[٢] عَنِ العَوْدَةِ. فإنّ العَجَبَ مِنْ غَيرِ عَجِيبٍ سُخْفٌ شديد.

وقَدْ رَأَيْنا من الناسِ مَنْ يَعْلَقُ الشيءَ ولا يُقْلِعُ عَنْهُ وعَنِ الحَديثِ بِهِ، ولا يَمْنَعُهُ قِلّةُ قَبُولِ أصْحَابِهِ لَهُ مِنْ أنْ يَعودَ إلَيْهِ ثمّ يَعودَ.

ثمّ انْظُرِ الأخْبارَ الرّائِعَةَ فَتَحَفَّظْ مِنْها. فإنّ الإنْسَانَ منْ شَأنِهِ الحِرْصُ على الأخْبارِ، ولا سِيّمَا ما راعَ مِنْهَا، فأكْثَرُ الناسِ مَنْ يُحَدِّثُ بِما سَمِعَ، ولا يُبالي مِمّنْ سَمِعَ. وذلكَ مَفْسَدَةٌ للصِّدْقِ ومَزْرَاةٌ[٣] بالمُروءةِ، فإنِ اسْتَطَعْتَ ألاّ تُخْبِرَ بشيْء إلاّ وأنْتَ بِهِ مُصَدّقٌ، ولا يكونُ تَصْدِيقُكَ إلاّ ببُرْهانٍ، فافْعَلْ. ولا تَقُلْ كما يَقولُ السُّفَهاء: أُخْبِرُ بما سمِعْتُ. فأنّ الكَذِبَ أكْثَرُ ما أنْتَ سامِعٌ، وإنّ السُّفَهاءَ أكْثَرُ مَنْ هُوَ قائِلٌ. وإنّكَ إنْ صِرْتَ لِلأحادِيثِ واعِياً وحامِلاً كانَ ما تَعي وتَحْمِلُ عَنِ العامّةِ أكْثَرَ ممّا يَخْتَرِعُ المُخترِعُ بأضْعافٍ.

من تصاحب من الناس

انْظُرْ مَنْ صَاحَبْتَ مِنَ النّاسِ: مِنْ ذي فَضْلٍ عَلَيْكَ بسُلطانٍ أوْ مَنْزِلَةٍ، أوْ مَنْ دونَ ذلكَ مِنَ الأكْفاء والخُلَطاء والإخْوانِ، فَوَطّنْ نَفْسَكَ في صُحْبَتِهِ على أنْ تَقْبَلَ مِنْهُ العَفْوَ وتَسْخُوَ نَفْسُكَ عَمّا اعْتاص[٤] عَلَيْكَ مِمّا قِبَلَهُ، غَيْرَ مُعاتِبٍ ولا مُسْتبطىء

(١) مَوْقِعُه: من فعل وقع، وَوَقَعَ منه الأمْرُ موقعاً حَسَناً أو سَيِّئاً: ثبت لديه؛ وقوله لم يقع موقعه من السامعين: أي لم يلق استحساناً.

(٢) ازْدَجِر: الزَّجْرُ: المَنْعُ والنَّهيُ والانْتِهَارُ. وحيث وقع الزَّجْرُ في الحديث فإنما يراد به النهي، والزَّجْرُ كالرَّدْع للإنسان. وكذلك الزَّجْرُ للدواب والإبل والسباع. وَزَجَرْتُ فلاناً عن السُّوءِ فانْزَجَرَ.

(٣) مَزْراة: من فعل مَزَرَ. والمزرة الواحدة تُحرِّمُ أي المصَّةُ الواحدة. والتَّمَزُّرُ: الذَّوْق شيئاً بعد شيء والمقصود هنا مَزُرَ وأمْزر الناس أخْبَثهم وأفْسَقهم. والمَزِيرُ: الشَّدِيدُ القلبِ النافِذُ القَوِيُّ بَيِّنُ المَزارَةِ.

(٤) اعْتاص: من فعل عَوِصَ، والعَوَصُ: ضِدُّ الإمكان واليُسْرِ. وقد اعْتاصَ في المنطق: غَمَّضَه. واعْتاصَ عَلَيَّ هذا الأمرُ يَعْتَاصُ: إذا الْتَاثَ عليه أمره فلم يَهْتَدِ لجهة الصواب فيه. وأعْوَصَ بالخصم: أدْخَله فيما لا يَفْهَم.

ولا مُسْتَزِيدٍ. فإنّ المُعَاتَبَةَ مَقْطَعَةٌ للوُدّ، وإنّ الاسْتِزَادَةَ مِنَ الجَشَعِ، وإنّ الرّضا بالعَفْوِ والمُسامَحَةِ في الخُلُقِ مُقرِّبٌ لكَ كلّ مَا تَتُوقُ إليْهِ نَفْسُكَ مَعَ بَقاءِ العِرْضِ وَالمَوَدّة والمُرُوءةِ.

واعْلَمْ أنّكَ سَتُبْلى[1] مِنْ أقْوامٍ بِسَفهٍ، وَأنّ سَفَهَ السّفِيهِ سَيُطْلِعُ لَهُ مِنْكَ حِقْداً، فإنْ عارَضْتَهُ[2] أو كافَأتَهُ بالسَّفَهِ فَكأنّكَ قَدْ رَضِيتَ ما أتى بِهِ، فأحْبَبْتَ أن تَحْتَذِيَ على مِثالِهِ. فإنْ كانَ ذلَكَ عِنْدَكَ مَذْموماً فحقّقْ ذَمّكَ إيّاهُ بِتَرْكِ مُعَارَضَتِهِ. فأمّا أنْ تَذُمّهُ وتمْتَثِلَه[3] فَلَيْسَ في ذلكَ لَكَ سَدادٌ[4].

لا تصاحب أحداً إلّا بمروءة

لا تُصَاحِبَنّ أحَداً، وإنِ اسْتَأنَسْتَ بِهِ أخاً ذا قَرَابَةٍ أوْ أخاً ذا مَوَدّةٍ، ولا وَالِداً ولا وَلَداً إلّا بمُرُوءةٍ، فإنّ كثيراً مِنْ أهْلِ المُرُوءةِ قَدْ يحْمِلُهُمُ الاسترْسَالُ[5] والتَبَذُّلُ[6] على أنْ يَصْحَبوا كثيراً مِنَ الخُلَطاءِ بالإدْلالِ[7] والتّهاوُنِ والتّبَذّلِ.

(١) سَتُبْلى: من فعل بَلاء والبَلاء الإصابة والإنعام. ومنه قوله تعالى: ﴿ونَبْلُوكم بالشَّرِ والخَيرِ فِتْنَةً﴾ أي سيصيبكم الإنعام والإحسان في الخير والأمر الرديء وفي كلّ شرّ. والمقصود هنا من القوم السفهاء.

(٢) عَارَضْتُه: من فعل عَرَضَ. والعَارِضُ من عَارَضَ الشيءَ بالشيءِ معارضةً: قَابَلَهُ. وعَارَضْتُ كتابي بكتابه أي قَابَلْتُه. وفلان يُعَارِضُني أي يُبَارِيني.

(٣) تَمْتَثِلَه: من فعل مَثَلَ. وامْتَثَلْتُ مِثَالَ فلان احْتَذَيْت حَذْوَه وسَلَكْتُ طريقَته. وقيل: امْتَثَل طريقته: تَبِعَها فلم يَعْدُها. وامْتَثَل أمْرُ فلان: احْتَذَاه.

(٤) سَدادٌ: من فعل سَدَدَ؛ والسَّدَادُ: الصواب من القول. يقال: إنّه لَيُسِدُّ في القول وهو أنْ يُصِيبَ السَّداد يعني القصد. وسَدَّ قوله يَسِدُّ بالكسر: إذا صار سديداً. يقال: قُلْ قولاً سَدَداً أي صواباً في القول والعمل.

(٥) الاسترْسالُ: من فعل رَسَل، والتَّرسُّل كالرِّسْلِ في الأمور والمنطق كالتَّمَهُّل والتَّوقُّر والتَّثَبُّتُ والتَّرفُّق من غير أن يرفعَ صوته شديداً. والاسْتِرسَال: التَّوجيه مع التَّرفق والتَّمَهُّل.

(٦) التَّبَذُّل: من فعل بَذَلَ؛ والبَذْلُ: ضِدُّ المَنْع، بذل الشيء: أعطاه وجاد به. وكلُّ من طابت نفسه بإعطاء شيء فهو بَاذِل له. والابتذال: ضِدُّ الصِّيانة، واسْتَبْذَلتَ فلاناً شيئاً: إذا سألته أن يَبْذُله لك فَبَذله بلا صَوْن.

(٧) الإدْلال: من فعل دَلَلَ، وأدَلَّ عليه وتَدَلَّل: انبسط. وقيل: أدَلّ عليه وَثِق بمحبته فأفرط عليه. وفي =

وَمَنْ فَقَدَ مِنْ صَاحِبِهِ صُحْبَةَ المُرُوءةِ وَوَقَارَها وجَلالَها أَحْدَثَ ذلكَ لَهُ في قَلْبِهِ رِقَّةَ شَأنٍ وسُخْفَ مَنْزِلَةٍ.

وَلا تَلْتَمِسْ غَلَبَةَ صَاحِبِكَ والظَّفَرَ عَلَيْهِ عِنْدَ كلِّ كلِمَةٍ ورَأيٍ، ولا تجْتَرِئَنَّ على تَقْرِيعِهِ بِظَفَرِكَ إذا اسْتَبَانَ، وحُجّتِكَ عَليه إذا وَضَحَتْ.

فَإنّ أقْواماً قدْ يحمِلُهُمْ حُبّ الغَلَبَةِ وسَفَهُ الرّأيِ في ذلكَ عَلى أنْ يَتَعَقّبوا الكَلِمَةَ بَعْدَمَا تُنْسَى، فَيَلْتَمِسوا فِيهَا الحُجّةَ، ثمّ يَسْتَطِيلوا[١] بها على الأصْحَابِ. وذلكَ ضُعْفٌ في العَقْلِ ولُؤمٌ في الأخلاقِ.

أي إكرام يعجب

لا يُعْجِبَنّكَ إكْرَامُ مَنْ يُكْرِمُكَ لمَنْزِلَةٍ أوْ لِسُلْطانٍ، فإنَّ السّلْطانَ أوْشَكُ[٢] أمورِ الدّنْيا زَوالاً. ولا يُعْجِبَنّكَ إكْرَامُ مَنْ يُكْرِمُكَ للمالِ، فإنّهُ هُوَ الذي يَتْلو السّلْطانَ في سُرْعَةِ الزّوَالِ. ولا يُعْجِبَنّكَ إكْرامُهُمْ إيّاكَ للنّسَبِ، فإنّ الأنْسابَ أقَلُّ مَناقِبِ[٣] الخَيْرِ غَنَاءً عنْ أهْلِها في الدّينِ والدّنْيا.

وَلكِنْ إذا أُكْرِمْتَ على دِينٍ أوْ مُرُوءةٍ فَذلكَ فَلْيُعْجِبْكَ! فإنّ المُرُوءةَ لا تُزَايِلُكَ[٤] في الدّنْيَا. وإنّ الدّينَ لا يُزَايِلُكَ في الآخِرَةِ.

= المثل: أدَلَّ فأمَلَّ. وفي الحديث: «يمشي على الصراط مُدِلاً» أي منبسطاً لا خوف عليه، وهو في الإدلال والدَّالَّةِ على من لك عنده منزلة.

(١) يستطيلوا: من فعل طول، والمطاولة في الأمر هو الاسْتِطالة على الناس إذا هو رَفَع رأسه ورأى أن له عليهم فَضْلاً في القَدْرِ واستطال عليه أي تطاول عليه وغلبه وقهره. وفي الحديث: «أرْبى الرِّبا الاستطالة في عِرْضِ الناس» أي استحقارهم والتَّرفُّعُ عليهم والوقيعة فيهم.

(٢) أوشك: من فعل وَشَكَ. والوَشِيكُ: السريع، وأمْرٌ وَشِيكٌ: سريع. ومن أمْثَالهم: «لوُشْكانَ ذَا إهالَةً». يُضربُ مثلاً للشيء يأتي قبل حينه. وعَجِبْتُ من وشْكِ ذلك الأمر أي من سُرْعته.

(٣) مَنَاقِب: من فعل نَقَبَ، والمناقِبُ: فضائلُ الخيرِ الحقيقية. وقيل: النَّقْبُ: الطرق المستقيمة. والنَّقابُ: الرجل العالم بالأشياء المبحث عنها، الفَطِنُ الشّديدُ الدُّخول فيها. والأنْسَاب أقلّ هذه الأمور.

(٤) تُزَايِلُك: من فعل زَيَلَ؛ وزِلْتُ الشيء من مكانه، وزَالَ الشيءَ: فَرَّقَه. ومنه قوله تعالى: ﴿فزَيَّلْنا =

الجبن والحرص مقتلة ومحرمة

اعْلَمْ أنَّ الجُبْنَ مَقْتَلَةٌ، وأنَّ الحِرْصَ مَحْرَمَةٌ.

فـانْظُرْ في مـا رَأيْتَ أوْ سمِعْتَ: أمَنْ قُتِلَ في القِتَـالِ مُقْبِـلاً أكثـرُ أمْ مَنْ قُتِـلَ مُدْبِراً؟ وانْظُرْ أمَنْ يَطْلُبُ إليكَ بالإجْمَالِ[١] والتكرّمِ أحَقّ أنْ تَسْخُوَ نَفْسُكَ لَهُ بِطَلِبَتِهِ أمْ مَنْ يَطْلُبُ إلَيْكَ بالشَّرَهِ والزَّيْغِ[٢]؟

واعْلَمْ أنّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ كَانَ لكَ فيهِ هَوًى، فَذَكَرَهُ ذَاكِرٌ بِسوءٍ وذَكَرْتَهُ أنْتَ بخَيْرٍ يَنْفَعُهُ ذلكَ. بلْ عَسَى أنْ يضُرّهُ.

فَلاَ يَسْتَخِفَّنّكَ ذِكْرُ أحَدٍ مِنْ صَديقِكَ أوْ عَدُوّكَ إلاّ في مَوَاطِنِ دَفْعٍ أوْ مُحاماةٍ. فإنّ صَديقَكَ إذا وَثِقَ بِكَ في مَوَاطِنِ المُحاماةِ لم يَحْفِلْ بما تَرَكْتَ ممّا سِوَى ذلـكَ، ولمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلُ لائِمَةٍ.

وَإنّ مِنْ أحْزَمِ الرّأيِ لكَ في أمْرِ عَدُوّكَ ألاّ تذكُـرَهُ إلاّ حيْث تَضُرّهُ. وألاّ تَعُـدّ يَسيرَ الضّرَرِ لَهُ ضَرَراً.

احترس ممّا يقال فيك

اعْلَمْ أنّ الـرّجُلَ قـدْ يكـونُ حَلِيمـاً، فَيَحْمِلُهُ الحِـرْصُ على أنْ يَقـولَ النّـاسُ جَلِيـد[٣]، والمَخافَـةُ أن يقالَ مَهينٌ[٤] على أنْ يتَكَلّفَ الجَهْـلَ. وَقَدْ يكـونُ الرّجُـلُ

= بَيْنَهُمْ﴾ أي فَرَّقنا بينهم. والزِّيالُ: الفِراقُ، والتَّزَايُل: التَّباين.

(١) الإجمال: من فعل جَمُلَ، وقيل: «إلزم تَجَمُّلَك وحياءَك ولا تَجْزَع جزعاً قبيحاً» والمقصـود هنا من كلام ابن المقفع: إنَّ مَنْ يطلبُ أمْراً يَتَّئد ثقة منـه ببأسـه وكرمـه على حياء منـه هو أحَقّ أن تسْخُـوَ نَفْسُكَ له بما طلب من أمر.

(٢) الزَّيْغُ: من فعل زَيَغَ، والزَّيْغُ: المَيْـلُ. يقال: زَاغَ عن الطريق يَزيغُ: إذا عَدَلَ عنـه. وفيه حـديث أبي بكـر الصِّديق رضي الله عنـه: «أخافُ إن تَـرَكْتُ شيئاً من أمـرِه أنْ أزِيغَ» أي أجُورَ وأعْـدِلَ عن الحقّ.

(٣) جَليدٌ: من فعل جَلَدَ: والجَلَدُ: القـوة والشِدَّة. وفي حـديث الطواف: «لِيَـرى المشركـون جَلَدَهم» الجَلَدُ: القـوّة والصَّبرُ. وقيـل: كان أخْـوفَ جَلْداً، أي قويـاً في نفسه وجسـده والجَلَدُ: الصـلابـة =

زَمِيتاً[1] فَيَحمِلُهُ الحِرْصُ عَلى أنْ يُقالَ لَسِنٌ[2]، والمَخافَةُ مِنْ أنْ يُقالَ عِيِيّ على أنْ يقولَ في غَيرِ موْضِعِهِ فَيَكونَ هَذِراً[3].

فاعْرِفْ هذا وأشْبَاهَهُ، واحتَرِسْ مِنْهُ كُلِّهِ.

نزاهة العرض وبقاء العزّ

إذا بَدَهَكَ أمْرَانِ لا تَدْرِي أيّهُما أصْوَبُ فانْظُرْ أيّهُمَا أقْرَبُ إلى هَوَاكَ فخالِفْهُ، فإنَّ أكثَر الصَّوَابِ في خِلافِ الهَوى.

ولْيَجْتَمِعْ في قَلْبِكَ الافْتِقارُ إلى النّاسِ والاسْتِغْناءُ عنهُمْ، وليَكُنْ افتِقارُكَ إلَيْهِمْ في لِينِ كلِمَتِكَ لهُمْ، وحُسْنِ بِشرِكَ بهِمْ. وَلْيَكُنِ اسْتِغْنَاؤكَ عَنْهُمْ في نَزَاهَةِ عِرْضِكَ[4] وبَقاء عِزِّكَ.

= والجَلادة. يقال، جَلُدَ الرجل بالضم، فهو جَلْد جَليد وبَيِّنُ الجَلَدِ، والجلادة وهو المقصود.

(٤) مَهينٌ: من فعل مَهَنَ، وامْتَهَنْتُ الشيء: ابْتَذَلْتُه، والمَهْنة والمِهْنة: الخدمة والابتذال. وامْتَهَنَ الإنسانُ نفسَه: ابْتَذَلها. والمهين من الرجال: الضعيف ومن صفته ﷺ: «ليس بالجافي ولا المَهين». ويُروى بفتح الميم وضمها. والفتح من المهانة الحقارة والصُّفر والميم أصلية في الكلمة.

---

(١) زَمِيتاً: من فعل زَمَتَ؛ والزَّمِيتُ: الحليم الساكن، القليل الكلام. وفي صفة النبي ﷺ: «أنّه كان من أزْمَتِهم في المجلس» أي من أرْزَنِهم وأوْقَرِهم.

(٢) لَسِن: من فعل لَسَنَ، ورَجُلٌ لَسِنٌ: بَيِّنُ اللَّسَن إذا كان ذا بيان وفصاحة. ولاسَنه: ناطقه بالفصاحة. واللَّسنُ: جَوْدَةُ اللسان وسلاطته. وقوله عزَّ وجَلّ: ﴿واجْعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين﴾ أي اجْعَلْ لي ثناءً حَسَناً بَاقِياً إلى آخرِ الدَّهْر.

(٣) هذراً: من فعل هَذَرَ؛ والهَذْرُ: الكلام الذي لا يُعْبَأُ به. وهَذَرَ كلامه هَذَراً: كثر في الخطأ والباطل وحاد عن الحق والعدل.

(٤) عِرْضِك: من فعل عَرَضَ، والعِرْضُ: نفس الرجل وشرفه وجوهره وعِرْضُ الرجل: حَسَبُه. وقيل: خَليقَتُه المحمودة. وقيل: ما يُمْدَحُ به ويُذَمُّ. وفي الحديث: «إنَّ أعْرَاضَكم عليكم حَرامٌ كحُرْمَةِ يومكم هذا».

كيف تجالس الناس

لا تُجالِسِ امْرَأً بِغَيْرِ طَرِيقَتِهِ، فإنَّكَ إنْ أرَدْتَ لِقاءَ الجاهِلِ بالعِلْمِ، والجَافي[١] بالفِقْهِ[١]، والعَيِيَّ بالبَيانِ لَمْ تَزِدْ عَلَى أنْ تُضَيِّعَ عِلْمَكَ وتُؤذِيَ جَلِيسَكَ بِحَمْلِكَ عَلَيْهِ ثِقْلَ مَا لَا يعرِفُ وَغَمِّكَ إيَّاهُ بمِثْلِ ما يَغْتَمّ بِهِ الرَّجُلُ الفَصِيحُ مِنْ مُخاطَبَةِ الأعْجَمِيِّ الّذي لا يَفْقَهُ عَنْهُ.

واعْلَمْ أنّهُ لَيْسَ منْ عِلْمٍ تَذْكُرُهُ عِندَ غيرِ أهْلِهِ إلاّ عَابوه، ونَصَبُوا لَهُ[٢] ونَقَضُوهُ عَلَيْكَ وحَرَصُوا على أن يَجعلوهُ جَهْلاً حتى إنّ كثيراً مِنَ اللهوِ واللَّعِبِ الذي هوَ أخفُّ الأشياء على النَاسِ لَيَحْضُرُهُ مَنْ لا يَعْرِفُهُ فَيَثْقُلُ عَلَيْهِ ويَغْتَمّ بِهِ.

وَلْيَعْلَمْ صاحِبُكَ أنكَ تُشْفِقُ عَلَيْهِ وعلى أصْحابِهِ، وإيّاكَ إن عاشَرَكَ امْرُؤ أوْ رَافقَكَ أنْ لا يَرَى مِنْكَ بأحَدٍ منْ أصْحَابِهِ وإخْوَانِهِ وأخْدانِهِ رَأفَةً، فإنّ ذلكَ يأخُذُ مِنَ القلوبِ مَأخَذاً. وإنّ لُطْفَكَ بِصَاحِبِ صاحِبِكَ أحْسَنُ عِنْدَهُ مَوْقِعاً مِنْ لُطفِكَ بِهِ في نَفْسِهِ.

واتّقِ الفَرَحَ عِنْدَ المَحْزُونِ، واعْلَمْ أنّهُ يَحْقِدُ على المُنْطَلِقِ[٣] ويَشْكُرُ للمُكْتئِبِ.

اعْلَمْ أنّكَ سَتَسْمَعُ منْ جُلَسائِكَ الرّأيَ والحديثَ تُنْكِرُهُ وَتَسْتَجْفِيهِ وَتَسْتَشْنِعُهُ مِنَ المُتَحَدِّثِ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أوْ غَيْرِهِ، فَلا يكونَنّ مِنْكَ التّكْذيبُ ولا التّسْخِيفُ لشيءٍ

---

(١) الجافي: من فعل جَفَا، وجَفَا الشيءُ يَجْفُو: لم يُلزمْ مكانه. يقال: رجل جافي الخِلْقة وجافي الخُلُق: إذا كان كزّاً غَليظَ العِشْرة، والخُرْقِ في المعاملة والتحامل عند الغضب. ومنه الحديث: «ليس بالجافي المُهين» أي ليس بالغليظ الخِلْقة ولا الطبع أو ليس بالذي يجفو أصحابهُ ويبعد عنهم.

(٢) الفِقْه: من فعل فَقَهَ؛ والفِقْهُ في الأصل الفَهْم. يقال: أُوتيَ فلانٌ فِقهاً في الدين أي فَهْماً فيه. ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّيْنِ﴾.

(٣) نَصَبوا له: من فعل نَصَبَ، والنُّصْبُ: البَلاءُ والشرُّ والعداء والتّناهض.

(٤) المُنْطَلِقُ: مِن فعل طَلَق؛ وَوَجْه طَلِقٌ وطُلْقٌ: ضاحك مُشْرِق، وقد طَلُقَ الرجلُ طَلاقةً فهو طَلْقٌ ووجه مُنْطَلِقٌ: مستبشر منبسط الوجه مُتَهَلِّله.

مِمَا يأتي بِهِ جَلِيسُك. ولا يُجَرِّئَنَّكَ على ذلـكَ أنْ تَقولَ: إنّمـا حَدّثَ عَنْ غَيـرِهِ، فإنَّ كُـلَّ مَرْدودٍ عَلَيْـهِ سيَمْتَعِضُ[١] مِنَ الرّدّ وإنْ كَـانَ في القَوْمِ مَنْ تَكْـرَهُ أنْ يَسْتَقِرّ في قَلْبِهِ ذلِكَ القَوْلُ، لخَطَإٍ تَخافُ أنْ يُعقَدَ عَلَيْهِ[٢]، أوْ مَضَرّةٍ تخشاها على أحَـدٍ فإنّـكَ قادِرٌ على أن تَنْقُضَ ذلكَ في سَتْرٍ، فَيَكونَ ذلكَ أيْسَرَ للنّقْضِ وأبْعَدَ للبِغْضَةِ.

ثمّ اعْلَمْ أنّ البِغْضَةَ خَوْفٌ، وأنّ المَوَدّةَ أمْنٌ، فاسْتَكْثِرْ مِنَ المَوَدّةِ صَامِتاً، فـإنَّ الصّمْتَ سيَدْعُوهَا إلَيْكَ. وإذا نـاطَقْتَ فَناطِقْ بـالحُسْنَى، فإنّ المَنْـطِقَ الحَسَنَ يَزيـدُ في وُدّ الصّدِيقِ وَيَسْتَل[٣] سَخِيمَة[٤] الوَغِرِ[٥].

واعْلَمْ أنّ خَفْضَ الصّـوْتِ وسُكـونَ الـرِّيـحِ[٦] ومَشْيَ القَصْـدِ[٧] مِنْ دَواعي المَـوَدّةِ، إذا لَمْ يُخالِطْ ذلـكَ بَأوٌ[٨] وَلا عُجْبٌ. أمّـا العُجْبُ فهُـوَ مِنْ دَواعي المَقْتِ والشَّنَآنِ[٩].

---

(١) سَيَمْتَعِضُ: من فعل مَعِض. ومَعِض من ذلك الأمرِ وامْتَعَض منه: غَضِبَ وَشَقَّ وأوْجَعَهُ.

(٢) يُعْقَدَ عليه: من فعل عَقَدَ، والجمع أعْقادٌ وعُقُودٌ. وعَقَدَ: بنى عَقْـداً، ومنه قـوله تعـالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أوفوا بالعُقُود﴾.

(٣) يَسْتَـل: من فعل سَتَـلَ. والسُّتْلُ: الضيق وسَتَـلَ: ضيَّق. وفي حـديث أبي قتـادة قـال: «كنـا مـع النبي ﷺ في سفـر فبينا نحن ليلةً متسائلين عن الطريق نَعَس رسول الله ﷺ».

(٤) سَخِيمَة: من فعل سَخَمَ. والسَّخَمُ مصدر السَّخِيمةِ، والسَّخِيمةُ: الحقد والضغينة. ومنه الحـديث: «تَهَادَوْا تَذْهَبِ الإحَنُ والسَّخَائِمُ». أي الحقود.

(٥) الوَغِر: من فعل وغر؛ والوَغْرُ: ضِدُّ السهل وهو المكان الوَعِر والحَزْنِ. والوعـر: المكان الصُّلب. ووعَرَ الرجلَ ووَعَّرَه: حَبَسه عن حاجته ووجهته.

(٦) الرِّيحُ: من الرَّوْح وهي الفرحة والاستراحة والسكينة.

(٧) القصد: من فعل قَصَدَ. والقَصْدُ في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. واقتصد فلان في أمْره: أي استقام. وفي الحديث: «ما عَالَ مقتصد ولا يَعِيلُ» أي ما افتقر من لا يُسْرفُ في الإنفاق ولا يُقَتّر.

(٨) بأوٌ: من فعل بأي؛ البَأْوُ: العظمة، وبأي عليهم: فَخَرَ. وقيـل: البَأْوُ: الكِبْـرُ، يقال: بـأي نفسَه: رفعها وفخر بها.

(٩) الشَّنـآن: بالتحـريك والتسكين البغض. ومنـه قولـه تعالى: ﴿لا يَجْـرِمَنَّكُم شَنَآن قـوم﴾ أي بغيض قوم.

المستشار ليس بضامن وجه الصواب

اعْلَم أنّ المُسْتَشارَ لَيْسَ بِكَفِيلٍ، وأنّ الـرّأيَ لَيْس بمَضْمونٍ. بـلِ الرّأيُ كُلُّهُ غَـرَرٌ[1]، لأنّ أمورَ الـدّنْيا لَيْسَ شيْءٌ مِنها بِثِقةٍ، ولأنّـهُ لَيْسَ مِنْ أمْرِهـا شيْءٌ يُدْرِكُـهُ الحازِمُ إلاّ وقدْ يُدْرِكُهُ العـاجِزُ. بَـلْ رُبّما أعْيـا الحَزَمَـةَ ما أمْكَنَ العَجَـزَةَ. فإذا أشـارَ عَلَيْكَ صاحِبُكَ بِرَأيٍ، ثمّ لَمْ تَجِدْ عاقِبَتَهُ على ما كُنْتَ تـأمُلُ فـلا تجْعَلْ ذلـكَ عليْهِ ذَنْباً، ولا تُلْزِمْهُ لَوْماً وعَذْلاً بأن تقـولَ: أنْتَ فعلْتَ هذا بي وأنْتَ أمَـرْتَني، ولوْلا أنْتَ لم أفْعَلْ، ولا جَرَمَ[2] لا أُطِيعُكَ في شيء بَعْدَهَا. فإنّ هذا كُلَّهُ ضَجَرٌ ولُؤمٌ وخِفّةٌ.

فإنْ كُنْتَ أنْتَ المُشيرَ، فَعَمِلَ بِرَأيِكَ أوْ تَرَكَـهُ، فَبَدَا صَـوَابُكَ فَـلا تَمْنُنْ بِهِ وَلا تُكْثِرَنّ ذِكْرَهُ إنْ كانَ فِيهِ نجاحٌ، ولا تَلُمْهُ عليْهِ إنْ كَانَ قدِ اسْتَبَانَ في تَـرْكِهِ ضَـرَرٌ بأنْ تقولَ: ألَمْ أقُلْ لكَ افْعَلْ هذا، فإنّ هذا مُجانِبٌ[3] لأدَبِ الحُكَماء.

حسن الاستماع

تَعَلّمْ حُسْنَ الاسْتِمَاعِ كما تَتَعَلّمُ حُسْنَ الكَلامِ. ومِنْ حُسْنِ الاسْتِمَاعِ إمْهَـالُ المُتَكَلّمِ حتى يَنْقَضِيَ حديثُهُ، وقِلّة التّلَفّتِ إلى الجوابِ، والإقْبالُ بالوَجْـهِ[4] والنّظَرِ إلى المُتَكَلّمِ، والوَعْيُ لمَا يَقُولُ.

وَاعْلَمْ، في ما تُكَلّمُ بِهِ صاحِبَكَ، أنّ مِمّا يُهَجّنُ صَوابَ مَا يأتي بـهِ، ويذْهَبُ بِطَعْمِهِ وبهْجَتِهِ ويُزْرِي بِهِ في قَبولِهِ، عَجَلَتَكَ بِذلِكَ، وقَطْعَكَ حديثَ الرّجُلِ قبلَ أنْ

---

(١) غَرَرٌ: من فعل غَرَرَ، وغرَّر بنفسه وماله تَغْرِيراً: عرَّضهما للهلكة من غير أن يَعْرِفَ، والغَرَرُ: الخَطَرُ. ومنه الحديث: «غَرَّ فلان فلاناً»: قال بعضهم عرَّضه للهلكة والبَوارِ.

(٢) لا جَرَمَ: من فعل جَرَمَ، ولا جَرَم: أي لا بُدَّ ولا محالة. وقيل: حقاً.

(٣) مُجانب: من فعل جَنَبَ، والجَنابةُ: ضِدُّ القرابة. وقيل: عن جَنابةٍ أي بُعْدٍ وغُرْبة. وجنَّبه وجنَبه إيّاه: نحّاهُ عنه. ويقال: لَجَّ فلان في جِنابٍ قَبيحٍ إذا لَجَّ في مُجانَبَةِ أهْلِهِ.

(٤) بالوجه: من فعل وَجَهَ. والوَجْهُ: معروف. ووَجْهُ كُلِّ شيء: مُسْتَقْبَلُه. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ﴾ أراد إلاّ إيّاهُ إذ كنى بالوجه عن الله عز وجل من باب دلالة الجزء عن الكل كناية. والقصد إقبالك على المتكلم كأنك لا تريد غيره.

يُفْضيَ إِلَيْكَ بِذاتِ نَفْسِهِ[1].

كيف يكون الزهد

إنْ رَأيْتَ نفْسَكَ تَصَاغَرَتْ إِلَيْها الدّنْيا، أوْ دَعَتْكَ إلى الزّهَادَةِ فِيها على حالٍ تَعَذّرٍ منَ الدّنْيا عَلَيْكَ فَلا يَغُرّنكَ ذلكَ من نَفْسِكَ على تِلْكَ الحال، فإنّها لَيْسَتْ بِزَهادَةٍ، ولكِنّها ضَجَرٌ واسْتِخْذاءٌ[2] وتَغَيُّرُ نَفْسٍ عِنْدَما أعْجَزَكَ مِنَ الدنْيا وغَضَبٌ مِنْكَ عَلَيْها ممّا الْتَوى[3] عَلَيْكَ مِنْهَا. ولوْ تمّمْتَ[4] على رَفْضِها وأمْسَكْتَ عَنْ طَلَبِها أوْشَكْتَ أن تَرَى منْ نَفْسِكَ مِنَ الضّجَرِ والجزَعِ أشَدَّ مِن ضَجَرِكَ الأوّلِ بأضْعافٍ. ولكِنْ إذا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إلى رَفْضِ الدنْيا وهيَ مُقبِلةٌ عَليكَ، فأسْرِعْ إلى إجَابَتِها.

حسن المجالسة وسوؤها

اعْرِفْ عَوْرَاتِكَ. وإيّاكَ أن تُعَرّضَ بأحَدٍ في ما ضَارَعَها[5]. وإذا ذُكِرَتْ مِنْ أحَدٍ خَلِيقَةٌ فلا تُناضِلْ عنْهُ مُناضَلَةَ المُدافِعِ عَنْ نَفْسِهِ المُصَغّرِ لِما يَعِيبُ النّاسُ مِنْهُ فَتُتّهَمَ بِمِثْلِها. ولا تُلِحّ كُلّ الإلْحاحِ. ولْيَكُنْ ما كانَ مِنْكَ في غيرِ اخْتِلاطٍ، فإنّ الاخْتِلاطَ مِنْ مُحقّقاتِ الرِّيَبِ.

إذا كُنْتَ في جماعَةِ قَوْمٍ أبداً فلا تعُمّنّ جِيلاً[6] مِنَ النّاسِ أوْ أُمّةً مِنَ الأمَمِ

---

(١) ذات نفسه: قصد هنا من النفس ومعناها جملة ما في الإنسان وحقيقته، ويفضي إليك بذات نفسه أن يحدّث عن كربه وما يعاني من مكنوناته في صدره فيعرب عنها ويفرج عن ذاته ونفسه.

(٢) الاستخذاء: من فعل أَخَذَ، واستأخَذَ إذا أصبحَ مستكيناً ومستريحاً يقال: لفلانة أُخْذَةٌ تُؤَخّذُ من حالة إلى حالة عند نوائب الدهر، كالأسير المنقاد والمغتصِب.

(٣) التوى: من فعل لَوِيَ وتَلَوّى: انعطف ولم يجر على الاستقامة، ولوت الدنيا عنك: مالت عنك فيما ترغب من تحقيقه والوصول إليه.

(٤) تَمَّمْتَ: من فعل تَمَمَ، ورجل متمم أي فاز مرة بعد مرة وأنفذ أمره فيما مضى إليه.

(٥) ضارعها: من فعل ضَرَعَ، وضَرَع إليه: خَضَع وذَلّ فهو ضارِعٌ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أي تذللوا وخضعوا، وضَرَع فلان لفلان إذا ما تخشّع له.

(٦) جيل: الجيل: كل جنس من الناس، فالترك جِيْل والصِّين جِيْل والعرب جِيل، والجمع أجيال. وقيل: «ما أعْلَمُ من جِيْلٍ كانَ أخْبَث منكم» فالجِيل: الصنف من الناس، وقيل: الأُمة، وقيل: كل-

بِشَتْمٍ ولا ذَمٍّ. فإنّكَ لا تَدْرِي: لَعَلَّكَ تَتناوَلُ بَعْضَ أعْرَاضِ جُلَسائِكَ مُخْطِئاً، فلا تَأمَنَ مُكافَأتَهُمْ. أوْ مُتَعَمِّداً فتُنْسَبَ إلى السَّفَهِ. ولا تَذُمَّنَّ مَعَ ذلكَ اسْماً منْ أسْماء الرِّجالِ أوِ النِّساء بأنْ تقولَ أنّ هذا لَقَبِيحٌ منَ الأسْماء. فإنّكَ لا تَدْرِي، لَعَلَّ ذلكَ غيرُ مُوافِقٍ لِبَعْضِ جُلَسائِكَ، ولعلّهُ يكونُ بَعْضَ أسْماءِ الأهْلينَ والحُرَمِ. ولا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ هذا شَيْئاً، فكلّ ذلك يَجْرَحُ في القَلْبِ. وجُرْحُ اللّسانِ أشَدُّ منْ جُرْحِ اليَدِ.

ومِنَ الأخْلاقِ السّيِّئَةِ على كلِّ حالٍ مُغالَبَةُ الرّجلِ على كَلامِهِ والاعْتِرَاضُ فيهِ والقَطْعُ للحديثِ.

ومَنَ الأخْلاقِ التي أنْتَ جَديرٌ بِتَرْكِها إذا حَدّثَ الرَّجُلُ حديثاً تعرِفُهُ، ألاّ تُسابقَهُ إلَيه وتَفْتَحَهُ عَلَيْهِ وتُشَارِكَهُ فيه، حتى كأنّكَ تُظْهِرُ للنّاسِ أنّكَ تُريدُ أن يعْلَموا أنّكَ تَعْلَمُ مِثْلَ الّذي يَعْلمُ ومَا عَلَيْكَ أنْ تُهَنِّئَهُ بِذلكَ وتُفْرِدَهُ بِهِ.

وَهذا البابُ مِنْ أبْوَابِ البُخْلِ. وأبْوابه الغامِضَةُ كثيرةٌ.

إذا كُنْتَ في قَوْمٍ لَيْسوا بُلَغاء ولا فُصَحاء، فَدَعِ التّطاوُلَ عَلَيْهِمْ بالبَلاغَةِ والفَصَاحَةِ.

واعْلَمْ أنّ بَعْضَ شِدّةِ الحَذَرِ عَوْنٌ عَلَيْكَ في ما تَحْذَرُ وأنّ بعضَ شِدّةِ الاتّقاء مِمّا يَدْعو إلَيْكَ ما تَتّقي.

واعْلَمْ أنّ النّاسَ يَخْدَعونَ أنْفُسَهُمْ بالتّعْريضِ والتَّوْقِيعِ[1] بالرِّجالِ في التِماسِ مَثالِبِهِمْ وَمَساوِيهِمْ ونقيصَتهِمْ. وكلّ ذلكَ أبْيَنُ عِنْدَ سامِعِيهِ مِنْ وَضَحِ الصّبْحِ. فلا تَكونَنَّ مِنْ ذلكَ في غُرُورٍ ولا تَجْعَلَنّ نَفْسَكَ مِنَ أهْلِهِ.

اعْلَمْ أنّ مِنْ تَنَكُّبِ[2] الأمورِ ما يُسَمّى حَذَراً. ومِنْهُ ما يُسمّى خَوَراً. فإنِ

= قوم يختصون بلغة جيل.

(١) التَّوْقِيعُ: من فعل وَقَعَ. وأوْقَعَ ظَنَّه على الشيءِ ووَقَّعَه كلاهما: قَدَّره وأنزله. والتَّوقيعُ بالظن والكلام يعتمده ليَقَعَ عليه وَهْمُه. ووَقَعَ به ماكر يقع وقوعاً ووقيعة: نزل على التّظني والتّخمين والتّوهم.

(٢) تَنَكُّبِ الأمور: من فعل نَكَبَ: أي عَدَلَ وبَعُدَ، ونكب فلان عن الصواب: عَدَلَ عنه واعْتَزَل=

اسْتَطَعْتَ أَنْ يكونَ جُبْنُكَ مِنَ الأَمْرِ قَبْلَ مُواقعتِكَ[1] إِيّاهُ فافْعَلْ. فإنّ هذا الحَذَرُ. ولا تَنْغَمِسْ فِيهِ ثُمَّ تَتَهَيَّبُهُ. فإنّ هذا هُوَ الخَوَرُ[2]. فإنّ الحكِيمَ لا يخوضُ نَهْراً حتى يَعْلَمَ مِقْدارَ غَوْرِهِ.

قَدْ رَأَيْنا مِنْ سوءِ المُجالَسَةِ أَنّ الرَّجُلَ تَثْقُلُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ يراها بِصاحِبِهِ، فَيكونُ ما يَشْتَفي بصاحِبِهِ في تَصْغِيرِ أَمْرِهِ وتَكْديرِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، أَنْ يذْكُرَ الزّوالَ والفَناءَ والدّوَلَ، كأَنّهُ واعِظٌ وقاصٌّ. فلا يَخْفَى ذلكَ على مَنْ يُعْنى بِهِ ولا غَيرِهِ. ولا يُنَزَّلُ قَوْلُهُ بمَنْزِلَةِ المَوْعِظَةِ والإِبْلاغِ، ولكِنْ بمَنْزِلَةِ الضَّجَرِ مِنَ النعمةِ، إذا رآها لِغَيْرِهِ، والاغْتِمامِ بها والاسْتِرَاحَةِ إلى غيرِ رَوْحٍ[3].

وإِنّي مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ لي كانَ مِنْ أَعْظَمِ النّاسِ في عيني، وكانَ رَأْسُ ما أَعْظَمَهُ في عَيني صِغَرَ الدّنْيا في عَيْنِهِ: كانَ خَارِجاً مِنْ سُلطانِ بَطْنِهِ، فلا يَتَشَهّى ما لا يَجِدُ، ولا يُكْثِرُ إذا وَجَدَ. وكانَ خارِجاً من سُلطانِ فَرْجِهِ، فلا يَدْعو إِلَيْهِ ريبةً، ولا يَسْتخِفّ لَهُ رَأياً ولا بَدَناً. وكان خارِجاً مِنْ سُلْطانِ لِسانِهِ، فلا يقُولُ ما لا يَعْلَمُ، ولا يُنازِعُ في ما يعْلَمُ. وكان خارِجاً مِنْ سُلْطانِ الجَهالَةِ، فَلا يُقْدِمُ أبَداً إلاّ على ثِقَةٍ بمَنْفَعَةٍ.

كان أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً. فإذا نَطَقَ بَذَّ[4] النّاطِقينَ.

= وتَجَنّب. والنَّكَبُ بالتحريك: المَيلُ في الشيء. وفي حديث حجة الوداع: «فقال بأُصْبُعه السَّبابة يَرْفَعُها إلى السماءِ وَيَنْكُبُها إلى الناس» أي يُميلُها إليهم يريد أن يُشْهِدَ اللّهَ عليهم.

(١) قبل مواقعتك: المواقعة من فعل وَقَعَ، ووَاقَعَ الأمور مُواقَعَةً داناها، والتَّوقُّعُ: تَنَظُّرُ الأمْرِ: يُقال: تَوَقَّعْتُ مَجيئَه وتَنَظَّرْتُه. قبل حصوله ومباشرته.

(٢) الخَوَرُ: من فعل خَوَرَ بالتحريك بمعنى الضعف. وخَارَ الرَّجُل: ضَعُفَ، والخوار الضعيف الذي لا بقاء له على الشدّة. وخارَ الرجل يَخُور والخُوارُ في كلِّ شيءٍ عيب.

(٣) رَوْح: من فعل رَوَحَ، وأَرَاحَ الرجل: إذا راحت عليه إبلُه وماله ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال. وأَرَحْتُ على الرجل حَقَّه إذا عدلت عن إعطائه، ورَواحَ الرجلُ بين جنبيه إذا تقلب من حالة إلى أخرى أي من النعمة إلى الزوال ومن الراحة إلى الاغتمام.

(٤) بَذّ: من فعل بَذَذَ، وبَذَّ فلان فلاناً بَذاً إذا ما علاه وفاقه في حسن أو عمل كائناً ما كان. وقيل: بَذَّ القائلين أي سبقهم وغلبهم. ومنه صفة مشية النبيّ ﷺ: يَمْشِي الهُوَيْنا يَبُذُّ القوم إذا سارع إلى خير =

كان يُرَى مُتَضاعِفاً مُسْتَضْعَفاً، فإذا جاء الجِدُّ فهُوَ اللَّيْثُ عادِياً[١].

كانَ لا يَدْخُلُ في دَعوَى، ولا يَشْتَرِكُ في مِراءٍ، ولا يُدْلي بِحُجَّةٍ[٢] حتى يـرَى قاضِياً عَدْلاً وشُهوداً عُدُولاً.

وكانَ لا يلومُ أحَداً على ما قَدْ يكونُ العُذْرُ في مِثْلِهِ حتى يَعْلَمَ ما اعْتِذارُهُ.

وكانَ لا يَشْكو وَجَعاً إلاّ إلى مَنْ يَرْجو عنْدَهُ البُرْآءَ.

وكان لا يَسْتَشيرُ صاحِباً إلاّ مَنْ يَرْجو عِندَهُ النَّصِيحَةَ.

وَكان لا يَتَبَرَّمُ[٣]، ولا يَتَسَخَّطُ، ولا يَتَشَهّى[٤]، ولا يَتَشَكّى.

وكَـانَ لا يَنْقِمُ على الـوَلِيِّ[٥]، ولا يَغْفُـلُ عنِ العَـدُوِّ، ولا يَخُصّ نَفْسَـهُ دونَ إخْوَانِهِ بِشيْءٍ مِنِ اهْتِمامِهِ وحِيلَتِهِ وقُوَّتِهِ.

فَعَلَيْكَ بهذِهِ الأخْلاقِ إنْ أطَقْتَ، ولَنْ تُطِيقَ، ولكِنّ أخْذَ القليلِ خيـرٌ مِنْ تَرْكِ الجميعِ.

واعْلَمْ أنّ خيـرَ طَبَقاتِ أهْـلِ الـدّنْيـا طَبَقَـةٌ أصِفُهَـا لـكَ: مَنْ لم تَـرْتَفِـعْ عَنِ الوَضِيعِ ولمْ تَتّضِعْ عَنِ الرّفيعِ.

= أمشي إليه.

(١) عادياً: من فعل عَدَا، والعَدَّاء: الشديد العَدْوِ وقال بعضهم: فَرسٌ عَدَوانٌ إذا كان كثير العَدْو، ومن العَدْوُ: الحُضْر حتى يَلْحقَه وتَعادَى القومُ: تَبارَوْا في العَدْوِ، والعَديّ أول من يَحْمـل من الرَّجّـالة. وذلك لأنهم يسرعون العَدْوَ.

(٢) الحُجَّةُ: من فعل حَجَجَ، والحُجَّةُ البرهان على صحة أقوال المتكلّم. والحُجَّةُ ما دُوفِعَ به الخصم وهي الـوجه الـذي يكون بـه الظَّفَرُ عند الخصـومة. ومنـه الحديث: «فَحَجَّ آدمُ موسى» أي غَلَبَـه بالحُجّة. وسميت الحُجَّة لأنها تقصد لأن القصد لها وإليها.

(٣) يتبرم: من فعل بَرَم. والبَرَمُ بالتحريك مصدر بَرِم بالأمر: إذا سَئِمَهُ، فهو بَرِمٌ ضَجِر، وقد أبْرَمَهُ فلان إبْراماً أي أمَلَّه وَأضْجَره فَبَرِمَ وتَبَرَّم به تَبَرُّماً. ويقال لا تُبْرِمْني بكثرة فُضولك.

(٤) يَتَشَهّى: من فعـل شها، وشَهِيَ الشيءَ: أحَبَّـه ورَغِبَ فيه. والتَّشَهِّي: اقْتِـراحُ شَهْـوةٍ بَعـد شَهْـوةٍ. ورجل شَهْوانٌ إذا كان شديدَ الشَّهْوةِ. والجمع شهاوى.

(٣) الوَلي: من فعل وَلِي، والوَلِيُّ والمَوْلى واحد في كلام العرب والمولى له مواضـع في كلام العـرب منها المولى في الدين وهو الوَلِيُّ وذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِك بـأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الّـذين آمَنُوا﴾ والـوَلِي: الحَليف والصديق. وهو من انضمَّ إليكَ فعَزَّ بعزِّك.

فهرس المراجع العربية

١ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت ودار صادر، ١٩٦٥ م.

٢ ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٩٣٣ م.

٣ ـ الأصبهاني أبو الفرج، الأغاني تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة بيروت لبنان، ط ٦، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

٤ ـ الأصبهاني، الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤ م.

٥ ـ البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، المدنية المنورة، لات.

٦ ـ البغدادي، عبد القادر عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح شواهد الكافية، دار صادر، بيروت، ط ١، لات.

٧ ـ بكري، حسين، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة مصر، ١٢٨٣ هـ.

٨ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لات.

٩ ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، لات.

١٠ ـ الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٦ م.

١١ ـ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق د. شوقي ضيف، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧ م.

١٢ ـ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار الحياة، بيروت لبنان.

١٣ ـ الخصري، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، مصر، ١٩٥٣ م.

١٤ ـ الخنبلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة بيروت. لات.

١٥ ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لات.

١٦ ـ الزركلي خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.

١٧ ـ ابن الساعي، الجامع المختصر من عنوان التواريخ وعيون السير «أخبار الخلفاء» لات.

١٨ - ابن شاكر الكتبي، الوافي بالوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ م.

١٩ - شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩ م.

٢٠ - شوقي ضيف، التطور والتجديد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧ م.

٢١ - الصفدي، خليل بن أيبك الوافي بالوفيات، اعتناء دوروتيا كرافولسكي، دار فرانز ستايز بقيسبادن، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م. ج السابع عشر.

٢٢ - الطبري أبو جعفر محمد، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م.

٢٣ - ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة مصر، سنة ١٣٤٠ هـ.

٢٤ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

٢٥ - فوال، عزيزة، الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي، دار الشمال، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

٢٦ - فيليب حتّي وغيره، تاريخ العرب، دار غندور، ط الخامسة ١٩٧٤ م.

٢٧ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨ م.

٢٨ - المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧ م.

٢٩ - المسعودي، أخبار الأمم من العرب والعجم، لات.

٣٠ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م.

٣١ - اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.

فهرس المراجع الأجنبية

1 - Constantine. Porphyrogenitens. De Administraudo-imperio caput. XV in Migne Patrologita, Gracca. Vol CXIII.

2 - Noldké, Orientalische Skizzen, Berlin, 1892.

3 - N. Abbott, Two Queens, of Bayhd, New-York, 1951 ad-chicago. 1946.

4 - Oman, Art of war. 2nd Ed. Vol. 2.

5 - Tactica, Constitutio XVIII & 123, in Migne, Patrologia Gracca. Vol CVII.

فهرس الموضوعات

الأدب الصغير

الأدب الكبير

الأدب الصغير والأدب الكبير



ISBN 9953-27-414-2
9 789953 274140